**المقدمــــــــة**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، والصحابة والتابعين، ومن سلك طريقهم، وسار على نهجهم إلى يوم الدين أما بعد:

فإن علم التفسير من أشرف العلوم منزلة، وأعلاها رتبة، وأرفعها مكاناً، لتعلقه بالقرآن الكريم، الذي به تسعد البشرية في الدنيا والآخرة، فقد أنزله الله هدىً ورحمةً للعالمين .

إذ أن موضوع هذا العلم هو القرآن الكريم، من حيث تبيين معانيه، وشرح غريبه، واستنباط ما فيه من حِكَمٍ وأحكام، وما يرشد إليه من حلالٍ وحرام.

وعلم التفسير - مع تعلقه الشديد بالقرآن الكريم - يشتمل على علوم أخرى كالعقيدة، والقراءات، والحديث وأسانيده، والفقه وأصوله، واللغة، وغيرها فكل هذه وغيرها، تجعل علم التفسير من أفضل العلوم وأزكاها وأولاها بالاهتمام والبحث والدراسة، إذ يحتاجه أهل العلوم الشرعية، واللغة العربية، لتعلقه وارتباطه بها.

ومن المعلوم أن التفسير بأنواعه قد خُدِمَ كثيراً إلا أن التفسير الموضوعي منه لا يزال علماء التفسير يغوصون في بحره الزاخر الذي لا يمكن أن ينفد، ولا لمعينه أن ينضب، ولا لعجائبه أن تنقضي، وقد وجد هذا النوع من التفسير استحساناً عند العلماء، حيث أنه يناقش قضايا محددة، فلا يكاد يفرغ منها حتى يأتي على جميع أطرافها، ويعالجها معالجة تامة، فأكسبه

ذلك أهمية كبيرة، واستُخدِمَ في معالجة كثير من القضايا، خاصة ما يتعلق بالعقائد والرد على أهل الأهواء والبدع، وها أنا ذا أسعى من خلال هذا النوع من أنواع التفسير إلى تتبع أقوال فرقة من الفرق فيهم قول الله تعالى ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ ﯓ وفيهم قوله تعالى ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﭼ قال أبو غالب ـ رحمه الله ـ: بينا أنا بدمشق إذ جيء بسبعين رأساً من رؤوس الخوارج، فنصبت على درج دمشق، وجاء أبو أمامة صاحب رسول الله فدخل المسجد فصلى ما بدا له، فلما خرج بكى، ثم قال: "كلاب أهل النار" يقول الله عز و جل ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ

ثم قرأ ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﭼ آل عمران: ١٠٦.

فهم هؤلاء، فقلت: يا أبا أمامة، هذا شيء سمعته من رسول الله أم شيئاً تقوله برأيك؟ قال: إني إذاً لجريء، سمعته من رسول الله غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث حتى انتهى إلى سبع"[[1]](#footnote-1)(1).

إذاً فهذه الفرقة هي فرقة الخوارج، والتي لطالما كانت شوكة تطعن في خاصرة الأمة الإسلامية، وتذيقها مرارة القتل والترويع والتشريد، هم كلاب النار كما أخبر النبي [[2]](#footnote-2)(2) ، يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم[[3]](#footnote-3)(3) ، وظهور هذه الفرقة كان في وقت مبكر فبعد وفاة رسول الله وانتقاله إلى جوار ربه، ومضي أكثر الخلافة الراشدة، بدأ في عهد أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب ظهور التفرق والاختلاف، فخرجت الخوارج ببدعها، وأطلت الشيعة بغلوها وفتنتها، ثم توالى ظهور الفرق، وكل من هذه الفرق قد خالف ما كانت عليه الأمة في عهد الرسول وصدر الخلافة الراشدة، وابتدع في الدين ما لم يأذن به الله، وانحرف عن الصراط إما إلى تفريط أو إلى إفراط، وشابه الأمم الأخرى في بعض بدعها، فانحطت منزلة هذه الفرق، وابتعدت عن الوسطية الثابتة لهذه الأمة على تفاوت بينها في قدر ذلك ومبلغه.

وأصبح أهل السنة في هذه الأمة، كهذه الأمة بالنسبة لسائر الأمم، فهم وسط بين فرقها، كما أن هذه الأمة وسط بين الأمم.

ويدرك هذا المعنى كل دارس ومتفحص لأقوال أهل السنة، وأقوال الفرق الأخرى، إذ يجد أمر هذه الفرق يدور بين التفريط والإفراط، وبين الغلو والتقصير، وأهل السنة على هديٍ قاصدٍ وصراطٍ مستقيم.

والخطورة تكمن في أن جميع هذه الفرق تحاول أن تجعل لها في القرآن الكريم مستمسكاً، تدعو فيه إلى بدعتها وكما قيل:

وكل يدعي وصلا بليلى وليلى لا تقر لهم بذاكا

ولقد استوقفني قول قتادة بن دعامة السدوسي ـ رحمه الله ـ كثيراً عند وصفه لفرقة الخوارج عند قوله تعالى ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ آل عمران: ٧ قال: إن لم يكونوا الحرُوريّة والسبئية، فلا أدري من هم! ولعمري لقد كان في أهل بدر والحديبية الذين شهدوا مع رسول الله بيعة الرّضوان من المهاجرين والأنصار خبرٌ لمن استخبر، وعبرةٌ لمن استعبر، لمن كان يَعْقِل أو يُبصر.

إن الخوارج خرجوا وأصحاب رسول الله يومئذ كثيرٌ بالمدينة والشأم والعراق، وأزواجه يومئذ أحياء.

والله إنْ خَرَج منهم ذكرٌ ولا أنثى حروريًّا قط، ولا رضوا الذي هم عليه، ولا مالؤوهم فيه، بل كانوا يحدّثون بعيب رسول الله إياهم ونعتِه الذي نعتهم به، وكانوا يبغضونهم بقلوبهم، ويعادونهم بألسنتهم، وتشتدّ والله عليهم أيديهم إذا لقوهم.

ولعمري لو كان أمر الخوارج هُدًى لاجتمع، ولكنه كان ضلالاً فتفرّق. وكذلك الأمر إذا كان من عند غير الله وجدت فيه اختلافًا كثيرًا. فقد ألاصوا[[4]](#footnote-4))[[5]](#footnote-5)) هذا الأمر منذ زمان طويل، فهل أفلحوا فيه يومًا أو أنجحوا؟ يا سبحان الله؟ كيف لا يعتبر آخر هؤلاء القوم بأوّلهم؟ لو كانوا على هدى، قد أظهره الله وأفلجه ونصره، ولكنهم كانوا على باطل أكذبه الله وأدحضه. فهم كما رأيتهم، كلما خَرج لهم قَرْنٌ أدحض الله حجتهم، وأكذب أحدوثتهم، وأهرَاق دماءهم، إن كتموا كان قَرْحًا في قلوبهم، وغمًّا عليهم، وإن أظهروه أهرَاق الله دماءهم، ذاكم والله دينُ سَوْء فاجتنبوه، والله إنّ اليهودية لبدعة، وإن النصرانية لبدْعة، وإن الحرورية لبدعة، وإن السبائية لبدعة، ما نزل بهن كتابٌ ولا سنَّهنّ نبيّ".[[6]](#footnote-6))[[7]](#footnote-7))

ولقد حرصت على أن آتي بهذا الخبر جميعه عن هذا الإمام العظيم من أئمة التفسير لما فيه من العبرة والعظة، ولما اشتمل عليه من الدقة والفراسة.

ومما يزيد في خطورة هذه الفرقة أمران:ـ

1ـ أنهم يبنون معتقدهم على استدلالات استنبطوها من آيات القرآن الكريم بفهمهم المخالف لفهم السلف مما جعله يجد رواجاً عند فئام من المغفلين والجاهلين بتفسير السلف لتلك الآيات.

2ـ أن مذهبهم قائم على السيف والقتل، والعنف والدم، ولا يخفى على كل عاقل لبيب ما أثخنوا به الأمة الإسلامية من الجراح، وما أذاقوها من الويلات قتلاً وتشريداً، في الزمن الأول، وفي زماننا هذا.

فكان لابد من إظهار زيف أقوالهم وردها، وتتبع تفسيراتهم، وبيان معتقداتهم، ودحض شبههم، وتفنيد آرائهم، وإظهار الحق من أقوال المفسرين.

وقد وفقني ربي ـ وهو المستعان ـ لجمع الآيات التي استدل بها الخوارج على منهجهم، وتشبثوا بها في بناء معتقدهم، وموقف المفسرين من ذلك الاستدلال، وجعلته بعنوان: "جهود المفسرين في الرد على الخوارج" فأسأل الله أن يجعل هذا البحث طريق هداية لمن أراد الله هدايته، وسهماً في نحر كل صاحب هوىً وزيغ وضلال.

**أهمية الموضوع:**

**تتجلى أهمية الموضوع في النقاط التالية:**

1ـ أن الخوارج من الفرق التي قد امتدت جذورها، فلا تكاد تختفي حتى تظهر من جديد وربما بلون آخر، واسم آخر[[8]](#footnote-8))[[9]](#footnote-9)).

2ـ أن كلام الخوارج ليس في مسائل العقيدة فحسب، بل شمل أكثر مسائل الدين.

3ـ تكمن خطورتهم في ادعائهم الاعتماد على الكتاب والسنة.

4ـ تعلق الموضوع بتفسير القرآن الكريم.

5ـ تأثير هذا الفكر في زماننا هذا على فئام من الناس.

6ـ الحاجة إلى دحض حججهم وتفنيد أقوالهم.

7ـ الخروج على الحكام ومقاتلتهم، وتكفير المسلمين، من أعظم ما ابتلي به المسلمون في هذا الزمان، ولاشك أن هذا أصل من أصول الخوارج.

**أسباب اختيار الموضوع:**

**من أهم الأسباب التي دعتني للكتابة في هذا الموضوع:**

1ـ ارتباط الموضوع بالقرآن الكريم وتفسيره.

2ـ إبراز جهود المفسرين في الرد على الخوارج لإنها مبثوثة في تفاسيرهم.

3ـ الذي ينقض البدع هم أهل العلم وكتب التفسير مليئة في الرد على الخوارج في الأمور التي خالفوا فيها جماعة المسلمين.

4ـ الخوارج يستدلون على معتقدهم من القرآن الكريم، ويفسرونه بحسب أهوائهم ومعتقداتهم، فكان لابد من بيان جهود المفسرين في الرد على شبههم الواهية.

5ـ لاشك أن العقيدة السليمة أعظم ما يوفق له العبد، والدفاع عنها من أعظم الجهاد، وهذا البحث أحسب أنه قد جمع الأمرين جميعاً.

**الدراسات السابقة:**

هناك دراسات متعددة حول الخوارج في معتقدهم ولكنها في باب العقيدة ومن تلك الكتب:

1ـ الخوارج طليعة التكفير في الإسلام المؤلف: أمام حنفي عبد الله

كتابه في مجلد واحد، الطبعة الأولى، الناشر: دار الآفاق العربية.

2ـ الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام لـ ناصر بن عبد الكريم العقل.

وكتابه في مجلد واحد، طبعة عام 1416هـ دار الوطن الرياض.

3ـ الخوارج دعاة على أبواب جهنم لـ محمود لطفي عامر

الناشر: دار المحجة البيضاء، طبعة عام 1419هـ

4ـ تفسير كتاب الله العزيز لهود بن محكم الهواري من الإباضية. **وقد طبع هذا التفسير حديثاً في مجلدين بدار الغرب الإسلامي عام 1990م ، وقد حققه وعلق عليه بالحاج بن سعيد شريفي**.

**ومن الرسائل العلمية:**

1ـ الخوارج تأريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها لـ د.غالب بن علي العواجي، الطبعة الأولى، 1418هـ الناشر: مكتبة لينة ـ مصرـ والكتاب في أصله رسالة (ماجستير).

2ـ تقريرات أئمة الدعوة في مخالفة مذهب الخوارج وإبطاله (رسالة دكتوراه من الجامعة الإسلامية) للشيخ الدكتور محمد هشام طاهري، طبعة غراس للنشر والتوزيع، ورق أصفر، مجلد واحد ( أكثر من 1000 صفحة ) .

3ـ تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة لـ عبد اللطيف بن عبد القادر الحفظي، والكتاب في مجلد واحد، الطبعة الأولى 1421هـ الناشر: دار الأندلس الخضراء، والكتاب في أصله رسالة (ماجستير) من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

4ـ تفسير القرآن الكريم عند الإباضية من القرن الأول حتى القرن السادس الهجري دراسة مقارنة القرآن، الباحث: سليم بن سعيد بن سليم العاصمي رسالة (ماجستير) جزء واحد المشرف على الرسالة: أ.د حسيب حسن السامرائي الأردن جامعة آل البيت 1998م.

**ولكن جميع هذه الكتب والرسائل لم تظهر جهود المفسرين في الرد على الخوارج.**

**خطة البحث:**

**قمت بتقسيم بحثي إلى مقدمة، وتمهيد، وبابين، وخاتمة وفهارس.**

**المقدمة وتشتمل على التالي:**

1ـ الافتتاحية.

2ـ أهمية الموضوع.

3ـ سبب اختيار الموضوع.

4ـ الدراسات السابقة.

5ـ خطة البحث.

6ـ المنهج المتبع في البحث.

**التمهيد ويشتمل على أربعة مباحث:**

**المبحث الأول:** التعريف بالخوارج

**المبحث الثاني:** نشأة الخوارج ووقت خروجهم

**المبحث الثالث:** الآيات والأحاديث الواردة فيهم وفي التحذير منهم

**المبحث الرابع:** حكم الخوارج وتحذير العلماء منهم.

**الباب الأول: جهود المفسرين في الرد على الخوارج فيما يتعلق بالعقائد ويشتمل على ثلاثة فصول : ـ**

**الفصل الأول: جهود المفسرين في الرد على الخوارج فيما تأولت فيه صفات الله تعالى، وتحته ستة مباحث:**

**المبحث الأول:** جهود المفسرين في الرد على تأويلات الخوارج للآيات الواردة بشأن النَّفس.

**المبحث الثاني:** جهود المفسرين في الرد على تأويلات الخوارج للآيات الواردة بشأن الوجه.

**المبحث الثالث:** جهود المفسرين في الرد على تأويلات الخوارج للآيات الواردة بشأن اليد.

**المبحث الرابع:** جهود المفسرين في الرد على تأويلات الخوارج للآيات الواردة بشأن العين.

**المبحث الخامس:** جهود المفسرين في الرد على تأويلات الخوارج للآيات الواردة بشأن الاستواء.

**المبحث السادس:** جهود المفسرين في الرد على تأويلات الخوارج للآيات الواردة بشأن رؤية الله عز وجل.

**الفصل الثاني: جهود المفسرين في الرد على الخوارج فيما تأولت من الأمور الغيبية وتحته أربعة مباحث:**

**المبحث الأول:** جهود المفسرين في الرد على تأويلات الخوارج للآيات الواردة في عذاب القبر.

**المبحث الثاني:** جهود المفسرين في الرد على تأويلات الخوارج للآيات الواردة في الشفاعة.

**المبحث الثالث:** جهود المفسرين في الرد على تأويلات الخوارج للآيات الواردة في خلق الجنة والنار قبل يوم القيامة.

**المبحث الرابع:** جهود المفسرين في الرد على تأويلات الخوارج للآيات في خلق القرآن ـ على زعمهم ـ.

**الفصل الثالث: جهود المفسرين في الرد على الخوارج فيما يتعلق بأفعال المكلفين وتحته أربعة مباحث:**

**المبحث الأول:** جهود المفسرين في الرد علىمذهب الخوارج في خلق العباد لأفعالهم، وما تأولوه من الآيات في ذلك.

**المبحث الثاني:** جهود المفسرين في الرد علىمذهب الخوارج في عدم التفريق بين الإسلام والإيمان وما تأولوه من الآيات في ذلك.

**المبحث الثالث:** جهود المفسرين في الرد علىمذهب الخوارج في تكفير مرتكب الكبيرة، وما تأولوه من الآيات في ذلك.

**المبحث الرابع:** جهود المفسرين في الرد على الخوارج فيما تأولوه من الآيات لإثبات دعواهم في المنزلة بين المنزلتين (عند الإباضية).

**الفصل الرابع: جهود المفسرين في الرد على ما تأولت الخوارج فيما يتعلق بالحاكمية وتحته مبحثان:**

**المبحث الأول:** جهود المفسرين في الرد على تأويلات الخوارج للآيات في تكفير من حكم بغير ما أنزل الله .

**المبحث الثاني:** جهود المفسرين في الرد على تأويلات الخوارج بشأن الخروج على الأئمة وتحته مطلبان:

**المطلب الأول:** ما تأولت في تحريم طاعتهم، والرد عليهم.

**المطلب الثاني:** ما تأولوا في وجوب الخروج عليهم، والرد عليهم.

**الباب الثاني: جهود المفسرين في الرد على الخوارج فيما يتعلق بالأحكام ويشتمل على ثلاثة فصول.**

**الفصل الأول: جهود المفسرين في الرد على الخوارج فيما يتعلق بالعبادات وتحته أربعة مباحث:**

**المبحث الأول:** جهود المفسرين في الرد على الخوارج فيما تأولوا من آيات بقصر الصلاة على صلاتين.

**المبحث الثاني:** جهود المفسرين في الرد على الخوارج فيما تأولوا من آيات لاشتراط الخوف لجواز القصر في السفر .

**المبحث الثالث:** جهود المفسرين في الرد على الخوارج فيما تأولوا من آيات لمنع الصلاة خلف الفاسق .

**المبحث الرابع:** جهود المفسرين في الرد على الخوارج فيما تأولوا من آيات لإنكار المسح على الخفين.

**الفصل الثاني: جهود المفسرين في الرد على الخوارج فيما يتعلق بالجنايات والحدود وتحته خمسة مباحث:**

**المبحث الأول:** جهود المفسرين في الرد على الخوارج فيما تأولوا من آيات لإبطال حكم الرجم.

**المبحث الثاني:** جهود المفسرين في الرد على الخوارج فيما تأولوا من آيات لإبطال حد القذف.

**المبحث الثالث:** جهود المفسرين في الرد على الخوارج فيما تأولوا من آيات في شأن حد السرقة.

**المبحث الرابع:** جهود المفسرين في الرد على الخوارج فيما تأولوا من آيات لتوريث القاتل العمد من المقتول.

**المبحث الخامس:** جهود المفسرين في الرد على الخوارج فيما تأولوا من آيات في وجوب دية قتل الخطأ أنها على القاتل فقط.

**الفصل الثالث: جهود المفسرين في الرد على الخوارج فيما** **يتعلق بالنكاح والأطعمة ويشتمل على مبحثان:**

**المبحث الأول: جهود المفسرين في الرد على الخوارج فيما يتعلق بالنكاح وفيه مطلبان.**

**المطلب الأول:** جهود المفسرين في الرد على الخوارج في تأويلهم للآيات في ما يتعلق بالجمع بين أكثر من أربع نسوة.

**المطلب الثاني:** جهود المفسرين في الرد على الخوارج فيما تأولوا من الآيات في إباحة الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها.

**المبحث الثاني: جهود المفسرين في الرد على الخوارج فيما يتعلق بالأطعمة وغيرها وفيه مطلبان.**

**المطلب الأول:** قصرهم المطعومات على أربع.

**المطلب الثاني:** قولهم في أن الحرام لا يسمى رزقاً.

الخاتمة: **وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها، وتوصيات البحث.**

الفهارس، **وتشتمل على: ـ**

1ـ فهرس الآيات القرآنية

2ـ فهرس الأحاديث النبوية

3ـ فهرس الآثار

4ـ فهرس الأشعار

5ـ فهرس الأعلام المترجم لهم

6ـ فهرس المصادر والمراجع

7ـ فهرس الموضوعات.

**المنهج المتبع في كتابة البحث:**

1ـ ذكر نص الآية التي استدل بها الخوارج في أول كل مبحث.

2ـ شرح الآية إجمالاً، متبعاً في ذلك طرق التفسير المعروفة.

3ـ اعتماد ما قاله المفسرون في نسبتهم القول للخوارج، ولا بأس أن أستشهد بأقوال غيرهم، مع نسبة كل قول إلى قائله وتوثيق ذلك.

4ـ إيراد ما استدل به الخوارج من الآيات، وما أثاروه من شبهات.

5ـ منا قشة أقوالهم، والرد عليهم، وبيان الراجح، وكل ذلك من خلال كتب التفسير.

6ـ الاعتماد في بحثي على ما نقل عن الخوارج في عشرة تفاسير هي من أكثر ما وجدته يهتم بإيراد أقوال الخوارج والرد عليها وهي كالتالي:

أـ جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري

ب ـ معالم التنزيل، للبغوي

ج ـ الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري

د ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية

هـ ـ مفاتيح الغيب للرازي

و ـ الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي

زـ تفسير القرآن العظيم، لابن كثير

ح ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، للشوكاني

ط ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي

ي ـ محاسن التأويل، للقاسمي

**وسأتعامل مع المادة العلمية من خلال النقاط الآتية:**

1ـ عزو الآيات، بذكر سورها، وأرقامها، وكتابتها بالرسم العثماني.

2ـ عزو الأحاديث النبوية إلى مصادرها من كتب السنة، فما كان في الصحيحين فإني أكتفي بعزوه إليهما، وإن لم يكن كذلك فإني أعزوه إلى من رواه مع ذكر كلام أهل العلم في بيان درجته.

3ـ عزو الآثار إلى مظانها.

4ـ توثيق النقول والنصوص من مصادرها الأصيلة.

5ـ ترجمة الأعلام غير المشهورين ترجمة موجزة.

6ـ توضيح معنى الغريب، وتفسير المصطلحات العلمية.

7ـ التعريف الموجز بالأماكن والبلدان، والقبائل والطوائف، وكل ما يحتاج إلى تعريف.

8ـ الالتزام بعلامات الترقيم، وضبط ما يحتاج إلى ضبط.

9ـ تذييل البحث بالفهارس الفنية على النحو المبين في الخطة.

**التمهيد ويشتمل على أربعة مباحث:**

**المبحث الأول:** التعريف بالخوارج

**المبحث الثاني:** نشأة الخوارج ووقت خروجهم

**المبحث الثالث:** الآيات والأحاديث الواردة فيهم وفي التحذير منهم

**المبحث الرابع:** حكم الخوارج وتحذير العلماء منهم.

التعريف بالخوارج:

في اللغة: الخوارج في اللغة جمع خارج، وخارجي، اسم مشتق من الخروج، وقد أطلق علماء اللغة كلمة الخوارج في آخر تعريفاتهم اللغوية في مادة ((خرج)) على هذه الطائفة من الناس؛ معللين ذلك بخروجهم عن الدين أو على الإمام علي، أو لخروجهم على الناس أو عن الحق أقوال[[10]](#footnote-10))[[11]](#footnote-11)).

ويقول ابن حجر[[12]](#footnote-12)(2) ـ رحمه الله ـ:" أما الخوارج فهم جمع خارجة أي طائفة، وهم قوم مبتدعون، سموا بذلك لخروجهم عن الدين، وخروجهم على خيار المسلمين، وأصل بدعتهم فيما حكاه الرافعي في الشرح الكبير أنهم خرجوا على علي "[[13]](#footnote-13)(3).

ويلاحظ التناسب الكبير بين ما عليه أهل اللغة وما عليه منهج الخوارج إذ أنهم خارجون على أئمة المسلمين وجماعتهم، وعلى عقيدة الإسلام ولم يكن لهم سلف صالح بل إنهم فاقوا وتميزوا على غيرهم من أهل البدع ما لم يسبقوا إليه، حيث صاروا يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان.

**وأما في الاصطلاح:** فقد اختلف العلماء في التعريف الاصطلاحي للخوارج، فمنهم من عرفهم تعريفاً سياسياً عاماً، اعتبر الخروج على الإمام المتفق على إمامته الشرعية خروجاً في أي زمن كان.

كما قال الشهرستاني[[14]](#footnote-14))[[15]](#footnote-15)):" كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان، والأئمة في كل زمان"[[16]](#footnote-16))[[17]](#footnote-17))

وهذا لاشك أنه تعريف ناقص، لأنك لا تستطيع من خلاله أن تميز بين الخوارج الذين اشتهروا بمعتقداتهم الفاسدة، بالإضافة إلى ما تميزوا به من البغي وخروجهم على الأئمة، وبين البغاة الخارجون على أئمتهم دون اعتقاد يعتقدونه.

ومنهم من خصهم بالطائفة الذين خرجوا على الإمام علي. قال الأشعري[[18]](#footnote-18))[[19]](#footnote-19)):" والسبب الذي سُمّوا له خوارج؛ خروجهم على علي بن أبي طالب "([[20]](#footnote-20)).

وما ذكره الأشعري هنا ليس تعريفاً وإنما هو مجرد سبب تسمية لا غير، بالإضافة إلى أنه كسابقه لم يميز البغاة الذين ليست لهم عقائد يعتقدونها سوى خروجهم على أئمتهم وسلاطينهم ربما لأهداف دنيوية أو كيدية.

وذكر ابن حزم[[21]](#footnote-21)(3) ـ رحمه الله ـ بأن اسم الخارجي يلحق كل من أشبه

الخارجين على الإمام عليّ، أو شاركهم في آرائهم في أي زمن([[22]](#footnote-22)).

قال د. غالب العواجي:" وعرفهم بعض علماء الإباضية[[23]](#footnote-23)(2)، بأنهم: طوائف من الناس في زمن التابعين وتابع التابعين أولهم نافع بن الأزرق[[24]](#footnote-24)(3) ، ولم أر هذا التعريف عند أحد غير الإباضية.

وهذا التعريف لأبي إسحاق أطفيش[[25]](#footnote-25))[[26]](#footnote-26))، يريد منه أن لا علاقة بين المحكمة الأولى - الذين لا يعتبرهم خوارج لشرعية خروجهم كما يزعم - وبين من بعدهم إلى قيام نافع سنة 64هـ، وهذا التعريف غير مقبول حتى عند بعض علماء الإباضية"[[27]](#footnote-27))[[28]](#footnote-28))0

ونستطيع أن نستخلص من ما مضى تعريفاً مختصراً وهو أنهم: طائفة خرجت على إمام زمانها في وقته وهو علي بن أبي طالب لهم منهج واعتقاد يسيرون عليه.

**المبحث الثاني:** نشأة الخوارج ووقت خروجهم:

اختلف العلماء في تحديد نشأة الخوارج على أقوال:

القول الأول: يرى أنهم ظهروا في زمن النبي ، وذلك حينما قام ذو الخويصرة التميمي[[29]](#footnote-29))[[30]](#footnote-30)) واعترض على قسمة رسول اللَّه للفيء،

وأنه لم يعدل -حاشاه- في قسمتها[[31]](#footnote-31))[[32]](#footnote-32))، وهذا القول هو **المترجح** عندي، وهو الذي تميل إليه النفس، وبه قال كثير من العلماء منهم: الشهرستاني، وابن حزم وابن الجوزي[[33]](#footnote-33))[[34]](#footnote-34))،

والآجري[[35]](#footnote-35))[[36]](#footnote-36))، والذي يقوي هذا القول هو أن هذا الرجل لم يزل حياً إلى أن قتل مع الخوارج بالنهروان، فهو البذرة الأولى للخوارج بنص حديث النبي ولاشك أنه قال بقولهم، واعتقد معتقدهم، إذ قتل في جيشهم كما في ترجمته ـ قبحه الله ـ.

مع العلم أنا إذا قلنا بهذا القول فإنه يدخل فيه من بعدهم تبعاً، اللهم إلا من كان لا يقول بقولهم، ولا يعتقد معتقدهم، ولذلك تر الذين خرجوا على عثمان لم يخرجوا إلا بعد أن اعتقدوا كفره[[37]](#footnote-37))[[38]](#footnote-38))، واستحلوا دمه وماله، وفي خبر مقتله أنه عندما مر عليه بعض أولئك النفر من الخوارج ورآه مقتولاً ورأسه على المصحف قال: (ما رأيت كاليوم وجه كافر أحسن، ولا مضجع كافر أكرم) وقول الآخر: (أيحل لنا دمه ولا يحل لنا ماله)([[39]](#footnote-39)).

وأما القول الثاني: فيرى أصحابه أن الخوارج ظهروا في عهد عثمان عندما خرجوا عليه.

القول الثالث: يرى أصحابه أنهم ظهروا حين خرج من خرج على علي .

القول الرابع: أنهم ظهروا في عهد نافع بن الأزرق، ابتداء من سنة 64هـ.

وغير ذلك من الأقوال([[40]](#footnote-40)) هو داخل فيما ذُكِرَ والله تعالى أعلم بالصواب.

**المبحث الثالث:** الآيات والأحاديث الواردة فيهم وفي التحذير منهم:

أما بالنسبة للآيات فقد عد علماء التفسير بعضاً من ذلك ومنه قوله تعالى ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ آل عمران: ٧وكان قتادة([[41]](#footnote-41)) إذا قرأ هذه الآية: ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﭼ قال: إن لم يكونوا الحرُوريّة[[42]](#footnote-42))[[43]](#footnote-43)) والسبائية[[44]](#footnote-44))[[45]](#footnote-45))

فلا أدري من هم([[46]](#footnote-46)).0

عن عبد الله بن أبي مليكة[[47]](#footnote-47))[[48]](#footnote-48))، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قرأ رسول الله ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ آل عمران: ٧ إلى قوله ﭽ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﭼ آل عمران: ٧ فقال:فإذا رأيتم الذين يجادلون فيه، فهم الذين عنى الله، فاحذرُوهم**.** [[49]](#footnote-49))**[[50]](#footnote-50)**)

قوله تعالى ﭽ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ آل عمران: ١٠٦

عن أبي أمامة ﭽ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ قال: هم الخوارج[[51]](#footnote-51))[[52]](#footnote-52)).

قوله تعالى ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ الكهف: ١٠٣،عن أبي الطفيل[[53]](#footnote-53))[[54]](#footnote-54))، قال:

سأل عبد الله بن الكوّاء[[55]](#footnote-55))[[56]](#footnote-56)) علياً عن قوله ﭽ ﮓ ﮔ

ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ قال: أنتم يا أهل حَروراء[[57]](#footnote-57))[[58]](#footnote-58)).

وعن عليّ بن أبي طالب، أن ابن الكوّاء سأله، عن قول الله عزّ وجلّ ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ فقال عليّ: أنت وأصحابك.

وعن نافع بن جبير بن مطعم([[59]](#footnote-59))، قال: قال ابن الكوّاء لعليّ بن أبي طالب: ما الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا؟ قال: أنت وأصحابك.

قوله تعالى ﭽ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﭼ الصف: ٥

عن أَبي أمامة في قوله ﭽ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﭼ قال: هم الخوارج([[60]](#footnote-60)).

أقول والحق في ذلك أن يقال: أن تأويل الآية، وما وقع شبيهاً لها من الآيات، هو كما قال ابن كثير[[61]](#footnote-61))[[62]](#footnote-62)) ـ رحمه الله ـ:" ومعنى هذا عن علي،: أن هذه الآية الكريمة تشمل الحرورية كما تشمل اليهود والنصارى وغيرهم، لا أنها نزلت في هؤلاء على الخصوص ولا هؤلاء بل هي أعم من هذا، فإن هذه الآية مكية قبل خطاب اليهود والنصارى وقبل وجود الخوارج بالكلية، وإنما هي عامة في كل من عَبَدَ الله على غير طريقة مرضية، يحسب أنه مصيب فيها، وأن عمله مقبول، وهو مخطئ، وعمله مردود، كما قال تعالى: ﭽ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ الغاشية: ٤

وقوله تعالى: ﭽ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ الفرقان: ٢٣ وقال تعالى: ﭽ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﭼ النور: ٣٩.[[63]](#footnote-63))[[64]](#footnote-64))

وهو ما قاله الطبري[[65]](#footnote-65))[[66]](#footnote-66)) ـ رحمه الله ـ أيضاً حيث رجح أنه عُني بها كل عامل عملاً يحسبه فيه مصيباً، وأنه لله بفعله ذلك مطيع مرض، وهو بفعله ذلك لله مسخط، وعن طريق أهل الإيمان به جائر، كالرهبانية والشمامسة وأمثالهم من أهل الاجتهاد في ضلالتهم، وهم مع ذلك من فعلهم واجتهادهم بالله كفرة، من أهل أي دين كانوا"[[67]](#footnote-67))[[68]](#footnote-68)).

ومثل ذلك قوله تعالى:ﭽ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ فاطر: ٨ قال ابن عباس : نزلت في أبي جهل ومشركي مكة.

وقال سعيد بن جبير[[69]](#footnote-69))[[70]](#footnote-70)): نزلت في أصحاب الأهواء والبدع.

وقال قتادة:" منهم الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم، فأما أهل الكبائر فليسوا منهم، لأنهم لا يستحلون الكبائر"[[71]](#footnote-71))[[72]](#footnote-72)).

وروي عن أبي أمامة عن رسول الله في قول الله تعالىﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ آل عمران: ١١٨قال : "هم الخوارج"([[73]](#footnote-73))

قوله تعالىﭽ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼ الغاشية: ٢ - ٣

عن علي أنهم أهل حروراء ؛ يعني الخوارج الذين ذكرهم رسول اللّه فقال: "تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وأعمالكم مع أعمالهم، يمرقون من الدين كما تمرق السهم من الرميَّة..." الحديث. [[74]](#footnote-74))[[75]](#footnote-75))

وأما **الأحاديث** الواردة في الخوارج فإنها قد وصلت إلى حد التواتر ذكر ابن حجر ـ رحمه الله ـ في الفتح أن الذين روو أحاديث الخوارج خمسة وعشرين صحابياً قال ـ رحمه الله ـ:" والطرق إلى كثرتهم متعددة كعلي وأبي سعيد وعبد الله بن عمر وأبي بكرة وأبي برزة وأبي ذر, فيفيد مجموع خبرهما القطع بصحة ذلك عن رسول الله ([[76]](#footnote-76)).

ومن تلك الأحاديث:

عن سويد بن غفلة[[77]](#footnote-77))[[78]](#footnote-78)) قال: قال علي : إذا حدثتكم عن رسول الله فلأن أخر من السماء أحب إلي من أكذب عليه, وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم؛ فإن الحرب خدعة سمعت رسول الله يقول: يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، أينما لقيتوهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة[[79]](#footnote-79))[[80]](#footnote-80)) .

2ـ عن زيد بن وهب الجهني[[81]](#footnote-81))[[82]](#footnote-82)): أنه كان في الجيش الذين كانوا مع علي الذين ساروا إلى الخوارج فقال علي: أيها الناس إني سمعت رسول الله يقول: يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء, ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء, ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لو يعلم الجيش الذي يصيبونهم ما قضي لهم على لسان نبيهم لاتكلوا عن العمل, وآية ذلك أن فيهم رجلاً له عضد وليس له ذراع، على رأس عضده مثل حلمة الثدي، عليه شعرات بيض، فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام, وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريكم وأموالكم, والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم، فإنهم قد سفكوا الدم الحرام, وأغاروا في سرح الناس، فسيروا على اسم الله، قال سلمة بن كهيل[[83]](#footnote-83))[[84]](#footnote-84)): فنزلني زيد بن وهب منزلاً حتى قال: مررنا على قنطرة فلما التقينا وعلى الخوارج يومئذ عبدالله بن وهب الراسبي[[85]](#footnote-85))[[86]](#footnote-86)) فقال لهم: ألقوا الرماح، وسلوا سيوفكم من جفونها؛ فإني أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء، فرجعوا فوحشوا[[87]](#footnote-87))[[88]](#footnote-88)) برماحهم, وسلوا السيوف، وشجرهم الناس برماحهم[[89]](#footnote-89))[[90]](#footnote-90)) قال: وقتل بعضهم على بعض, وما أصيب من الناس يومئذ إلا رجلان.

فقال علي: التمسوا فيهم المخدج[[91]](#footnote-91))[[92]](#footnote-92)) فالتمسوه فلم يجدوه, فقام علي بنفسه حتى أتى ناساً قد قتل بعضهم على بعض قال: أخروهم، فوجدوه مما يلي الأرض فكبر، ثم قال: صدق الله وبلغ رسوله، قال: فقام إليه

عبيدة السلماني[[93]](#footnote-93))[[94]](#footnote-94)) فقال: يا أمير المؤمنين آلله الذي لا إله إلا هو لسمعت هذا الحديث من رسول الله ؟ فقال: إي والله الذي لا إله إلا هو حتى استحلفه ثلاثاً، وهو يحلف له[[95]](#footnote-95))[[96]](#footnote-96)).

3- عن عاصم بن كليب[[97]](#footnote-97))[[98]](#footnote-98)) عن أبيه[[99]](#footnote-99))[[100]](#footnote-100)) قال: كنت جالساً عند علي فقال: إني دخلت على رسول الله , وليس عنده أحد إلا عائشة رضي الله عنها فقال: يا ابن أبي طالب كيف أنت وقوم كذا وكذا؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: قوم يخرجون من المشرق، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، فمنهم رجل مخدج اليد كأن يديه ثدي حبشية[[101]](#footnote-101))[[102]](#footnote-102)).

4ـ عن عبيد الله بن عياض بن عمرو القاريء[[103]](#footnote-103))[[104]](#footnote-104)) أنه جاء عبد الله بن شداد بن الهاد[[105]](#footnote-105))[[106]](#footnote-106)) فدخل على عائشة ونحن عندها جلوس مرجعه من العراق ليالي قُتل علي بن أبي طالب فقالت له: يا ابن شداد بن الهاد هل أنت صادقي عما أسألك عنه؟ حدثني عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي بن أبي طالب ؟ قال: وما لي لا أصدقك قالت: فحدثني عن قصتهم.

قال : فإن علي بن أبي طالب لما كاتب معاوية وحكم الحكمان خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس فنزلوا بأرض يقال لها: حروراء - من جانب الكوفة - وإنهم عتبوا عليه.

فقالوا: انسلخت من قميص كساكه الله، اسم سماك الله به، ثم انطلقت فحكمت في دين الله، فلا حكم إلا لله، فلما بلغ علياً ما عتبوا عليه وفارقوه عليه، فأمر مؤذناً أن لا يدخل على أمير المؤمنين إلا من قد حمل القرآن فلما امتلأت الدار من قراء الناس، دعا بمصحف إمام عظيم فوضعه بين يديه فجعل يصكه بيده ويقول: أيها المصحف حدث الناس، فناداه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين ما تسأل عنه؟ إنما هو مداد في ورق، ونحن نتكلم بما رأينا منه فما تريد ؟

قال: أصحابكم أولاء الذين خرجوا بيني وبينهم كتاب الله، يقول الله في كتابه في امرأة ورجل: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ النساء: ٣٥ فأمة محمد أعظم حرمة أو ذمة من رجل وامرأة، ونقموا علي أني كاتبت معاوية كتبت علي بن أبي طالب، وقد جاء سهيل بن عمرو فكتب رسول الله : بسم الله الرحمن الرحيم، قال: لا تكتب بسم الله الرحمن الرحيم قال: وكيف نكتب؟ قال سهيل: اكتب: باسمك اللهم، فقال رسول الله : فاكتب: محمد رسول الله فقال: لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك! فكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله قريشاً .

يقول الله في كتابه: ﭽ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﭼ الأحزاب: ٢١ فبعث إليهم عبد الله بن عباس فخرجت معه حتى إذا توسطنا عسكرهم قام ابن الكواء فخطب الناس فقال: يا حملة القرآن هذا عبد الله بن عباس فمن لم يكن يعرفه فليعرفه؛ فأنا أعرفه من كتاب الله، هذا ممن نزل فيه, وفي قومه: ﭽ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﭼ الزخرف: ٥٨ فردوه إلى صاحبه ولا تواضعوه كتاب الله.

قال: فقام خطباؤهم فقالوا: والله لنواضعنه الكتاب؛ فإن جاء بالحق نعرفه لنتبعه, وإن جاء بباطل لنبكتنه بباطله، ولنردنه إلى صاحبه.

فواضعوا عبد الله بن عباس ثلاثة أيام، فرجع منهم أربعة آلاف كلهم تائب فيهم ابن الكواء، حتى أدخلهم علي على الكوفة، فبعث علي إلى بقيتهم. قال: قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتم، فقفوا حيث شئتم بيننا وبينكم: أن لا تسفكوا دماً حراماً، أو تقطعوا سبيلاً أو تظلموا ذمة؛ فإنكم إن فعلتم فقد نبذنا إليكم الحرب على سواء: ﭽ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﭼ الأنفال: ٥٨ فقالت له عائشة: يا ابن شداد فقد قتلهم؟ قال: فوالله ما بعث إليهم حتى قطعوا السبيل، وسفكوا الدماء، واستحلوا الذمة.

فقالت: والله؟ قال: والله الذي لا إله إلا هو لقد كان.

قالت: فما شيء بلغني عن أهل العراق يتحدثونه يقولون: ذا الثدية؟ مرتين، قال: قد رأيته وقمت مع علي عليه في القتلى فدعا الناس فقال: أتعرفون هذا؟ فما أكثر من جاء يقول: رأيته في مسجد بني فلان يصلي ولم يأتوا فيه بثبت يعرف إلا ذاك.

قالت: فما قول علي حين قام عليه كما يزعم أهل العراق؟

قال: سمعته يقول صدق الله ورسوله، قالت: فهل رأيته قال غير ذلك؟

قال: اللهم لا ، قالت: أجل صدق الله ورسوله، يرحم الله علياً، إنه كان من كلامه لا يرى شيئا يعجبه إلا قال: صدق الله ورسوله، فيذهب أهل العراق فيكذبون عليه ويزيدون في الحديث[[107]](#footnote-107))[[108]](#footnote-108)).

5ـ عن بسر بن سعيد[[109]](#footnote-109))[[110]](#footnote-110)) عن عبيدالله بن أبي رافع مولى رسول الله : أن الحرورية لما خرجت، وهو مع علي بن أبي طالب قالوا: لا حكم إلا لله، قال علي: كلمة حق أريد بها باطل، إن رسول الله وصف ناساً إني لأعرف صفتهم في هؤلاء: يقولون الحق بألسنتهم لا يجوز هذا منهم - وأشار إلى حلقه - من أبغض خلق الله إليه، منهم أسود إحدى يديه طبى شاة أو حلمة ثدي[[111]](#footnote-111))[[112]](#footnote-112))، فلما قتلهم علي بن أبي طالب قال: انظروا فنظروا فلم يجدوا شيئاً فقال: ارجعوا، فوالله ما كذبت، ولا كذبت، مرتين أو ثلاثاً، ثم وجدوه في خربة، فأتوا به حتى وضعوه بين يديه، قال عبيدالله: وأنا حاضر ذلك من أمرهم وقول علي فيهم[[113]](#footnote-113))[[114]](#footnote-114)).

6ـ عبيدة عن علي ، وذكر الخوارج فقال: فيهم مخدج اليد، أو مودن اليد، أو مثدن اليد[[115]](#footnote-115))[[116]](#footnote-116))، لولا أن تبطروا لحدثتكم بما وعد الله الذين يقتلونهم على لسان محمد قلت: أنت سمعته من محمد قال: إي ورب الكعبة، إي ورب الكعبة، إي ورب الكعبة([[117]](#footnote-117)).

7ـ عن أبي سعيد الخدري قال: بينما نحن عند رسول الله وهو يقسم قسماً أتاه ذو الخويصرة؛ وهو رجل من بني تميم فقال: يا رسول الله اعدل! فقال: ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل، فقال عمر: يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه؟ فقال: دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نضيه - وهو قدحه - فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه، شيء قد سبق الفرث والدم([[118]](#footnote-118))، آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة تدردر([[119]](#footnote-119))، ويخرجون على حين فرقة من الناس.

قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله , وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه؛ فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتي به حتى نظرت إليه على نعت النبي الذي نعته([[120]](#footnote-120)).

8ـ وعن أبي سعيد الخدري وأنس بن مالك: عن رسول الله قال: سيكون في أمتي اختلاف وفرقة، قوم يحسنون القيل، ويسيئون الفعل، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم, يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، لا يرجعون حتى يرتد على فوقه، هم شر الخلق والخليقة, طوبى لمن قتلهم وقتلوه، يدعون إلى كتاب الله, وليسوا منه في شىء، من قاتلهم كان أولى بالله تعالى منهم، قالوا: يا رسول الله ما سيماهم؟ قال:

التحليق([[121]](#footnote-121)).

9ـ جابر بن عبد الله : أتي رجل رسول الله بالجعرانة منصرفه من حنين, وفي ثوب بلال فضة ورسول الله يقبض منها يعطي الناس فقال: يا محمد اعدل قال: ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل؟ لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل.

فقال عمر بن الخطاب : دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق .

فقال: معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي، إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية([[122]](#footnote-122)).

10ـ عن أبي ذر قال: قال رسول الله : إن بعدي من أمتي أو سيكون من أمتي قوماً يقرؤون القرآن،لا يجاوز حلوقهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه، هم شرار الخلق والخليقة .

قال عبد الله بن الصامت: فذكرت ذلك لرافع بن عمرو أخي الحكم بن عمرو الغفاري .

فقال : وأنا أيضاً قد سمعته من رسول الله ([[123]](#footnote-123)).

11ـ عن يسير بن عمرو([[124]](#footnote-124)) قال: سألت سهل بن حنيف([[125]](#footnote-125)) هل سمعت النبي يذكر الخوارج؟ فقال: سمعته - وأشار بيده نحو المشرق - قوم يقرؤون القرآن بألسنتهم، لا يعدوا تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية([[126]](#footnote-126)) .

12ـ عن عبد الله بن عمر - وذكر الحرورية - فقال: قال النبي: يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية([[127]](#footnote-127)).

13ـ وعن أنس بن مالك أنه قال: انطلق بنا إلى الشام إلى عبد الملك([[128]](#footnote-128)) ونحن أربعون رجلاً من الأنصار ليفرض لنا، فلما رجع وكنا بفج الناقة، صلى بنا العصر ثم سلم, ودخل فسطاطه, وقام القوم يضيفون إلى ركعتيه ركعتين أخريين قال: فقال: قبح الله الوجوه، فوالله ما أصابت السنة, ولا قبلت الرخصة، فأشهد لسمعت رسول الله يقول: إن أقواماً يتعمقون في الدين يمرقون كما يمرق السهم من الرمية([[129]](#footnote-129)).

14ـ وعن أنس قال: ذكر لي أن رسول الله قال ولم أسمعه منه: إن فيكم قوماً يعبدون ويدأبون، حتى يعجب بهم الناس، وتعجبهم نفوسهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية([[130]](#footnote-130)).

15ـ وعن ابن عباس قال: قال رسول الله : ليقرأن القرآن ناس من أمتي يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية([[131]](#footnote-131)).

16ـ وعن سعيد بن جمهان([[132]](#footnote-132)) قال: أتيت عبد الله بن أبي أوفى([[133]](#footnote-133)) وهو محجوب البصر، فسلمت عليه فقال: من أنت؟ قلت: أنا سعيد بن جمهان قال: ما فعل والدك؟ قلت: قتلته الأزارقة([[134]](#footnote-134))، قال: لعن الله الأزارقة، لعن الله الأزارقة، ثم قال: سمعت رسول الله يقول: كلاب النار، قلت: الأزارقة وحدهم أو الخوارج كلها؟ قال: بل الخوارج كلها.

قلت: فإن السلطان يظلم الناس ويفعل بهم ويفعل بهم ويفعل؟ فتناول بيدي فغمزها غمزة شديدة ثم قال: يا ابن جمهان عليك بالسواد الأعظم؛ فإن كان السلطان يسمع منك فأته في بيته فأخبره بما تعلم، فإن قبل منك وإلا فدعه فلست بأعلم منه([[135]](#footnote-135)).

17ـ وعن عقبة بن وساج([[136]](#footnote-136)) قال: كان صاحب لي يحدثني عن عبد الله بن عمرو في شأن الخوارج فحججت, فلقيت عبد الله بن عمرو فقلت: إنك بقية أصحاب رسول الله , وقد جعل الله علماً، إن ناساً يطعنون على أمرائهم، ويشهدون عليهم بالضلالة، قال: على أولئك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، أتي رسول الله بسقاية من ذهب أو فضة، فجعل يقسمها بين أصحابه، فقام رجل من أهل البادية فقال: يا محمد، لئن كان الله أمرك بالعدل فلم تعدل، فقال: ويلك فمن يعدل عليكم بعدي؟

فلما أدبر قال رسول الله: إن في أمتي أشباه هذا يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم؛ فإن خرجوا فاقتلوهم، ثم إن خرجوا فاقتلوهم، قال ذلك ثلاثا([[137]](#footnote-137)).

18ـ وعن أبي غالب قال: رأى أبو أمامة رؤوساً منصوبة على درج مسجد دمشق فقال أبو أمامة: كلاب النار، شر قتلى تحت أديم السماء، خير قتلى من قتلوه، ثم قرأ ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﭼ آل عمران: ١٠٦ إلى آخر الآية قلت لأبي أمامة: أنت سمعته من رسول الله قال: لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين أو ثلاثاً أوأربعاً حتى عد سبعاً ما حدثتكموه([[138]](#footnote-138)) .

19ـ عن يحيى بن يزيد الهنائي([[139]](#footnote-139)) قال: كنت مع الفرزدق([[140]](#footnote-140)) في السجن فقال الفرزدق: لا أنجاه الله من يدي مالك بن المنذر بن الجارود([[141]](#footnote-141)) إن لم أكن انطلقت أمشي بمكة، فلقيت أبا هريرة وأبا سعيد الخدري، فسألتهما فقلت: إني من أهل المشرق, وإن قوماً يخرجون علينا، فيقتلون من قال لا إله إلا الله، ويأمن من سواهم، فقالا لي: وإلا فلا نجاني الله من مالك بن المنذر، سمعنا خليلنا يقول:" من قتلهم فله أجر شهيد أو شهيدين ومن قتلوه فله أجر شهيد"([[142]](#footnote-142)).

20ـ عن عبدالله بن الصامت، عن أبي ذر قال: قال رسول الله : إن بعدي من أمتي، أو سيكون بعدي من أمتي، قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حلاقيمهم، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه، هم شر الخلق والخليقة .

قال ابن الصامت: فلقيت رافع بن عمرو الغفاري، أخا الحكم الغفاري قلت: ما حديث سمعته من أبي ذر كذا وكذا؟ فذكرت له هذا الحديث فقال: وأنا سمعته من رسول الله ([[143]](#footnote-143)) .

21ـ عن أبي بكرة أن نبي الله مر برجل ساجد وهو ينطلق إلى الصلاة فقضى الصلاة، ورجع عليه وهو ساجد، فقال النبي : من يقتل هذا؟ فقام رجل فحسر عن يديه فاخترط سيفه وهزه؛ وقال: يا نبي الله بأبي أنت وأمي كيف أقتل رجلاً ساجداً، يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله؟ ثم قال: من يقتل هذا؟ فقام رجل فقال: أنا، فحسر عن ذراعيه واخترط سيفه فهزه حتى أرعدت يده، فقال: يا نبي الله كيف أقتل رجلاً ساجداً يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله؟ فقال النبي : والذي نفس محمد بيده لو قتلتموه لكان أول فتنة وآخرها([[144]](#footnote-144)) .

وعن أبي سعيد الخدري أن أبا بكر الصديق جاء إلى النبي فقال: يا رسول الله إني بواد كذا وكذا؛ فإذا رجل متخشع حسن الهيئة يصلي، فقال له النبي : اذهب فاقتله.

قال: فذهب إليه أبو بكر فلما رآه على تلك الحال كره أن يقتله، فرجع إلى رسول الله فقال النبي لعمر: اذهب فاقتله.

فذهب عمر فرآه على الحال الذي رآه أبو بكر فرجع، فقال: يا رسول الله إني رأيته يصلي متخشعاً فكرهت أن أقتله، قال: يا علي اذهب فاقتله، فذهب علي فلم يره، فرجع علي فقال: يا رسول الله إني لم أره، قال: فقال النبي : إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم في فوقه، فاقتلوهم هم شر البرية([[145]](#footnote-145)) .

22ـ عن جندب البجلي، أن حذيفة حدثه قال: قال رسول الله : إن ما أتخوف عليكم رجل قرأ القرآن حتى إذا رئيت بهجته عليه, وكان ردئاً للإسلام غيره إلى ما شاء الله فانسلخ منه, ونبذه وراء ظهره, وسعى على جاره بالسيف ورماه بالشرك قال: قلت: يا نبي الله أيهما أولى بالشرك المرمي أم الرامي؟ قال : بل الرامي([[146]](#footnote-146)) .

المبحث الرابع: حكم الخوارج وتحذير العلماء منهم.

لم يختلف العلماء قديماً و حديثاً أن الخوارج قوم سوء، عصاة لله عز و جل و لرسوله ، وإن صلوا و صاموا و اجتهدوا في العبادة، وإنما وقع الخلاف بين علماء الأمة في تكفيرهم على قولين:ـ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية([[147]](#footnote-147)) ـ رحمه الله ـ:" فإن الأمة متفقون على ذم الخوارج وتضليلهم، وإنما تنازعوا فى تكفيرهم على قولين مشهورين ....

أحدهما: أنهم بغاة([[148]](#footnote-148)).

والثانى: أنهم كفار كالمرتدين([[149]](#footnote-149))، يجوز قتلهم ابتداء، وقتل أسيرهم، وإتباع

مدبرهم، ومن قدر عليه منهم استتيب كالمرتد، فإن تاب وإلا قتل"([[150]](#footnote-150)).

وحيث أن هناك جمع من العلماء توقفوا في هذه المسألة فيمكن أن يعتبر أن هذا مسلك ثالث: وهو التوقف فيهم([[151]](#footnote-151))، وإمرار ما جاء فيهم من الوعيد على ظاهره دون الحكم عليهم.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية في هذه المسألة كلام نفيس، لابد أن يُعقل ولا يُغفل، يقول ـ رحمه الله ـ:" ومما يدل على أن الصحابة لم يكفروا الخوارج أنهم كانوا يصلون خلفهم.

وكان عبد الله بن عمر وغيره من الصحابة، يصلون خلف نجدة الحروري([[152]](#footnote-152))، وكانوا أيضاً يحدثونهم ويفتونهم ويخاطبونهم كما يخاطب المسلم المسلم، كما كان عبد الله بن عباس يجيب نجدة الحروري لما أرسل إليه يسأله عن مسائل، وحديثه في البخاري، وكما أجاب نافع بن الأزرق عن مسائل مشهورة، وكان نافع يناظره في أشياء بالقرآن كما يتناظر المسلمان، وما زالت سيرة المسلمين على هذا، ما جعلوهم مرتدين كالذين قاتلهم الصديق ، هذا مع أمر رسول الله بقتالهم في الأحاديث الصحيحة، وما روي من أنهم (شر قتلى تحت أديم السماء، خير قتيل من قتلوه) في الحديث الذي رواه أبو أمامة رواه الترمذي وغيره أي: أنهم شر على المسلمين من غيرهم، فإنهم لم يكن أحد شراً على المسلمين منهم، لا اليهود ولا النصارى، فإنهم كانوا مجتهدين في قتل كل مسلم لم يوافقهم، مستحلين لدماء المسلمين وأموالهم وقتل أولادهم، مكفرين لهم، وكانوا متدينين بذلك لعظم جهلهم، وبدعتهم المضلة، ومع هذا فالصحابة رضي الله عنهم، والتابعون لهم بإحسان، لم يكفروهم، ولا جعلوهم مرتدين، ولا اعتدوا عليهم بقول ولا فعل، بل اتقوا الله فيهم، وساروا فيهم السيرة العادلة، وهكذا سائر فرق أهل البدع والأهواء، من الشيعة والمعتزلة وغيرهم"([[153]](#footnote-153)).

وقال أيضاً في الفتاوى:" وهذا بخلاف بدعة الخوارج؛ فإن أصلها ما فهموه من القرآن فغلطوا في فهمه، ومقصودهم اتباع القرآن باطناً وظاهراً ليسوا زنادقة، وكذلك القدرية أصل مقصودهم تعظيم الأمر والنهي والوعد والوعيد، الذي جاءت به الرسل، ويتبعون من القرآن ما دل على ذلك، فعمرو بن عبيد([[154]](#footnote-154)) وأمثاله، لم يكن أصل مقصودهم معاندة الرسول كالذي ابتدع الرفض، وكذلك الإرجاء، إنما أحدثه قوم قصدهم جعل أهل القبلة كلهم مؤمنين ليسوا كفاراً، قابلوا الخوارج والمعتزلة فصاروا في طرف آخر، وكذلك التشيع المتوسط - الذي مضمونه تفضيل علي وتقديمه على غيره ونحو ذلك، لم يكن هذا من إحداث الزنادقة بخلاف دعوى النص فيه والعصمة، فإن الذي ابتدع ذلك كان منافقاً زنديقاً"([[155]](#footnote-155)).

وقال في موضع آخر:" والخوارج كانوا من أظهر الناس بدعة وقتالاً للأمة وتكفيراً لها، ولم يكن في الصحابة من يكفرهم، لا علي بن أبي طالب، ولا غيره بل حكموا فيهم بحكمهم في المسلمين الظالمين المعتدين كما ذكرت الآثار عنهم بذلك في غير هذا الموضع"([[156]](#footnote-156)) .

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح:

"وذهب أكثر أهل الأصول من أهل السنة إلى أن الخوارج فساق، وأن حكم الإسلام يجري عليهم، لتلفظهم بالشهادتين، ومواظبتهم على أركان الإسلام، وإنما فسقوا بتكفيرهم المسلمين، مستندين إلى تأويل فاسد، وجرهم ذلك إلى استباحة دماء مخالفيهم وأموالهم، والشهادة عليهم بالكفر والشرك"([[157]](#footnote-157)).

ويقول الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم:"

المذهب الصحيح المختار الذى قاله الأكثرون والمحققون، أن الخوارج لا يكفرون كسائر أهل البدع"([[158]](#footnote-158)).

وبأقوال أمثال هؤلاء من الأئمة والعلماء يميل طالب العلم إلى القول بعدم تكفير الخوارج، اقتداءً بأصحاب النبي في ذلك، مع تبديعهم وتضليلهم، والحزم معهم، ومقاتلتهم إذا بغوا واعتدوا، وأخافوا المسلمين([[159]](#footnote-159)).

**الباب الأول: جهود المفسرين في الرد على الخوارج فيما يتعلق بالعقائد ويشتمل على ثلاثة فصول : ـ**

**الفصل الأول: جهود المفسرين في الرد على الخوارج فيما تأولت فيه صفات الله تعالى، وتحته ستة مباحث:**

**المبحث الأول:** جهود المفسرين في الرد على تأويلات الخوارج للآيات الواردة بشأن النَّفس.

**المبحث الثاني:** جهود المفسرين في الرد على تأويلات الخوارج للآيات الواردة بشأن الوجه.

**المبحث الثالث:** جهود المفسرين في الرد على تأويلات الخوارج للآيات الواردة بشأن اليد.

**المبحث الرابع:** جهود المفسرين في الرد على تأويلات الخوارج للآيات الواردة بشأن العين.

**المبحث الخامس:** جهود المفسرين في الرد على تأويلات الخوارج للآيات الواردة بشأن الاستواء.

**المبحث السادس:** جهود المفسرين في الرد على تأويلات الخوارج للآيات الواردة بشأن رؤية الله عز وجل.

مقدمة في الصفات:

الخوارج كالمعتزلة([[160]](#footnote-160)) وكغيرهم من الفرق التي ضلت في أمر الصفات، فهم أولوا صفات الله سبحانه وتعالى([[161]](#footnote-161))، وحادوا بها عن الطريق المستقيم، ظناً منهم أنهم بذلك ينزهون الله تعالى عما لا يليق به، وفي الحقيقة أن من أثبت لله صفة لم يثبتها لنفسه سبحانه وتعالى أو رسوله ،أو على العكس من ذلك بأن ينفي عن الله صفة أثبتها لنفسه، أو أثبتها له رسوله فإنه جعل نفسه أعلم من الله تعالى ﭽ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﭼ البقرة: ١٤٠.

يقول العلامة محمد الأمين الشنقيطي([[162]](#footnote-162)) ـ رحمه الله ـ في تفسيره:" فمن نفى عن الله وصفاً أثبته لنفسه في كتابه العزيز، أو أثبته له رسوله زاعماً أن ذلك الوصف يلزمه ما لا يليق بالله جل وعلا، فقد جعل نفسه أعلم من الله ورسوله بما يليق بالله جل وعلا،ﭽ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ

ومن اعتقد أن وصف الله يشابه صفات الخلق، فهو مشبه ملحد ضال، ومن أثبت لله ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله وسلم مع تنزيهه جل وعلا عن مشابهة الخلق، فهو مؤمن جامع بين الإيمان بصفات الكمال والجلال، والتنزيه عن مشابهة الخلق، سالم من ورطة التشبيه والتعطيل، والآية التي أوضح الله بها هذا هي قوله تعالى: ﭽ ﭡ ﭢ ﭣﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ الشورى: ١١ فنفى عن نفسه جل وعلا مماثلة الحوادث بقوله ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭼ وأثبت لنفسه صفات الكمال والجلال بقوله: ﭽ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ فصرح في هذه الآية الكريمة بنفي المماثلة مع الاتصاف بصفات الكمال والجلال"([[163]](#footnote-163)) .

ومن تأمل في الآيات القرآنية الواردة في صفات الله تعالى وجدها قائمة على أمرين أساسيين هما: 1ـ الإثبات و2ـ التنزيه.

ولذلك يقول فضيلة العلامة الأمين ـ رحمه الله ـ:" والله جل وعلا أوضح هذا غاية الإيضاح، ولم يترك فيه أي لبس ولا إشكال، وحاصل تحرير ذلك أنه جل وعلا بين أن الحق في آيات الصفات متركب من أمرين:

أحدهما: تنزيه الله جل وعلا عن مشابهة الحوادث في صفاتهم، سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً.

والثاني: الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه في كتابه، أو وصفه به رسوله ، لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله: ﭽ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﭼ البقرة: ١٤٠، ولا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله ، الذي قال فيه : ﭽ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭼ النجم: ٣ – ٤" ([[164]](#footnote-164)).

وعلى هذا سار سلف الأمة من الفقهاء والمفسرين، لم يحيدوا عن هذا الطريق قيد أنملة.

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره:" وأما قوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ يونس: ٣ فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جداً، ليس هذا موضع بسطها، وإنما يُسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح: مالك، والأوزاعي([[165]](#footnote-165))، والثوري([[166]](#footnote-166))، والليث بن سعد([[167]](#footnote-167))، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه([[168]](#footnote-168)) وغيرهم، من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل.

والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه، و ﭽ ﭡ ﭢ ﭣﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ بل الأمر كما قال الأئمة - منهم نُعَيْم بن حماد الخزاعي([[169]](#footnote-169)) شيخ البخاري -: "من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة، على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالى، ونفى عن الله تعالى النقائص، فقد سلك سبيل الهدى"([[170]](#footnote-170)).

**المبحث الأول:** جهود المفسرين في الرد على تأويلات الخوارج للآيات الواردة بشأن النَّفس.

وذلك في نحو قوله تعالى:

ﭽ ﯳ ﯴ ﯵﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﭼ آل عمران: ٢٨

ﭽ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ المائدة: ١١٦

ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁﮂ ﭼ الأنعام: ١٢

ﭽ ﮖ ﮗ ﭼ طه: ٤١

وقد وردت النّفسُ في أحاديث عدة منها:

ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: كنت نائمة إلى جنب رسول اللّه ، ثم فقدته، فطلبته، فوقعت يدي على قدميه وهو ساجد، وهو يقول: (اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك([[171]](#footnote-171)))

وعن أبي هريرة عن النبي أنه قال: (يقول اللّه تعالى: أنا مع عبدي حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملئه، وإن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، وإن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، وإن جاءني يمشي جئته أهرول([[172]](#footnote-172)))

وعن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه : (لما خلق اللّه الخلق كتب في كتابه على نفسه وهو مرفوع فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي([[173]](#footnote-173)))

وعن عبد اللّه بن مسعود قال: قال رسول اللّه : (ليس أحد أحب إليه المدح من اللّه تعالى، ومن أجل ذلك مدح نفسه، وليس أحد أغير من اللّه، ومن أجل ذلك حرم الفواحش، وليس أحد أحب إليه العذر من اللّه، ومن أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل([[174]](#footnote-174))).

وعن جويرية رضي الله عنها أن النبى خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال: ما زلت على الحال التى فارقتك عليها؟ قالت: نعم، قال النبى : لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن، سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته([[175]](#footnote-175))).

وروى أبو ذر عن النبي عن اللّه سبحانه وتعالى أنه قال:( إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا....([[176]](#footnote-176))).

وعن ابن عمر : أن رسول الله قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﭼ الزمر: ٦٧ ورسول الله يقول هكذا بيده

ويحركها، يقبل بها ويدبر، يمجد الرب نفسه أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا العزيز، أنا الكريم، فرجف برسول الله المنبر حتى قلنا ليخرن به([[177]](#footnote-177))).

وعن أبي هريرة عن رسول الله قال: التقى آدم، وموسى فقال موسى لآدم: أنت الذي أشقيت الناس وأخرجتهم من الجنة، قال له آدم: أنت الذي اصطفاك الله برسالته، واصطفاك لنفسه، وأنزل عليك التوراة، قال: نعم، قال: فوجدتها كتب علي قبل أن يخلقني، قال: نعم، فحج آدم موسى([[178]](#footnote-178))).

وعن عبد اللّه بن مسعود عن النبي أنه قال: ما قال عبد قط إذا أصابه هم أو حزن: اللهم إني عبدك وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي وغمي، إلا أذهب اللّه همه وغمه ، وأبدله مكان حزنه فرحا([[179]](#footnote-179))).

وقد اختلف أهل السنة في المراد بالنّفس في الآيات والأحاديث المتقدمة القول الأول: أن النفس المذكورة في الآيات هي ذات الله تعالى المتصفة بصفات الكمال([[180]](#footnote-180))، وليست صفة لها، فقوله سبحانه: ﭽ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦﮧ ﭼ أي: تعلم ما عندي ولا أعلم ما عندك.

ﭽ ﮖ ﮗ ﭼ أي: لي، ﭽ ﯳ ﯴ ﯵﯶ ﭼ أي: يحذركم الله ذاته، وهذا ليس من التأويل حتى يقال: كيف تؤولون؟ لكن يقال: إن لسان العرب يطلق النفس ويريد به الذات، فتقول: سقط الجدار نفسه، ومعلوم أن الجدار ليس له نفس والمقصود ذاته.

والقول الثاني: أن النفس صفة للذات كالسمع والبصر وغيرها من الصفات،

وهذا القول قال به بعض أهل السنة، من أبرزهم الإمام أبو حنيفة النعمان([[181]](#footnote-181)) وإمام الأئمة ابن خزيمة([[182]](#footnote-182)) ـ رحمه الله ـ في كتابه: التوحيد([[183]](#footnote-183))، وابن المقدسي([[184]](#footnote-184)) وغيرهم.

والراجح منهما القول الأول، وهو قول الجماهير كما قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ:" ومعلوم أن نفس الله التي هي ذاته المقدسة الموصوفة بصفات الكمال ليست مثل نفس أحد من المخلوقين، وقد ذهب طائفة من المنتسبين إلى السنة من أهل الحديث وغيرهم، وفيهم طائفة من أصحاب الشافعي و أحمد وغيرهما، إلى أن النفس صفة من الصفات، والصواب أنها ليست صفة، بل نفس الله هي ذاته سبحانه والموصوفة بصفاته سبحانه"([[185]](#footnote-185)).

يقول الإمام الطبري:" ﭽ ﯳ ﯴ ﯵﯶﭼ عني تعالى ذكره بذلك: ويخوفكم الله من نفسه أن تركبوا معاصيه أو توالوا أعداءه، فإلى الله مرجعكم ومصيركم بعد مماتكم ، ويوم حشركم لموقف الحساب)"([[186]](#footnote-186))

ويقول ـ رحمه الله ـ:" ﭽ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﭼ، يقول: إنك، يا رب، لا يخفى عليك ما أضمرته نفسي مما لم أنطق به ولم أظهره بجوارحي، فكيف بما قد نطقت به وأظهرته بجوارحي؟ يقول: لو كنت قد قلت للناس: اتخذوني وأمي إلهين من دون الله، كنت قد علمته، لأنك تعلم ضمائر النفوس مما لم تنطق به، فكيف بما قد نطقت به؟ ﭽ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦﮧ ﭼ ، يقول: ولا أعلم أنا ما أخفيته عني فلم تطلعني عليه، لأني إنما أعلم من الأشياء ما أعلمتنيه ﭽ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﭼ، يقول: إنك أنت العالم بخفيات الأمور التي لا يطلع عليها سواك، ولا يعلمها غيرك"([[187]](#footnote-187)).

ويقول السمعاني([[188]](#footnote-188)):" ﭽ ﯳ ﯴ ﯵﯶ ﭼ أي: يخوفكم إياه"([[189]](#footnote-189)).

قال الزجاج([[190]](#footnote-190)):" أي: ويحذركم الله إياه، ثم استغنوا عن ذلك بذا وصار المستعمل، قال تعالى ﭽ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦﮧ ﭼ فمعناه: تعلم ما عندي وما في حقيقتي، ولا أعلم ما عندك، ولا ما في حقيقتك"([[191]](#footnote-191)).

ويقول الإمام الشوكاني([[192]](#footnote-192)):" قوله : ﭽ ﯳ ﯴ ﯵﯶ ﭼ أي : ذاته المقدسة ، وإطلاق ذلك عليه سبحانه جائز في المشاكلة، كقوله : ﭽ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦﮧ ﭼ وفي غيرها"([[193]](#footnote-193))

وهكذا فإن المتأمل في تفاسير السلف رحمهم الله يجد أنهم يتعاملون مع هذه اللفظة على أنها تعني الذات المقدسة ولذلك يقول البغوي ـ رحمه الله ـ عند

قوله تعالى ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁﮂ ﭼ كتب، أي: قضى، ﭽ ﭿ ﮀ ﮁﮂ ﭼ هذا استعطاف منه تعالى للمتولين عنه إلى الإقبال عليه وإخبار بأنه رحيم بالعباد لا يعجل بالعقوبة، ويقبل الإنابة والتوبة"([[194]](#footnote-194)).

ويقول مقاتل بن سليمان في قوله ﭽ ﮖ ﮗ ﭼ:" واخترتك لنفسي رسولا"([[195]](#footnote-195))

الخوارج يأولون النفس في الآية بالعلم، وتارة بالذات، ولكنها ذاتٌ معطلةٌ عن جميع صفات الكمال كما هو اعتقادهم، يقول الهواري([[196]](#footnote-196)) في تفسيره عند قوله تعالى ﭽ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦﮧ ﭼ أي: تعلم ما أعلم، ولا أعلم ما تعلم أنت، ﭽ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﭼ([[197]](#footnote-197) )

ويقول ابن أطفيش في قوله:"ﭽ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦﮧﭼ: تعلم ما أخفيه فى نفسي، أو ما في ذاتي داخلاً، كما تعلم ما أظهره وما ظهر من بدنى، ولا أعلم ما فى غيب معلوماتك، فسمى غيب معلوماته نفساً للمشاكلة قوله: ﭽﮟ ﮠ ﮡﭼ قيل المعنى: تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسي، وأضاف نفسه للكاف وهو ضمير لله، لأنها ملك لله تعالى، وهو خالقها"([[198]](#footnote-198)).

ويقول في قوله تعالى ﭽ ﯳ ﯴ ﯵﯶ ﭼ:أي معاصي نفسه، أو عقابه"([[199]](#footnote-199))

وفي مسند الربيع بن حبيب([[200]](#footnote-200)) قال:" الباب الحادي والثلاثين: ما قيل في النفس، وأما قوله ﭽ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦﮧ ﭼ قال ابن عباس: تعلم ما في علمي ولا أعلم ما في علمك، وجاء عنه من وجه آخر:" تعلم ما في غيبي ولا أعلم ما في غيبك ﭽ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﭼ"([[201]](#footnote-201)).

والمعطلة عموماً كالجهمية والمعتزلة، يفسرون النفس في الآيات السابقة بمعنى الذات، ولكن الذات التي يقصدونها هي: الذات المجردة عن الصفات

وهنا أرى أنه لابد من التنبيه على أمر مهم، بل هو في غاية الخطورة، إذ أن بعض المفسرين حاول أن يتوصل من خلال إثبات أن النفس في الآيات الواردة بمعنى الذات الإلهية إلى نفي صفات الرب سبحانه وتعالى وذلك يتضح تماماً من خلال كلام الرازي ـ وهو أحد نفاة الصفات كما هو معلوم ـ فقد حاول من خلال هذه اللفظة أن يتسلل إلى نفي الصفات عن الله سبحانه وتعالى، يقول بعد أن ساق مجموعة من الأحاديث الواردة في النفس:" واعلم أن النفس عبارة عن ذات الشيء وحقيقته وهويته، وليس عبارة عن الجسم المركب من الأجزاء، لأن كل جسم مركب، وكل مركب ممكن، وكل ممكن محدث، وذلك على الله محال، فوجب حمل لفظ النفس على ما ذكرناه"([[202]](#footnote-202))

وقد رد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ بما يفحمه ويلجمه([[203]](#footnote-203)).

والمتأمل في الآيات والأحاديث الثابتة عن النبي والتي ورد ذكر النفس فيها لله تعالى، يميل إلى ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ ويدرك أن النفس هي الذات الإلهية المتصفة بصفات الرب سبحانه وتعالى.

**المبحث الثاني:** جهود المفسرين في الرد على تأويلات الخوارج للآيات الواردة بشأن الوجه.

وذلك في نحو قوله تعالى

ﭽ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﭼ البقرة: ١١٥

ﭽ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﭼ الأنعام: ٥٢

ﭽ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ الليل: ٢٠

ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ القصص: ٨٨

ﭽ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ الرحمن: ٢٧

ومن الأحاديث التي أثبتت صفة الوجه قوله في الحديث الذي رواه أبو موسى : (حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه)([[204]](#footnote-204)).

وعن عبد الله بن قيس عن النبي : (جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن([[205]](#footnote-205))) وغير ذلك من الأحاديث.

وأهل السنة عموماً في إثبات صفة الوجه لله كباقي الصفات الأخرى، يثبتون لله تعالى وجهاً يليق بجلاله من غير تعطيل ولا تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل.

يقول ابن كثير ـ رحمه الله ـ عند قوله تعالى ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ وهذه الآية كقوله تعالى: ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ، وقد نعت تعالى وجهه الكريم في هذه الآية الكريمة بأنه ﭽ ﮇﮈ ﮉﭼ أي: هو أهل أن يجل فلا يعصى، وأن يطاع فلا يخالف، كقوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭼ الكهف: ٢٨ ، وكقوله إخباراً عن المتصدقين: ﭽ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬﭼ الإنسان: ٩ قال ابن عباس: ﭽﮇﮈ ﮉﭼ ذو العظمة والكبرياء"([[206]](#footnote-206)).

ويقول عند قوله تعالى ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ:" إخبار بأنه الدائم الباقي الحي القيوم، الذي تموت الخلائق ولا يموت، كما قال تعالى: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ ، فعبر بالوجه عن الذات، وهكذا قوله ها هنا: ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ أي: إلا إياه"([[207]](#footnote-207)).

ويقول الإمام السعدي ـ رحمه الله ـ عند تفسيره لقوله ﭽ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﭼ **:"**فيه إثبات الوجه لله تعالى، على الوجه اللائق به تعالى، وأن لله وجهاً لا تشبهه الوجوه"([[208]](#footnote-208)).

يقول الأمين الشنقيطي ـ رحمه الله ـ:" قوله تعالى ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ كقوله تعالى ﭽ ﮄ ﮅﮆ ﮇﮈ ﮉﭼ والوجه من الصفات التي يجب الإيمان بها مع التنزيه التام عن مشابهة صفات الخلق"([[209]](#footnote-209))

ويقول العلامة ابن عثيمين رحمه الله عند قوله تعالى ﭽ ﮚ ﮛ ﮜﮝ ﭼ:" وفي الآية إثبات الوجه لله تعالى، وقد أجمع علماء أهل السنة على ثبوت الوجه لله تعالى بدلالة الكتاب والسنة على ذلك، قال الله تعالى: ﭽ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ، وقال النبي : ( أعوذ بوجهك[[210]](#footnote-210))، وأجمع سلف الأمة وأئمتُها على ثبوت الوجه لله"([[211]](#footnote-211)) .

وقال عند قوله تعالى ﭽ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ :"فيه إثبات الوجه لله - سبحانه وتعالى- ولكنه وجه لا يشبه أوجه المخلوقين، لقوله تعالى:

ﭽ ﭡ ﭢ ﭣﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ الشورى: ١١ يعني: أنت تؤمن بأن لله وجهاً، لكن يجب أن تؤمن بأنه لا يماثل أوجه المخلوقين بأي حال من الأحوال، لقوله تعالى: ﭽ ﭡ ﭢ ﭣﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ"([[212]](#footnote-212))

وأما الخوارج فإنهم تارة يؤولون صفة الوجه بالثواب فيقولون عند قوله تعالى ﭽ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ المقصود بالوجه هنا الثواب أي: ويبقى ثواب ربك، ويقولون في قوله تعالى ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚﭼ إلا ثوابه، وتارة يفسرون الوجه بالذات، ولكنها الذات المجردة عن الصفات كما تقدم، وهذا هو الذي رأيته مثبتاً في تفاسيرهم، وكذلك في أصح كتاب عندهم وهو مسند الربيع بن حبيب حيث يقول:" الباب التاسع والعشرين: ما قيل في الوجه، قال جابر: سئل ابن عباس عن قوله ﭽ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ قال ابن عباس: يعني كل شيء يفنى ويبقى الله وحده، وكذلك قال الضحاك([[213]](#footnote-213)) ومجاهد وأنس بن مالك"([[214]](#footnote-214)) .

ويقول الهواري في تفسيره عند قوله تعالى ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ:" يعني: إلا هو، كقوله: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ

ويقول ابن أطفيش عند قوله تعالى:" ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ إلا ذاته الواجب الوجود، والوجه يعبر به عن الذات، وقيل المعنى: كل عمل لم يرد به الله فهو ضائع إلا ما أريد به الله"([[215]](#footnote-215)).

وأما عند قوله تعالى ﭽ ﮄ ﮅ ﮆﭼ فيقول أي: ذاته والمخلوقات كلها فانية في حد ذاته وإن وجدت والخطاب للنبي وللإنسان"([[216]](#footnote-216)).

والصحيح أن الوجه صفة ليس بعين، أي: ليس بذات تقوم بنفسها، فهو صفة من صفات الله تعالى، لأنه أولاً أضافه إلى نفسه سبحانه وتعالى ﭽ ﮄ ﮅ ﮆﭼ ﭽ ﮚ ﮛ ﮜﮝ ﭼ.

ثانياً: أن قوله سبحانه وتقدس ﭽ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ فـ (ذُو) نعت للوجه، ولو أراد أن النعت للرب جل وعلا لقال (ذي الجلال والإكرام) كما جاء في آخر السورة ـ سورة الرحمن ـ حيث قال جل وعلا ﭽ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ الرحمن: ٧٨ فالجلال والإكرام للرب جل وعلا لا لاسمه.

وأما الجلال والإكرام في قوله ﭽ ﮄ ﮅ ﮆﭼ فهما صفتان للوجه وليس للذات.

يقول فضيلة الشيخ العلامة صالح آل الشيخ:"ﭽ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉﭼ الجلال والإكرام: هاتان صفتان لوجه الله جل وعلا، وأما أن يكون نعتاً للرب فيمتنع عربية، وهذا ظاهر واضح من حيث العربية ومن حيث القواعد في الصفات"([[217]](#footnote-217)) .

يقول الطبري ـ رحمه الله ـ:" واختلف في تأويل قوله : ﭽ ﮚ ﮛ ﮜﮝ ﭼ فقال بعضهم: تأويل ذلك: فثم قبلة الله، يعني بذلك: وجهه الذي وجههم إليه، قاله مجاهد.

وقال آخرون: معنى قول الله عز وجل ﭽ ﮚ ﮛ ﮜﮝ ﭼ فثم الله.

وقال آخرون: معنى قوله: ﭽ ﮚ ﮛ ﮜﮝ ﭼ فثم تدركون بالتوجه إليه رضا الله الذي له الوجه الكريم.

وقالوا: عنى بالوجه: ذو الوجه، وقال قائلو هذه المقالة: وجه الله صفة له.

فإن قال قائل: وما هذه الآية من التي قبلها ؟

قيل: هي لها مواصلة، وإنما معنى ذلك: ومن أظلم من النصارى الذين منعوا عباد الله مساجده أن يذكر فيها اسمه، وسعوا في خرابها، ولله المشرق والمغرب، فأينما توجهوا وجوهكم فاذكروه، فإن وجهه هنالك يسعكم فضله وأرضه وبلاده، ويعلم ما تعملون، ولا يمنعكم تخريب من خرب مسجد الله بيت المقدس، ومنعهم من منعوا من ذكر الله فيه أن تذكروا الله حيث كنتم من أرض الله تبتغون به وجهه"([[218]](#footnote-218)).

فالطبري ـ رحمه الله ـ يثبت الوجه صفة زائدة على الذات، كما هو مذهب السلف ـ رحمهم الله ـ بدليل كلامه عند قوله تعالى ﭽ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉﭼ إذ يقول:" يقول تعالى ذكره: كل من على ظهر الأرض من جن وإنس فإنه هالك، ويبقى وجه ربك يا محمد ذو الجلال والإكرام، وذو الجلال والإكرام من نعت الوجه فلذلك رفع ذو، وقد ذُكِرَ أنها في قراءة عبد الله([[219]](#footnote-219)) بالياء (ذي الجلال) على أنه من نعت الرب وصفته"([[220]](#footnote-220)).

يقول الفراء:" وقوله: ﭽ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉﭼ هذه، والتي في آخرها (ذي) كلتاهما في قراءة عبد الله (ذي) تخفضان في الإعراب، لأنهما من صفة ربك تبارك وتعالى، وهي في قراءتنا: ﭽ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉﭼ (ذو) تكون من صفة وجه ربنا تبارك وتعالى"([[221]](#footnote-221)).

أقول: فأما القراءات العشر المتواترة فجميعها بالرفع، والذي حصل فيه الخلاف هو الموضع الأخير من السورة نفسها وهو قوله تعالى ﭽ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ الرحمن: ٧٨ فقد قرأها ابن عامر الدمشقي بالرفع صفة للاسم والباقون بالخفض صفة للرب.

قال الدمياطي([[222]](#footnote-222)) في الإتحاف:" واختلف في ﭽﮉ ﮊﭼ الرحمن: ٧٨ آخر السورة فابن عامر "ذو" بالواو صفة للاسم، والباقون بالياء صفة للرب فإنه هو الموصوف بذلك, وخرج الأول المتفق على قراءته؛ لأنه نعت للوجه، واتفقت عليه المصاحف"([[223]](#footnote-223)) وهذا دليل واضح على إثبات صفة الوجه لله تعالى.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ عند قوله تعالى ﭽ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉﭼ قال:" وقوله ﭽ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉﭼ وأمثال ذلك في الكتاب والسنة، ويراد بذلك إثبات صفة تختص باسم يزيد على قولنا ذات، وذهبت المعتزلة إلى أن المراد بالوجه الذات، فأما صفة زائدة على ذلك فلا، ولم يذكر خلافاً مع الأشعرية، لأن المشهور عنهم إثبات هذه الصفة، قال والدلالة على ذلك أنه قد ثبت في عرف الناس وعاداتهم في الخطاب العربي الذي أجمع عليه أهل اللغة أن تسمية الوجه في أي محل وقع في الحقيقة والمجاز يزيد على قولنا ذات، وأما في الحيوان فذلك مشهور حقيقة لا يمكن دفعه ولا يسوغ فيه غير ذلك، وأما في مقامات المجاز فكذلك أيضاً لأنه يقال: فلان وجه القوم، لا يراد به ذات القوم، إذ ذوات القوم غيره قطعاً ويقيناً، ويقال: هذا وجه الثوب لما هو أجوده، ويقال: هذا وجه الرأي أي: أصحه وأقومه، وأتيت بالخبر على وجهه أي: على حقيقته، إلى أمثال ذلك مما يقال فيه الوجه، فإذا كان هذا هو المستقر في اللغة وجب حمل هذه الصفة في حق الباري تعالى على ظاهر ما وضعت له وهو الصفة الزائدة على تسمية قولنا ذات، وهذا جلي واضح.

قال: وتمهيد هذا الكلام وتقريره أنه لا يجوز أن يقال وجه الله على ما قيل في وجه القوم أنه سيدهم، والمعرب عنهم والمشار إليه دونهم، لأن ذلك يقتضي بمثله في حق الله أن يقال سيد الله والمشار إليه وهذا في حقه محال، ولا يجوز أن يراد به ما أريد من قولهم هذا وجه الثوب أي أحسنه وأجوده لما ذكرنا أيضاً لأنه لا يجوز أن يضاف إلى ذاته ولا إلى غيره لأنه تعالى ليس موصوفاً بالحسن والجودة، ولا يجوز أن يراد به ما أريد بأنه وجه الرأي أنه صوابه، لأنه لا يعبر بذات الله عن الصدق في الخبر والصحة في الرأي، فإذا بطلت هذه الأقسام وجب أن تحمل على إثبات صفة هي الوجه التي يستحقها الحي"([[224]](#footnote-224))

ويقول شيخ الإسلام ـ رحمه الله تعالى ـ في معرض الرد على من يدعي أن في إثبات صفة الوجه لله تعالى يلزم منه أن تكون هذه الصفة عضواً وجارحة.

"أما قولهم إذا ثبت أنها صفة إذا نسبت إلى الحي ولم يعبر بها عن الذات وجب أن تكون عضواً وجارحة ذات كمية وكيفية فهذا لا يلزم من جهة أن ما ذكروه ثبت بالإضافة إلى الذات في حق الحيوان المحدث لا من خصيصة صفة الوجه، ولكن من جهة نسبة الوجوه إلى جملة الذات فيما يثبت للذات من الماهية المركبة بكمياتها وكيفياتها وصورها، وذلك أمر أدركناه بالحس من جملة الذات فكانت الصفة مساوية للذات في موضعها بطريق أنها منها ومنتسبة إليها نسبة الجزء إلى الكل، فأما الوجه المضاف إلى الباري تعالى فإنا ننسبه إليه في نفسه نسبة الذات إليه، وقد ثبت أن الذات في حق الباري لا توصف بأنها جسم مركب من جملة الكمية وتتسلط عليه الكيفية ولا يعلم له ماهية، فالظاهر في صفته التي هي الوجه أنها كذلك لا يوصل لها إلى ماهية، ولا يوقف لها على كيفية، ولا تدخلها التجزئة المأخوذة من الكمية، لأن هذه إنما هي صفات الجواهر المركبة أجساماً والله يتنزه عن ذلك، ولو جاز لقائل أن يقول ذلك في السمع والوجه والبصر وأمثال ذلك في صفات الذات لينتقل بذلك عن ظاهر الصفة منها إلى ما سواها بمثل هذه الأحوال الثابتة في المشاهدات، لكان في الحياة والعلم والقدرة أيضاً كذلك، فإن العلم في الشاهد عرض قائم يقدر نفيه بطريق ضرورة أو اكتساب وذلك غير لازم مثله في حق الباري، لأنه مخالف للشاهد في الذاتية غير مشارك في إثبات ماهية، ولا مشارك لها في كمية ولا كيفية وهذا الكلام واضح جلي"([[225]](#footnote-225))

والمقصود من هذا أننا نثبت صفة الوجه لله تعالى، وجهاً يليق بجلاله من غير تحريف ولا تشبيه ولا تمثيل.

**المبحث الثالث:** جهود المفسرين في الرد على تأويلات الخوارج للآيات الواردة بشأن اليد.

وذلك في نحو قوله تعالى ﭽ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴﯵ ﭼ المائدة: ٦٤

ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﭼ ص: ٧٥

ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭼ الملك: ١

ومن الأحاديث ما رواه أبو هريرة : أن رسول الله قال ( قال الله عز و جل: أنفق أنفق عليك، وقال: يد الله ملأى لا تغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، وقال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماء والأرض فإنه لم يغض ما في يده وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع([[226]](#footnote-226)))

وقوله : (إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا([[227]](#footnote-227))).

ولاشك أن هذه الأدلة كافية لإثبات صفة اليد لله تعالى، فأهل السنة يثبتون اليد لله كما يليق به سبحانه وتعالى من غير تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف.

يقول الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ عند قوله ﭽ ﯢ ﯣ ﯤ ﭼ:" يخبر تعالى ذكره بذلك أنه خلق آدم بيديه"([[228]](#footnote-228)).

ويقول عند قوله تعالى ﭽ ﯯ ﯰ ﯱ ﭼ:" صفة من صفاته، هي يد، غير أنها ليست بجارحة كجوارح بني آدم"(**[[229]](#footnote-229)**)**.**

ثم ذكر الأدلة على أن المراد بها في الآية يداً حقيقية تليق به تعالى كما سيأتي قريباً.

ويقول الإمام البغوي ـ رحمه الله ـ:" ﭽ ﯯ ﯰ ﯱ ﭼ ، ويد الله صفة من صفات ذاته كالسمع، والبصر والوجه، وقال جل ذكره: ﭽ ﯢ ﯣ ﯤﭼ وقال النبي : (كلتا يديه يمين)، والله أعلم بصفاته، فعلى العباد فيها الإيمان والتسليم، وقال أئمة السلف من أهل السنة في هذه الصفات: أمروها كما جاءت بلا كيف"([[230]](#footnote-230))

ويقول الأمين الشنقيطي ـ رحمه الله ـ:" والظاهر المتبادر من اليد بالنسبة للخالق في نحو قوله تعالى: ﭽ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﭼ ، أنها صفة كمال وجلال، لائقة بالله - جل وعلا - ثابتة له على الوجه اللائق بكماله وجلاله"([[231]](#footnote-231)).

وأما أهل التأويل في الصفات ومنهم الخوارج فإنهم يؤولون اليد بالملك والقدرة، وتارة بالنعمة، يقول الربيع بن حبيب في مسنده:" الباب الثالث والعشرين : في اليد.

وقوله يد الله، والنواصي بيده، يعنون بذلك: ملكه وقدرته، ولا يعنون بذلك ما عنت اليهود، لأن قول اليهود شرك على معناهم، مخالف لمعنى اليهود إنما يعنون الملك والقدرة، وعنت اليهود التشبيه والتحديد، وهو قول الله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭼ الملك: ١ أي: به لا غيره، ولا يعني قابض عليه كما يجعل الرجل الشيء في يده، ومصداق ذلك قول العرب: نحن تحت يد فلان وأمرنا بيد الله، وحوائجنا بيد الله، وقال الله ﭽ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﭼ وإنما يريد بهذا كله في القرآن واللغة الملك والقدرة .

ويقول أيضاً:" الباب الرابع والعشرين : في قوله تعالى ﭽ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ الحاقة: ٤٥ قال ابن عباس: باليمين أي: القدرة، وقال الحكم بن عيينة أي: بالحق ﭽ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ الحاقة: ٤٦ نياط القلب، وقال الضحاك: باليمين أي: بالقدرة وقال الكلبي مثله، وقال الحسن مثل ذلك .

الباب الخامس والعشرين : في اليد أيضاً.

قال جابر بن زيد([[232]](#footnote-232)): سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن قوله عز وجل ﭽ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﭼ المائدة: ٦٤ فقال: قالت اليهود: رزقه محبوس، قال الحسن: قد حبس الله رزقه، قال الله: ﭽ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﭼ المائدة: ٦٤ أي: بل رزقه مبسوط على جميع خلقه ينفق كيف يشاء، يعني: يعطي أقواماً ويمنع آخرين، وهو قوله : ﭽ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﭼ الرعد: ٢٦ كقوله لنبيه عليه السلام ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ الإسراء: ٢٩ فنهى عن التقتير والتبذير، وقال الضحاك: ﭽ ﯯ ﯰ ﯱ ﭼ أي: بل نعمتاه مبسوطتان ينفق كيف يشاء"([[233]](#footnote-233)).

ويقول الهواري عند تفسيره لقوله تعالى: ﭽ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﭼ أي: جواد، مبسوطتان،أي: بالنفقة ينفق كيف يشاء، وهو مثل قوله:  
ﭽ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﭼ"([[234]](#footnote-234))

ويقول ابن أطفيش عند قوله تعالى ﭽ ﯢ ﯣ ﯤ ﭼ قال:" (يد الله) قدرته وقوته، ولكن لما كان أكثر الأعمال تباشر باليدين أو باليد، عبر باليدين أو باليد، كما يقال في عمل القلب وفي عمل من لا يد له (هذا ما عملته يداك)"([[235]](#footnote-235))، وعلى هذا ساروا في تأويلهم للصفات.

وفي الحقيقة أن صفة اليد من الصفات الذاتية لله تعالى، ولا ينازع في ذلك إلا جاهل أو مكابر أو متأول، وقد ثبت ذلك بالنقل الصحيح الصريح الذي لا يحتمل التأويل، والأحاديث في ذلك كثيرة وقد سبق ذكر بعضها، ومنها أيضاً قوله في حديث محاجة آدم وموسى (قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده)([[236]](#footnote-236)).

وقوله :( ما من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن ، إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه، وكان رسول الله يقول: " يا مثبت القلوب، ثبت قلوبنا على دينك، قال : والميزان بيد الرحمن، يرفع أقواماً ويخفض آخرين ، إلى يوم القيامة[[237]](#footnote-237))")

وأما ما استدل به الخوارج من قوله تعالى ﭽ ﯯ ﯰ ﯱ ﭼ في أن المراد باليدين هنا النعمة فقد أجاب عن ذلك علماء التفسير من أهل السنة في كتبهم يقول الطبري:" وقال آخرون منهم: بل"يد الله" صفة من صفاته، هي يد، غير أنها ليست بجارحة كجوارح بني آدم.

قالوا: وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن خصوصه آدم بما خصه به من خلقه إياه بيده.

قالوا: ولو كان معنى"اليد"، النعمة، أو القوة، أو الملك، ما كان لخصوصه آدم بذلك وجه مفهوم، إذ كان جميع خلقه مخلوقين بقدرته، ومشيئته في خلقه تعمه، وهو لجميعهم مالك.

قالوا: وإذ كان تعالى ذكره قد خص آدم بذكره خلقه إياه بيده دون غيره من عباده، كان معلوماً أنه إنما خصه بذلك لمعنى به فارق غيره من سائر الخلق.

قالوا: وإذا كان ذلك كذلك، بطل قول من قال: معنى"اليد" من الله، القوة والنعمة أو الملك، في هذا الموضع.

قالوا: وأحرى أن ذلك لو كان كما قال الزاعمون أن: ( ﯥ ﯦ ) في قوله ﭽ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﭼ المائدة: ٦٤ هي نعمته، لقيل:( بل يده مبسوطة )، ولم يقل:(بل يداه)، لأن نعمة الله لا تحصى كثرة. وبذلك جاء التنزيل، يقول الله تعالى: ﭽ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ إبراهيم: ٣٤ قالوا: ولو كانت نعمتين، كانتا محصاتين، قالوا: فإن ظن ظان أن النعمتين بمعنى النعم الكثيرة، فذلك منه خطأ، وذلك أن العرب قد تخرج الجميع بلفظ الواحد لأداء الواحد عن جميع جنسه، وذلك كقول الله تعالى ذكره: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭼ العصر: ١ - ٢ وكقوله ﭽ ﮭ ﮮ ﮯ ﭼ الحجر: ٢٦ وقوله: ﭽ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﭼ الفرقان: ٥٥ ، قال: فلم يرد بـ"الإنسان" و"الكافر" في هذه الأماكن إنسان بعينه، ولا كافر مشار إليه حاضر، بل عنى به جميع الإنس وجميع الكفار، ولكن الواحد أدى عن جنسه، كما تقول العرب:

"ما أكثر الدرهم في أيدي الناس"، وكذلك قوله: (وكان الكافر) معناه: وكان الذين كفروا.

قالوا: فأما إذا ثنى الاسم، فلا يؤدي عن الجنس، ولا يؤدي إلا عن اثنين بأعيانهما دون الجميع ودون غيرهما.

قالوا: وخطأ في كلام العرب أن يقال:"ما أكثر الدرهمين في أيدي الناس"، بمعنى: ما أكثر الدراهم في أيديهم.

قالوا: وذلك أن الدرهم إذا ثني لا يؤدي في كلامها إلا عن اثنين بأعيانهما.

قالوا: وغير محال:"ما أكثر الدرهم في أيدي الناس"، و"ما أكثر الدراهم في أيديهم"، لأن الواحد يؤدي عن الجميع.

قالوا: ففي قول الله تعالى ﭽ ﯯ ﯰ ﯱ ﭼ مع إعلامه عباده أن نعمه لا تحصى، مع ما وصفنا من أنه غير معقول في كلام العرب أن اثنين يؤديان عن الجميع ما ينبئ عن خطأ قول من قال: معنى"اليد"، في هذا الموضع، النعمة وصحة قول من قال: إن"يد الله"، هي له صفة.

قالوا: وبذلك تظاهرت الأخبار عن رسول الله ، وقال به العلماء وأهل التأويل"([[238]](#footnote-238)).

يقول العلامة الشنقيطي ـ رحمه الله ـ:" والظاهر المتبادر من اليد بالنسبة للخالق في نحو قوله تعالى: ﭽ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﭼ ، أنها صفة كمال وجلال، لائقة بالله - جل وعلا - ثابتة له على الوجه اللائق بكماله وجلاله .

وقد بين - جل وعلا - عظم هذه الصفة وما هي عليه من الكمال والجلال، وبين أنها من صفات التأثير كالقدرة، قال تعالى في تعظيم شأنها: ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﭼ الزمر: ٦٧ وبين أنها صفة تأثير كالقدرة في قوله تعالى : ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﭼ ، فتصريحه تعالى بأنه خلق نبيه آدم بهذه الصفة العظيمة التي هي صفات كماله وجلاله يدل على أنها من صفات التأثير كما ترى.

ولا يصح هنا تأويل اليد بالقدرة البتة، لإجماع أهل الحق والباطل، كلهم على أنه لا يجوز تثنية القدرة .

ولا يخطر في ذهن المسلم المراجع عقله دخول الجارحة التي هي عظم ولحم ودم في معنى هذا اللفظ الدال على هذه الصفة العظيمة من صفات خالق السماوات والأرض.

فاعلم أيها المدعي أن ظاهر لفظ اليد في الآية المذكورة وأمثالها لا يليق بالله; لأن ظاهرها التشبيه بجارحة الإنسان، وأنها يجب صرفها عن هذا الظاهر الخبيث، ولم تكتف بهذا حتى ادعيت الإجماع على صرفها عن ظاهرها أن قولك هذا كله افتراء عظيم على الله تعالى، وعلى كتابه العظيم، وأنك بسببه كنت أعظم المشبهين والمجسمين، وقد جرك شؤم هذا التشبيه إلى ورطة التعطيل، فنفيت الوصف الذي أثبته الله في كتابه لنفسه بدعوى أنه لا يليق به، وأولته بمعنى آخر من تلقاء نفسك بلا مستند من كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا قول أحد من السلف.

وماذا عليك لو صدقت الله، وآمنت بما مدح به نفسه على الوجه اللائق بكماله وجلاله من غير كيف، ولا تشبيه، ولا تعطيل؟

وبأي موجب سوغت لذهنك أن يخطر فيه صفة المخلوق عند ذكر صفة الخالق؟

هل تلتبس صفة الخالق بصفة المخلوق عند أحد حتى يفهم صفة المخلوق من اللفظ الدال على صفة الخالق؟

فاخش الله يا إنسان، واحذر من التقول على الله بلا علم، وآمن بما جاء في كتاب الله مع تنزيه الله عن مشابهة خلقه.

واعلم أن الله الذي أحاط علمه بكل شيء لا يخفى عليه الفرق بين الوصف اللائق به والوصف غير اللائق به، حتى يأتي إنسان فيتحكم في ذلك فيقول: هذا الذي وصفت به نفسك غير لائق بك، وأنا أنفيه عنك بلا مستند منك، ولا من رسولك، وآتيك بدله بالوصف اللائق بك.

فاليد مثلاً التي وصفت بها نفسك لا تليق بك لدلالتها على التشبيه بالجارحة، وأنا أنفيها عنك نفياً باتاً، وأبدلها لك بوصف لائق بك، وهو النعمة أو القدرة مثلاً أو الجود، سبحانك هذا بهتان عظيم "([[239]](#footnote-239)) .

ومما يجدر التنبيه عليه أن بعض المؤولة قد يحتج بقوله تعالى ﭽ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﭼ الذاريات: ٤٧ فالأيد هنا فسرت بالقوة بإجماع السلف ـ رحمهم الله ـ فيقال له: إن هذه الآية ليست من آيات الصفات، لأن الأيد في هذه الآية لم تضف لله عز و جل، إنما الصفة هي المضافة كقوله تعالى ﭽ ﯤ ﭼ ، وكقوله ﭽ ﯯ ﯰ ﯱ ﭼ.

قال في لسان العرب: الأَيْدُ والآدُ جميعاً: القوة؛ قال العجاج: من أَن تبدّلت بآدِي آدا يعني: قوّة الشباب، وفي خطبة علي، : وأَمسكها من أَن تمور بأَيْدِه أَي: بقوّته؛ وقوله عز وجل: ﭽ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭼ ص: ١٧ أَي: ذا القوة؛ قال الزجاج:" كانت قوّته على العبادة أَتم قوة، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وذلك أَشدّ الصوم، وكان يصلي نصف الليل"([[240]](#footnote-240)) وقيل أَيْدُه: قوّته على إِلانةِ الحديد بإِذن الله وتقويته إِياه، وقد أَيَّده على الأَمر؛ والتأْييد: مصدر أَيَّدته أَي قوّيته؛ قال الله تعالى: ﭽ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ المائدة: ١١٠ وقرئ: إِذا آيَدْتُك أَي قوّيتك، تقول من آيَدْته على فاعَلْته وهو مؤيَد، وتقول من الأَيْد: أَيَّدته تأْييداً أَي قوَّيته، والفاعل مؤَيِّدٌ وتصغيره مؤَيِّد أَيضاً والمفعول مُؤَيَّد؛ وفي التنزيل العزيز: ﭽ ﯰ ﯱ ﯲ ﭼ قال أَبو الهيثم: آد يئيد إِذا قوي، وآيَدَ يُؤْيِدُ إِيآداً إِذا صار ذا أَيد، وقد تأَيَّد، وأُدت أَيْداً أَي قوِيتُ وتأَيد الشيء: تقوى"([[241]](#footnote-241))

قال الشنقيطي رحمه الله:" قوله تعالى في هذه الآية الكريمة ﭽ ﯱ ﯲ ﭼ ليس من آيات الصفات المعروفة بهذا الاسم، لأن قوله ﭽ ﯲ ﭼ ليس جمع يد: وإنما الأيد القوة، فوزن قوله هنا بأيد فعل، ووزن الأيدي أفعل، فالهمزة في قوله: ﭽ ﯲ ﭼ في مكان الفاء والياء في مكان العين، والدال في مكان اللام، ولو كان قوله تعالى: ﭽ ﯲ ﭼ جمع يد لكان وزنه أفعلاً، فتكون الهمزة زائدة والياء في مكان الفاء، والدال في مكان العين والياء المحذوفة لكونه منقوصاً هي اللام والأيد والآد في لغة العرب بمعنى القوة، ورجل أيد قوي، ومنه قوله تعالى ﭽ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ البقرة: ٨٧ أي: قويناه به، فمن ظن أنها جمع يد في هذه الآية فقد غلط غلطاً فاحشاً، والمعنى: والسماء بنيناها بقوة"([[242]](#footnote-242))

قال الطبري في تفسيره: عن ابن عباس قوله: ﭽ ﯰ ﯱ ﯲ ﭼ يقول: بقوة، وعن مجاهد قوله: ﭽ ﯲ ﭼ قال: بقوة"([[243]](#footnote-243)).

فتفسير كلمة أيد هي قوة، و القوة مفردة، فلو كانت أيد جمع لكان تفسيرها قوى و ليس قوة، فدل التفسير على أن كلمة أيد مفردة و هذا يوافق مصدرها الأَيْدُ والآدُ، والله تعالى أعلم.

**المبحث الرابع:** جهود المفسرين في الرد على تأويلات الخوارج للآيات الواردة بشأن العين.

وذلك في نحو قوله تعالى :

ﭽ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﭼ هود: ٣٧

ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭼ طه: ٣٩

ﭽ ﮋ ﮌ ﭼ القمر: ١٤

ﭽ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﭼ الطور: ٤٨

وقد وردت صفة العين في الحديث الذي رواه ابن عمر في المسيح الدجال قال: قال رسول الله :( تعلمون أنه أعور، وأن الله ليس بأعور)([[244]](#footnote-244)).

وعن نافع، عن عبد الله، قال: ذكر الدجال عند النبي ، فقال: (إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور - وأشار بيده إلى عينه - وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية).([[245]](#footnote-245))

وأهل السنة والجماعة يثبتون صفة العين لله تعالى على ما يليق به سبحانه بلا كيف، وهي من الصفات الخبرية الذاتية الثابتة بالكتاب والسنة، الذاتية: لأنه لم يزل ولا يزال متصفاً بها، والخبرية: لأن مسماها بالنسبة إلينا أجزاء وأبعاض، فالعين منا بعض من الوجه، والوجه بعض من الجسم، لكنها بالنسبة لله لا يجوز أن نقول: إنها بعض من الله، لأن هذا اللفظ لم يرد، وأنه يقتضي التجزئة في الخالق، وأن البعض أو الجزء هو الذي يجوز بقاء الكل بفقده، ويجوز أن يفقد، وصفات الله لا يجوز أن تفقد أبداً، بل هي باقية"([[246]](#footnote-246))

وقد جاء ذكر العين في القرآن الكريم على حالتين:

1- ذكرت العين مضافة إلى ضمير المفرد، مثل قوله تعالى: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭼ.

2- وذكرت العين بصيغة الجمع، مضافة إلى ضمير الجمع مثل قوله تعالى: ﭽ ﮋ ﮌ ﭼ

وذِكْرُ العينِ مفردة لا يدل على أنها عين واحدة فقط، لأن المفرد المضاف يراد به أكثر من واحد، مثل قوله تعالى: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭼ النحل: ١٨ ، فالمراد نعم الله المتنوعة التي لا تدخل تحت الحصر والعدّ.

وقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭼ البقرة: ١٨٧ فالمراد بها جميع ليالي رمضان، ولو قال قائل: نظرت بعيني أو وضعت المنظار على عيني لا يكاد يخطر ببال أحد ممن سمع هذا الكلام أن هذا القائل ليست له إلا عين واحدة، قال الإمام ابن القيم:" إذا أضيفت العين إلى اسم الجمع ظاهراً أو مضمراً فالأحسن جمعها مشاكلة للفظ، كقوله تعالى:ﭽ ﮋ ﮌ ﭼ

و ﭽ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﭼ المؤمنون: ٢٧ ، وهذا نظير المشاكلة في لفظ اليد المضافة إلى المفرد كقوله تعالى: ﭽ ﮚ ﮛ ﭼ آل عمران: ٢٦ و ﭽ ﭓ ﭔ ﭼ الملك: ١ "([[247]](#footnote-247)).

وإن أضيفت إلى جمع جمعت كقوله تعالى: ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭼ يس: ٧١ ، وقد ذكرت العين في السنة في قصة المسيح الدجال في حديث عبد الله بن عمر الذي يقول فيه رسول الله : (إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور، وأشار بيده إلى عينيه، وأن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأنها عنبة طافية)([[248]](#footnote-248))، وللحديث سبب وهو أن الدجال ذكر عند النبي عليه الصلاة والسلام، وأخبر أنه ما من نبي إلا وقد أمر أمته أو نصحهم بالاستعاذة منه، ثم ذكر أن من صفاته أنه أعور العين اليمنى، وأنه على الرغم من دعوى الألوهية وما يجري له من الأمور الخارقة للعادة امتحاناً واستدراجاً فيه عيوب ونقائص، وهو عاجز عن دفع ذلك عن نفسه، فلن يلتبس عليكم الأمر في شأنه لأنه ناقص إذ به عَوَر، وربكم ليس بأعور، وهناك زيادة عند مسلم وبعض أصحاب السنن، وهي أن النبي قال يومئذ للناس: ( تعلمون أنه لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت)([[249]](#footnote-249)) ونفي العور يدل على وجود صفة العين والله تعالى أعلم([[250]](#footnote-250)).

الخوارج كلهم نفوا صفة العين عن الله تعالى وبعضهم أثبت له البصر، وبعضهم نفى عنه البصر كما هو الحال عند المعتزلة.

يقول الأشعري([[251]](#footnote-251)) في الإبانة:" وأن له سبحانه عينين بلا كيف، كما قال سبحانه: ﭽ ﮋ ﮌ ﭼ وأن من زعم أن أسماء الله غيره كان ضالاً، وأن لله علماً كما قال: ﭽ ﮖ ﮗ ﭼ النساء: ١٦٦ ، وكما قال: ﭽ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ فصلت: ٤٧ ونثبت لله السمع والبصر، ولا ننفي ذلك كما نفته المعتزلة والجهمية([[252]](#footnote-252)) والخوارج"([[253]](#footnote-253)).

وكلا الطائفتين لم يثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه في كتابه ولا ما أثبته له رسوله .

والمتأمل في كتب الأباضية من الخوارج يجدهم يثبتون لله البصر وينفون عنه صفة العين ويؤولون ما ورد في القرآن الكريم من لفظ العين، فتارة يؤولون العين بالأمر، وتارة بالملائكة، وفي قوله ﭽ ﰂ ﰃﭼ وما شاكلها من الآيات بالرؤية مع إنكار صفة العين، فيكونون بذلك قد وافقوا الأشاعرة في مذهبهم.

يقول الهواري عند قوله تعالى ﭽ ﰆ ﰇ ﰈ ﭼ:" أي: بأمرنا "([[254]](#footnote-254))

ويقول عند قوله تعالى ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭼ أي بأمري.

ومما يدل على إثباتهم الرؤية دون العين تفسيره عند قوله تعالى ﭽ ﰂ ﰃﭼ قال أي: نرى ما تصنع وما يُصنع بك، وسنجزيك ونجزيهم.

ويقول ابن أطفيش عند قوله تعالى:" ﭽﰆ ﰇ ﰈﭼ أي: بمرأى وحضرة وعلم منا، وذلك كناية عن الحفظ العظيم على طريق التمثيل، فإن مراعاة الشئ عن الاختلال وحفظه عمن أراده بسوء إما يكونان فى الجملة بعين الوجه، تعالى الله عن ذلك، ولو كان ذلك ليس على حقيقة جمع العين، وهو مبالغة.

ويصح أن يكون المراد بالأعين الملائكة الذين جعلهم الله رقباء على حفظه"([[255]](#footnote-255))

ويقول عند قوله تعالى ﭽ ﰂ ﰃﭼ أي: بمرأى ومنظر وحفظ، نراك ونسمع قولك فلا يصلون إليك بمكروه، وقرئ بأعينّا بالإدغام وهذه الآية ينبغي ان يقررها كل مؤمن في نفسه فإنها تفسح مضائق الدنيا، والباء بمعنى: في، أي: في حفظنا، وجمع العين في كثرة الحفظ.

وعلى كلٍ فقد وردت لفظ "العين" في القرآن الكريم مضافة لله تعالى في خمس آيات، الأولى في سورة هود ﭽ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﭼ هود: ٣٧ والثانية في سورة المؤمنون ﭽ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﭼ المؤمنون: ٢٧ والثالثة في سورة طه ﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭼ طه: ٣٩ والرابعة في سورة الطور ﭽ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﭼ الطور: ٤٨ والخامسة في سورة القمر ﭽ ﮋ ﮌ ﭼ القمر: ١٤.

هذه مجموع الآيات التي ورد بها لفظ "العين" مضافاً لله سبحانه وتعالى، وسوف نعرض لتفسيرها حتى يتضح معناها، فأما الآية الأولى ومثلها الثانية فقد صرح جمع من المفسرين من الصحابة والتابعين بأن المراد بها صفة الله سبحانه والتي يرى بها كل مرئي، وهو القول الذي نقله الإمام الطبري في تفسيره عن ابن عباس و قتادة وغيرهما.

ومن المفسرين من فسرها بالرعاية والحفظ أي: واصنع السفينة يا نوح ونحن نحفظك ونعينك ونعلمك، ولا منافاة بين التفسيرين، فإن الله يرى نوحاً وعمله، وهو يحوطه ويحفظه ويرعاه .

يقول الإمام الطبري:عند قوله: ﭽﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳﭼ :"فقلنا له حين استنصرنَا على كَفَرة قومه: ﭽ ﯰ ﯱﭼ وهي السفينة؛ ﭽﯲﭼ يقول: بمرأى منا ومنظر، ﭽﯳﭼ يقول: وبتعليمنا إياك صنعتها"([[256]](#footnote-256))

ويقول الزجاج:" وقوله: ﭽ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎﰏ ﰐ ﰑ ﭼ هود: ٣٧ الفلك السفينة، والفلك يكون واحداً ويكون جمعاً كما أنهم قالوا أَسَد وأُسْد، قالوا في الواحد فَلَك وفي الجمع فُلْك، لأن فعلا وفعلا جمعها واحد، ويأتيان بمعنى كثيراً، يقال العَجَم والعُجْم، والعَرَب والعُرْب والفَلَك والفُلْك، والفلكة يقال لكل شيء مستدير أو في استدارة، ومعنى: ﭽ ﯲ ﯳ ﭼ ، أي: بإبصارنا إليك وحفظنا لك، وبما أوحينا إليك"([[257]](#footnote-257))

أما قوله تعالى: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭼ فذكر الطبري في تفسيرها رأيين:

الأول: ولتغذى وتربى على محبتي وإرادتي، أي أن تنشئتك وتربيتك تحت بصري ونظري ورعايتي وحفظي .

والثاني: وأنت يا موسى بعيني في أحوالك كلها، أي: أن حفظ الله ورعايته لموسى لا تقتصر على فترة التنشئة فحسب، بل هو تحت عين الله ونظره وحفظه ورعايته في أحواله جميعها .

وقوله ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭼ قال الإمام الطبري:" والقراءة التي لا أستجيز القراءة بغيرها (ﭬ) بضم التاء، لإجماع الحجة من القرّاء عليها([[258]](#footnote-258))، وإذا كان ذلك كذلك، فأولى التأويلين به، التأويل الذي تأوله قَتادَة، وهو ﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫﭼ طه: ٣٩ ولتغذى على عيني، ألقيت عليك المحبة مني، وعنى بقوله ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭼ بمرأى مني ومحبة وإرادة"([[259]](#footnote-259)).

أما قوله تعالى: ﭽ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﭼ فقد قال الإمام الطبري في تفسيره: " فإنك بمرأى منا نراك ونرى عملك، ونحن نحوطك ونحفظك، فلا يصل إليك من أرادك بسوء من المشركين "([[260]](#footnote-260)) أ.هـ .

وأما قوله: ﭽ ﮋ ﮌ ﭼ فيقول الطبري أيضاًَ: تجري السفينة التي حملنا نوحا فيها بمرأى منا ومنظر، فهي تجري بحفظ الله ورعايته ولولا حفظ الله

لها لغرقت في ذلك الطوفان المهول"([[261]](#footnote-261)) .

وعلى النحو من ذلك فسرها الزجاج في كتابه معان القرآن، والثعلبي([[262]](#footnote-262)) والقرطبي([[263]](#footnote-263)) والبيضاوي([[264]](#footnote-264)).([[265]](#footnote-265))

ويلاحظ من خلال هذه الآيات وتفسيرها أن المواطن التي ذكرت فيها هذه الصفة "العين" هي مواطن امتنان بالنعمة وتذكير بها فبدءاً من نوح - عليه السلام - الذي صنع السفينة أداة نجاته ومن معه من المؤمنين، وكيف كان الله ينظر إليه نظر رعاية وحفظ وتوفيق، ويعلمه بوحيه كيفية صناعتها، إلى موسى - عليه السلام - الذي امتازت حياته بالمشاق والصعوبات فنجا منها برعاية الله وحفظه، إلى محمد الذي أمره ربه بالصبر لحكمه وطمأنه بأنه تحت نظره وبصره وعنايته ورعايته لا يخذله ولا يسلمه كل ذلك يعطينا دلالة على أن هذه الصفة - ككل صفات الله - صفة عظيمة تتضمن الحفظ والرعاية وأن إثباتها إثبات لجميع هذه المضامين .

والذي ينبغي التنبيه إليه، أن إثبات هذه الصفة لا يقتضي وصف الله بمعنى من معاني البشر، أو بصفة من صفات المخلوقين، بل إن إثباتها هو إثبات لما يليق بجلال الله وعظمته من غير تشبيهها بعيون المخلوقين، وأن الإيمان بها يقتضي وصف الله بأن له عينين يرى بهما كل مرئي من غير خوض في تفاصيل أخرى لم يرد نفيها أو إثباتها في كتاب الله وسنة رسوله .

**المبحث الخامس:** جهود المفسرين في الرد على تأويلات الخوارج للآيات الواردة بشأن الاستواء.

وذلك في نحو قوله تعالى:

ﭽ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﭼ البقرة: ٢٩

ﭽ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ الأعراف: ٥٤

ﭽ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁﮂ ﮃ ﮄﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑﮒ ﮓ ﮔ ﭼ يونس: ٣

ﭽ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭼ الرعد: ٢

ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ طه: ٥

ﭽ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ الفرقان: ٥٩

المفسرون من أهل السنة اتفقوا على أن معنى الاستواء في الآيات السابقة وما شاكلها معناه العلو والارتفاع، مع اتفاقهم على عدم الخوض في الكيفية

يقول الإمام ابن جرير الطبري عند قوله تعالى ﭽ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﭼ:" فمعنى الكلام إذاً: هو الذي أنعم عليكم، فخلق لكم ما في الأرض جميعاً، وسخَّره لكم تفضُّلا منه بذلك عليكم، ليكون لكم بلاغًا في دنياكم ومتاعًا إلى موافاة آجالكم، ودليلاً لكم على وَحدانية ربكم، ثم **علا** إلى السموات السبع وهي دخان، فسوَّاهنَّ وحبَكهن، وأجرى في بعضهن شمسه وقمره ونجومه، وقدر في كل واحدة منهن ما قدر من خلقه"([[266]](#footnote-266))

ويقول الإمام البغوي:" وأولت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء، فأما أهل السنة يقولون: الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف، يجب على الرجل الإيمان به ويكل العلم فيه إلى الله عز وجل.

وسأل رجل مالك بن أنس([[267]](#footnote-267)) عن قوله: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌﭼ، كيف استوى؟ فأطرق رأسه ملياً وعلاه الرحضاء، ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أظنك إلا ضالا، ثم أمر به فأخرج، وروي عن سفيان الثوري والأوزاعي والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك وغيرهم من علماء السنة في هذه الآيات التي جاءت في الصفات المتشابهات: أمروها كما جاءت بلا كيف"([[268]](#footnote-268)).

وقال عند تفسيره لقوله تعالى ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮﭯ ﭰ ﭱ ﭲﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷﭸ ﭹ ﭺ ﭼ الرعد: ٢ " ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮﭯ ﭼ ، **علا عليه**، ﭽ ﭰ ﭱ ﭲﭳ ﭼ: ذللهما لمنافع خلقه فهما مقهوران، ﭽ ﭴ ﭵ ﭼ أي: يجريان على ما يريد الله عز وجل، ﭽ ﭶ ﭷ ﭼ ، أي: إلى وقت معلوم وهو فناء الدنيا، وقال ابن عباس: أراد بالأجل المسمى درجاتهما ومنازلهما ينتهيان إليها ولا يجاوزانها"([[269]](#footnote-269))

ويقول القرطبي:" لم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة، وخص العرش بذلك لأنه أعظم مخلوقاته، وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لا تعلم حقيقته، قال مالك رحمه الله:" الاستواء معلوم- يعني في اللغة- والكيف مجهول، والسؤال عن هذا بدعة"([[270]](#footnote-270)) وكذا قالت أم سلمة رضي الله عنها"([[271]](#footnote-271))

وذكر نحواً من ذلك الإمام الشوكاني حيث قال:" قوله ثم استوى على العرش: قد اختلف العلماء في معنى هذا على أربعة عشر قولاً، وأحقها وأولاها بالصواب: مذهب السلف الصالح أنه استوى سبحانه عليه بلا كيف على الوجه الذي يليق به، مع تنزهه عما لا يجوز عليه"([[272]](#footnote-272))

ويقول العلامة الشنقيطي في كلام نفيس بعد أن ذكر الآيات التي تدل على الاستواء في حق الخالق سبحانه وتعالى قال:" وقال جل وعلا في وصف الحادث بالاستواء على بعض المخلوقات: ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭼ الزخرف: ١٣ ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭼ المؤمنون: ٢٨ ﭽ ﯴ ﯵ ﯶ ﭼ هود: ٤٤ ونحو ذلك من الآيات، وقد علمت مما تقدم أنه لا إشكال في ذلك، وأن للخالق جل وعلا استواءً لائقاً بكماله وجلاله، وللمخلوق أيضاً استواء مناسباً لحاله، وبين استواء الخالق والمخلوق من المنافاة ما بين ذات الخالق والمخلوق على نحو ﭽ ﭡ ﭢ ﭣﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ كما تقدم إيضاحه، وينبغي للناظر في هذه المسألة التأمل في أمور:

الأمر الأول: أن جميع الصفات من باب واحد، لأن الموصوف بها واحد، ولا يجوز في حقه مشابهة الحوادث في شيء من صفاتهم، فمن أثبت مثلاً أنه: سميع بصير، وسمعه وبصره مخالفان لأسماع الحوادث وأبصارهم، لزمه مثل ذلك في جميع الصفات; كالاستواء، واليد، ونحو ذلك من صفاته جل وعلا، ولا يمكن الفرق بين ذلك بحال.

الأمر الثاني: أن الذات والصفات من باب واحد أيضاً، فكما أنه جل وعلا، له ذات مخالفة لجميع ذوات الخلق، فله تعالى صفات مخالفة لجميع صفات الخلق.

الأمر الثالث: في تحقيق المقام في الظاهر المتبادر السابق إلى الفهم من آيات الصفات; كالاستواء واليد مثلاً.

اعلم أولا: أنه غلط في هذا خلق لا يحصى كثرة من المتأخرين، فزعموا أن الظاهر المتبادر السابق إلى الفهم من معنى الاستواء واليد مثلا في الآيات القرآنية - هو مشابهة صفات الحوادث، وقالوا: يجب علينا أن نصرفه عن ظاهره إجماعاً; لأن اعتقاد ظاهره كفر; لأن من شبه الخالق بالمخلوق فهو كافر، ولا يخفى على أدنى عاقل أن حقيقة معنى هذا القول: أن الله وصف نفسه في كتابه بما ظاهره المتبادر منه السابق إلى الفهم الكفر بالله والقول فيه بما لا يليق به جل وعلا.

والنبي الذي قيل له: ﭽ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭼ النحل: ٤٤ لم يبين حرفاً واحداً من ذلك مع إجماع من يعتد به من العلماء، على أنه لا يجوز في حقه تأخير البيان عن وقت الحاجة إليه، وأحرى في العقائد ولا سيما ما ظاهره المتبادر منه الكفر والضلال المبين، حتى جاء هؤلاء الجهلة من المتأخرين، فزعموا أن الله أطلق على نفسه الوصف بما ظاهره المتبادر منه لا يليق، والنبي كتم أن ذلك الظاهر المتبادر كفر وضلال يجب صرف اللفظ عنه، وكل هذا من تلقاء أنفسهم من غير اعتماد على كتاب أو سنة، سبحانك هذا بهتان عظيم.

ولا يخفى أن هذا القول من أكبر الضلال ومن أعظم الافتراء على الله جل وعلا ورسوله ، والحق الذي لا يشك فيه أدنى عاقل أن كل وصف وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله ، فظاهره المتبادر منه السابق إلى فهم من في قلبه شيء من الإيمان، هو التنزيه التام عن مشابهة شيء من صفات الحوادث.

فبمجرد إضافة الصفة إليه جل وعلا، يتبادر إلى الفهم أنه لا مناسبة بين تلك الصفة الموصوف بها الخالق، وبين شيء من صفات المخلوقين، وهل ينكر عاقل، أن السابق إلى الفهم المتبادر لكل عاقل: هو منافاة الخالق للمخلوق في ذاته، وجميع صفاته، لا والله لا ينكر ذلك إلا مكابر ‍. ‍‍‍

والجاهل المفتري الذي يزعم أن ظاهر آيات الصفات لا يليق بالله لأنه كفر وتشبيه - إنما جر إليه ذلك تنجيس قلبه، بقدر التشبيه بين الخالق والمخلوق، فأداه شؤم التشبيه إلى نفي صفات الله جل وعلا، وعدم الإيمان بها، مع أنه جل وعلا، هو الذي وصف بها نفسه، فكان هذا الجاهل مشبهاً أولاً، ومعطلاً ثانياً، فارتكب ما لا يليق بالله ابتداء وانتهاء، ولو كان قلبه عارفاً بالله كما ينبغي، معظماً لله كما ينبغي، طاهراً من أقذار التشبيه - لكان المتبادر عنده السابق إلى فهمه: أن وصف الله جل وعلا، بالغ من الكمال، والجلال ما يقطع أوهام علائق المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين، فيكون قلبه مستعداً للإيمان بصفات الكمال والجلال الثابتة لله في القرآن والسنة الصحيحة، مع التنزيه التام عن مشابهة صفات الخلق على نحو قوله: ﭽ ﭡ ﭢ ﭣﭤ ﭥ ﭦ ﭧﭼ ، فلو قال متنطع: بينوا لنا كيفية الاتصاف بصفة الاستواء واليد، ونحو ذلك لنعقلها، قلنا: أعرفت كيفية الذات المقدسة المتصفة بتلك الصفات؟

فلا بد أن يقول: لا، فنقول: معرفة كيفية الاتصاف بالصفات متوقفة على معرفة كيفية الذات، فسبحان من لا يستطيع غيره أن يحصي الثناء عليه هو، كما أثنى على نفسه، ﭽ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﭼ طه: ١١٠ ﭽ ﭡ ﭢ ﭣﭤ ﭥ ﭦ ﭧﭼ ، ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭼ الإخلاص: ١ - ٤ ، ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ النحل: ٧٤.

فتحصّل من جميع هذا البحث أن الصفات من باب واحد، وأن الحق فيها متركب من أمرين:

الأول: تنزيه الله جل وعلا عن مشابهة الخلق.

والثاني: الإيمان بكل ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله إثباتاً، أو نفياً; وهذا هو معنى قوله تعالى: ﭽ ﭡ ﭢ ﭣﭤ ﭥ ﭦ ﭧﭼ ، والسلف الصالح، رضي الله عنهم ما كانوا يشكون في شيء من ذلك، ولا كان يشكل عليهم، ألا ترى إلى قول الفرزدق وهو شاعر فقط، وأما من جهة العلم، فهو عامي:

وكيف أخاف الناس والله قابض ... على الناس والسبعين في راحة اليد([[273]](#footnote-273))

ومراده بالسبعين: سبع سماوات، وسبع أرضين، فمن علم مثل هذا من كون السماوات والأرضين في يده جل وعلا أصغر من حبة خردل، فإنه عالم بعظمة الله وجلاله لا يسبق إلى ذهنه مشابهة صفاته لصفات الخلق، ومن كان كذلك زال عنه كثير من الإشكالات التي أشكلت على كثير من المتأخرين، وهذا الذي ذكرنا من تنزيه الله جل وعلا عما لا يليق به، والإيمان بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ، هو معنى قول الإمام مالك رحمه الله: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والسؤال عنه بدعة، ويروى نحو قول مالك هذا عن شيخه ربيعة بن أبي عبد الرحمن([[274]](#footnote-274))، وأم سلمة رضي الله عنها، والعلم عند الله تعالى"([[275]](#footnote-275)).

وأما الخوارج فهم كغيرهم من المؤولة يفسرون الاستواء في الآية بالاستيلاء.

يقول ابن أطفيش في تفسيره عند قوله تعالى ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ طه: ٥ أي استولى"([[276]](#footnote-276)).

ويقول الربيع في مسنده:" الباب الثامن والعشرين: في قوله تعالى: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ قا ل جابر بن زيد: سئل ابن عباس عن قوله تعالى ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ فقال: ارتفع ذكره وثناؤه على خلقه، لا على ما قال المنددون أن له أشباهاً وأنداداً تعالى الله عن ذلك.

قال: وعن عبد الله بن عمر أنه سئل عن الصخرة التي كانت في بيت المقدس فقال له: إن ناساً يقولون فذكر قولهم: سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً، فارتعد ابن عمر فرقاً وشفقاً حين وصفوه بالحدود والانتقال فقال ابن عمر: إن الله أعظم وأجل من أن يوصف بصفات المخلوقين هذا كلام اليهود أعداء الله إنما يقول ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ أي: استوى أمره وقدرته فوق بريته، قال محمد بن الحنيفية([[277]](#footnote-277)): قاتل الله أهل الشام ما أكفرهم أو قال: ما أضلهم! يقولون: وضع الله قدمه على صخرة بيت المقدس، وقد وضع عبد من عباده يعني إبراهيم عليه السلام قدمه على حجر فجعله قبلة للناس تكذيباً لقولهم ورداً لباطلهم، وقال الحسن: ارتفع ذكره وثناؤه ومجده على خلقه، ولا يوصف الله تبارك وتعالى بزوال من مكان إلى مكان ... إلى آخر ما قال"([[278]](#footnote-278))

ولا يخفى ما في هذا التفسير من الفساد ولذلك أنكره أهل العلم وأئمة التفسير لأنه يلزم منه عدة لوازم فاسدة، وإذا نظرنا إلى الاستواء الوارد في القرآن الكريم كصفة للرحمن عز وجل نجد أنه ورد بلفظين: الأول ﭽ ﯵ ﯶ ﭼ وقد ذكر في موضعين من القرآن:ـ

أحدهما: قوله تعالى ﭽ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﭼ البقرة: ٢٩ والآخر : قوله تعالى ﭽ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﭼ فصلت: ١١

قال أبو العالية: ﭽ ﯢ ﯣ ﯤ ﭼ ارتفع لأنه قال قبل هذه: ﭽ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﭼ فصلت: ٩ - ١١ وسورة فصلت مكية، ثم أنزل البقرة وهي مدنية ﭽ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﭼ البقرة: ٢٩ فلما ذكر استواءه إلى السماء كان بعد خلق الأرض وما فيها تضمن معنى العلو، لأن السماء فوق الأرض فالاستواء إليها الارتفاع إليها،   
والخوارج والمعتزلة قالوا: أن معنى قوله تعالى ﭽ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﭼ أي: قصد إليها بإرادته ومشيئته بعد خلق ما في الأرض، وهذا الوجه من أضعف الوجوه وأفسدها، فإنه قد أخبر سبحانه وتعالى أن العرش كان على الماء قبل خلق السماوات والأرض، وثبت ذلك من حديث عمران ابن الحصين عن رسول الله : ( كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء وخلق السماوات والأرض..([[279]](#footnote-279))) فإذا كان العرش مخلوقاً قبل السماوات والأرض، فكيف يكون استواؤه قصده إلى خلقه له؟

وأما اللفظ الثاني:ﭽ ﮐ ﮑ ﭼ وقد ورد في سبعة مواضع من القرآن الكريم

1ـ في سورة الأعراف: ﭽ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ الأعراف: ٥٤

2ـ سورة يونس : ﭽ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁﮂ ﮃ ﮄ ﭼ يونس: ٣

3ـ سورة الرعد : ﭽ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭼ الرعد: ٢ 4ـ سورة طه : ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ طه: ٥

5ـ سورة الفرقان : ﭽ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ الفرقان: ٥٩

6ـ سورة السجدة : ﭽ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭼ السجدة: ٤

7ـ سورة الحديد : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭼ الحديد: ٤

ومعنى قوله تعالى ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜﭝ ﭼ أي: علا عليه وارتفع، وهو منقول عن حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس وعن مجاهد وأبي العالية، وإسحاق بن راهويه، واختاره شيخ المفسرين ابن جرير الطبري، وهو قول أهل السنة وأصحاب الحديث، فإنهم يثبتون استواءه على العرش ولا ينفونه ولا يكيفونه كما نقل ذلك عنهم أبو الحسن الأشعري رحمه الله([[280]](#footnote-280))، فنحن نجهل كيفية استواءه سبحانه، لأننا نجهل كيفية ذاته سبحانه وتعالى.

وأما زعم من زعم أن استوى تأتي بمعنى (استولى) فلا شك أن هذا القول معلوم الفساد بالاضطرار من وجوه متعددة:

أولها: أنه ليس في كلام العرب البتة استوى بمعنى استولى، ولا نقله أحد من أئمة اللغة الذين يحتج بهم ويعول على قولهم، والذين لم تتدنس فطرهم بقاذورات الفلسفات الوافدة، بل المنقول عنهم بالإسناد الصحيح الصريح أنهم أنكروا ذلك غاية الإنكار.

قال ابن الأعرابي([[281]](#footnote-281)) أحد أئمة اللغة رحمه الله:" أرادني ابن أبي داود أن أطلب له في بعض لغات العرب ومعانيها ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ استوى بمعنى: استولى، فقلت له: والله ما يكون هذا ولا وجدته"([[282]](#footnote-282)).

وقد سئل الخليل بن أحمد([[283]](#footnote-283)) - رحمه الله - هل وجدت في اللغة استوى بمعنى استولى؟ فقال: هذا ما لا تعرفه العرب ولا هو جائز في لغتها"([[284]](#footnote-284)).

وقال ابن الجوزي : وهذا منكر عند اللغويين([[285]](#footnote-285)).

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ:" وأما ادعاؤهم المجاز في الاستواء وقولهم في تأويل ﭽ ﮌﭼ استولى، فلا معنى له، لأنه غير ظاهر في اللغة، ومعنى الاستيلاء في اللغة المغالبة، والله تعالى لا يغالبه أحد وهو الواحد الصمد، ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز، إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا تعالى إلا على ذلك"([[286]](#footnote-286)).

ثانياً: هذا المعنى الفاسد إنما قاله متأخروا النحاة الذين سلكوا سبيل المعتزلة والجهمية ومع ذلك لم يقولوه نقلاً، وإنما قالوه استنباطاً وحملاً منهم لكلمة استوى على استولى مستدلين بقول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق ..... من غير سيف ولا دم مهراق([[287]](#footnote-287))   
والجواب من وجوه:

1. هذا البيت ليس من شعر العرب، لأنه لم يأت نقل صحيح أنه شعر عربي وهو غير معروف في شيء من دواوين العرب وأشعارهم التي يرجع إليها.
2. هذا البيت لا يعرف له أصل في التاريخ، ولا يعلم قائله، مما يدل على أنه مصنوع للاحتجاج به.
3. قائل هذا البيت ألا يمكن أن يكون قاله بعد تغير اللسان؟ لأن كل قول يستدل به على اللغة العربية بعد تغير اللغة العربية فإنه ليس بدليل فالعربية بدأت تتغير حين اتسعت الفتوح ودخل العجم مع العرب فاختلف اللسان، وهذا فيه احتمال أنه بعد تغير اللسان.
4. لو صح هذا البيت، وصح أنه غير محرف، لم يكن فيه حجة لهم بل هو حجة عليهم، لأن بشراً كان أخاً للخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، وكان أميراً على العراق، فاستوى عليها كما هو عادة الملوك أن يجلسوا فوق سرير الملك، وهذا مطابق لمعنى هذه اللفظة في اللغة كقوله تعالى ﭽﭫ ﭬ ﭭﭼ الزخرف: ١٣فهذا البيت يناسب مقام بشر لكنه لا يناسب مقام الألوهية.
5. نقول للخوارج والمؤولة عموماً كما أنكم تستدلون بأشعار فنحن نحتج عليكم أيضاً بأشعار تدحض جميع حججكم الساقطة التي نفيتم بها علو الله واستواءه فوق عرشه، ومن ذلك قول حسان بن ثابت بين يدي الرسول :

شهدت بإذن اللـه أن محـمــــــــداً ... رسول الذي فوق السماوات من عـل

وأن أبــا يحيى ويحي كلاهـمـا ... له عمــل مــــن ربه متقبـــــــل

وأن الذي عادى اليهود ابن مريـم...رسول أتى من عند ذي العرش مرسل

فقال له النبي ( وأنا أشهد )([[288]](#footnote-288)).

وأنشد عبد الله بن رواحة بين يدي رسول الله :

شهدت بأن وعـد الله حــــــق ... وأن النار مثوى الكافرينــــــــا

وأن العرش فوق الماء طاف ... وفوق العـــرش رب العالمينــا

وتحملـــــه ملائــكة شــــداد ... ملائكــــــة الإلــه مسومينــــــا

فأقره النبي على ما قال وضحك منه"([[289]](#footnote-289)).

مع العلم أن هذه الأشعار وردت بأسانيد وإن كان فيها ضعف، وكذلك معلوم قائلها، وليست كأبيات مجهولة وملفقة.

ومن اللوازم الفاسدة أيضاً المترتبة على القول بأن معنى استوى: استولى ما ذكره الرازي في تفسيره قال:"

1ـ أن الاستيلاء معناه حصول الغلبة بعد العجز، وذلك في حق الله تعالى محال.

2ـ أنه إنما يقال فلان استولى على كذا إذا كان له منازع ينازعه، وكان المستولى عليه موجوداً قبل ذلك، وهذا في حق الله تعالى محال، لأن العرش إنما حدث بتخليقه وتكوينه.

3ـ الاستيلاء حاصل بالنسبة إلى كل المخلوقات فلا يبقى لتخصيص العرش بالذكر فائدة"([[290]](#footnote-290)).

فالذي ندين الله تعالى به، أنه لا حجة في مخالفة تفسير السلف ـ رحمهم الله ـ تعالى للاستواء الذي معناه: العلو والارتفاع، لا كما زعمت الخوارج ومن نهج نهجهم من المؤولة، ومع ذلك فإننا لا نستطيع أن نكيف صفات الله تعالى، بل نمرها كما جاءت من غير تحريف ولا تمثيل ولا تعطيل.

**المبحث السادس:** جهود المفسرين في الرد على تأويلات الخوارج للآيات الواردة بشأن رؤية الله عز وجل.

وذلك في نحو قوله تعالى ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ النساء: ١٥٣

وقوله تعالى ﭽ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪﭫ ﭬ ﭭ ﭮﭼ الأنعام: ١٠٣

وقوله تعالى ﭽ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﭼ الأعراف: ١٤٣

وقوله تعالى ﭽ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﭼ الشورى: ٥١

وقوله تعالى ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭼ القيامة: ٢٢ - ٢٣

وقوله تعالى ﭽ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ المطففين: ١٥

من المعلوم أن أهل السنة يثبتون الرؤية للمؤمنين في الآخرة دون الكافرين يقول الإمام الطبري:" والصواب من القول في ذلك عندنا، ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله أنه قال:(إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر وكما ترون الشمس ليس دونها سحاب)([[291]](#footnote-291))، فالمؤمنون يرونه، والكافرون عنه يومئذ محجوبون، كما قال جل ثناؤه: ﭽ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ"([[292]](#footnote-292))

ويقول البغوي:" ومذهب أهل السنة إثبات رؤية الله عز وجل عياناً، كما جاء به القرآن والسنة، قال الله تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭼ ، وقال ﭽ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ المطففين: ١٥ ، قال مالك رحمه الله: لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الله الكفار بالحجاب، وقرأ النبي : ﭽ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭼ يونس: ٢٦ ، وفسره بالنظر إلى وجه الله عز وجل"([[293]](#footnote-293)).

ويقول الإمام الشنقيطي ـ رحمه الله ـ:" والحق الذي لا شك فيه: أن المؤمنين يرون الله بأبصارهم يوم القيامة كما تواترت به الأحاديث عن الصادق المصدوق ، ودلت عليه الآيات القرآنية منطوقا ومفهوما"([[294]](#footnote-294)).

ويقول العلامة ابن عثيمين:" ﭽ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ أي: حقًّاً إنهم عن ربهم لمحجوبون، وذلك في يوم القيامة فإنهم يحجبون عن رؤية الله عز وجل كما حُجبوا عن رؤية شريعته وآياته فرأوا أنها أساطير الأولين وبهذه الآية استدل أهل السنة والجماعة على ثبوت رؤية الله عز وجل، ووجه الدلالة ظاهر فإنه ما حجب هؤلاء في حال السخط إلا وقد مكن للأبرار من رؤيته تعالى في حال الرضا، فإذا كان هؤلاء محجوبون فإن الأبرار غير محجوبين، ولو كان الحجب لكل منهم لم يكن لتخصيصه بالفجار فائدة إطلاقاً، ورؤية الله عز وجل ثابتة بالكتاب ومتواتر السنة، وإجماع الصحابة والأئمة، لا إشكال في هذا أنه تعالى يُرى حقًّاً بالعين كما قال تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭼ "([[295]](#footnote-295))

الخوارج يعتقدون أن الله لا يمكن رؤيته في الآخرة ويستدلون بآيات من القرآن مثل قوله تعالى:

ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ النساء: ١٥٣

وقوله تعالى ﭽ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪﭫ ﭼ الأنعام: ١٠٣

وقوله تعالى ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:" فالجهمية والمعتزلة والخوارج وطائفة من غير الإمامية تنكرها، والإمامية لهم فيها قولان: فجمهور قدمائهم يثبت الرؤية وجمهور متأخريهم ينفونها"([[296]](#footnote-296)).

وقال بعدها:" وأما الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين، كمالك والثوري والأوزاعي والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق وأبي حنيفة وأبي يوسف، وأمثال هؤلاء، وسائر أهل السنة والحديث، والطوائف المنتسبين إلى السنة والجماعة كالكلابية([[297]](#footnote-297))، والأشعرية[[298]](#footnote-298) والسالمية، وغيرهم، فهؤلاء كلهم متفقون على إثبات الرؤية لله تعالى، والأحاديث بها متواترة عن النبي عند أهل العلم بحديثه.

وكذلك الآثار بها متواترة عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وقد ذكر الإمام أحمد وغيره من الأئمة العالمين بأقوال السلف أن الصحابة والتابعين لهم بإحسان متفقون على أن الله يُرى في الآخرة بالأبصار"([[299]](#footnote-299))

وقال أبو الحسن الأشعري:" وقالت المعتزلة والخوارج وطوائف من المرجئة وطوائف من الزيدية([[300]](#footnote-300)): أن الله لا يرى بالأبصار في الدنيا والآخرة ولا يجوز ذلك عليه"([[301]](#footnote-301)).

وقال ابن أبي العز الحنفي:" المخالف في الرؤية الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والإمامية، وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنة، وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين، وأهل الحديث، وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبون إلى السنة والجماعة"([[302]](#footnote-302)).

وأما استدلالهم بالآيات السابقة فلا وجه له عند المفسرين فمثلاً قوله تعالى ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ يقول الزمخشري في الكشاف:" (ﯜ) بسبب سؤالهم الرؤية، ولو طلبوا أمراً جائزاً لما سموا ظالمين، ولما أخذتهم الصاعقة، كما سأل إبراهيم عليه السلام أن يريه إحياء الموتى فلم يسمه ظالماً، ولا رماه بالصاعقة، فتباً للمشبهة ورمياً بالصواعق "([[303]](#footnote-303))

قال أبو حيان في تفسيره رداً على كلامه هذا:" وهو على طريقة الاعتزال في استحالة رؤية الله عندهم، وأهل السنة يعتقدون أنهم لم يسألوا محالاً عقلاً، لكنه ممتنع من جهة الشرع، إذ قد أخبر تعالى على ألسنة أنبيائه أنه لا يرى في هذه الحياة الدنيا، والرؤية في الآخرة ثابتة عن الرسول بالتواتر، وهي جائزة عقلا"([[304]](#footnote-304))

ويقول العلامة الأمين الشنقيطي ـ رحمه الله ـ:" واستدلال المعتزلة بهذه الآية، وأمثالها على أن رؤية الله مستحيلة استدلال باطل ومذهبهم والعياذ بالله من أكبر الضلال، وأعظم الباطل، وقول الزمخشري في كلامه على هذه الآية: إن الله لا يرى، قول باطل، وكلام فاسد، والحق الذي لا شك فيه أن المؤمنين يرون الله بأبصارهم يوم القيامة كما تواترت به الأحاديث عن الصادق المصدوق ، ودلت عليه الآيات القرآنية منطوقاً ومفهوماً كما أوضحناه في غير هذا الموضع"([[305]](#footnote-305)).

وأما قوله تعالى ﭽ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪﭫ ﭼ

فأهل السنة يؤولونها بالإحاطة وليس الرؤيا فالمعنى: لا تحيط به الأبصار، وهو يحيط بها، قال الإمام الطبري:" واعتل قائلوا هذه المقالة لقولهم هذا بأن قالوا: إن الله قال ﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ يونس: ٩٠ ، قالوا: فوصف الله تعالى الغرق بأنه أدرك فرعون، ولا شك أن الغرق غير موصوف بأنه رآه، ولا هو مما يجوز وصفه بأنه يرى شيئًاً قالوا: فمعنى قوله ﭽ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ بمعنى: لا تراه بعيد، لأن الشيء قد يدرك الشيء ولا يراه، كما قال جل ثناؤه مخبرًا عن قول أصحاب موسى لموسى حين قرُب منهم أصحاب فرعون: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭼ الشعراء: ٦١ ، لأن الله قد كان وعد نبيه موسى أنهم لا يُدْرَكون، لقوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭼ طه: ٧٧

قالوا: فإن كان الشيء قد يرى الشيء ولا يدركه، ويدركه ولا يراه، فكان معلومًا بذلك أن قوله: ﭽ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ، من معنى: لا تراه الأبصار بمعزل، وأن معنى ذلك: لا تحيط به الأبصار، لأن الإحاطة به غير جائزة، قالوا: فالمؤمنون وأهل الجنة يرون ربهم بأبصارهم، ولا تدركه أبصارهم، بمعنى: أنها لا تحيط به، إذ كان غير جائز أن يوصف الله بأن شيئًا يحيط به، قالوا: ونظير جواز وصفه بأنه يُرَى ولا يُدْرَك، جوازُ وصفه بأنه يعلم ولا يحاط بعلمه، وكما قال جل ثناؤه: ﭽ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﭼ البقرة: ٢٥٥ قالوا: فنفى جل ثناؤه عن خلقه أن يكونوا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء، قالوا: ومعنى"العلم" في هذا الموضع، المعلوم، قالوا: فلم يكن في نفيه عن خلقه أن يحيطوا بشيء من علمه إلا بما شاء، نَفْيٌ عن أن يعلموه، قالوا: فإذا لم يكن في نفي الإحاطة بالشيء علمًا نَفْيٌ للعلم به، كان كذلك، لم يكن في نفي إدراك الله عن البصر، نفيُ رؤيته له، قالوا: وكما جاز أن يعلم الخلق أشياءَ ولا يحيطون بها علمًا، كذلك جائزٌ أن يروا ربَّهم بأبصارهم ولا يدركوه بأبصارهم، إذ كان معنى الرؤية غير معنى الإدراك، ومعنى الإدراك غير معنى الرؤية، وأن معنى الإدراك، إنما هو الإحاطة، كما قال ابن عباس في الخبر الذي ذكرناه قبل، قالوا: فإن قال لنا قائل: وما أنكرتم أن يكون معنى قوله: ﭽ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ ، لا تراه الأبصار؟

قلنا له: أنكرنا ذلك، لأن الله جل ثناؤه أخبر في كتابه أن وجوهًا في القيامة إليه ناظرة، وأن رسول الله أخبر أمته أنهم سيرون ربهم يوم القيامة، كما يُرَى القمر ليلة البدر، وكما ترونَ الشمس ليسَ دونها سحاب، قالوا: فإذ كان الله قد أخبر في كتابه بما أخبر، وحققتْ أخبارُ رسول الله بما ذكرنا عنه من قوله : إن تأويل قوله: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭼ ، أنه نظر أبصار العيون لله جل جلاله، وكان كتاب الله يصدق بعضه بعضًا، وكان مع ذلك غير جائز أن يكون أحدُ هذين الخبرين ناسخًا للآخر، إذ كان غير جائز في الأخبار لما قد بينا في كتابنا:"كتاب لطيف البيان، عن أصول الأحكام"، وغيره علم، أن معنى قوله ﭽ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ ، غير معنى قوله: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭼ ، فإن أهل الجنة ينظرون بأبصارهم يوم القيامة إلى الله، ولا يدركونه بها، تصديقًا لله في كلا الخبرين، وتسليمًا لما جاء به تنزيله على ما جاء به في السورتين"([[306]](#footnote-306))

هذا تأويل إمام من أئمة التفسير وفي المقابل انظر إلى ما يدعيه رأس المعتزلة الزمخشري في كشافه بل واستماتته في دفاعه عن معتقده الباطل حتى ولو كان في ذلك رد لما جاء عن رسول الله من الأخبار يقول:" فقوله ﭽﭥ ﭦ ﭧﭼ نفى للرؤية فيما يستقبل، ولن تراني تأكيد وبيان"([[307]](#footnote-307))

قال مقاتل بن سليمان ـ رحمه الله ـ:" ثم عظم نفسه فقال: ﭽ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ يقول: لا يراه الخلق في الدنيا ﭽ ﭨ ﭩ ﭪﭫ ﭼ وهو يرى الخلق في الدنيا ﭽ ﭬ ﭭ ﭼ لطف علمه وقدرته حين يراهم في السموات والأرض ﭽ ﭮ ﭼ بمكانهم"([[308]](#footnote-308))

وقال أيضاً ـ رحمه الله ـ:" وأما قوله جل ثناؤه ﭽ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ وقال فى آية اخرى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭼ فكان هذا عند من يجهل التفسير ينقض بعضه بعضاً، وليس بمنتقض ولكنها فى تفسير الخواص فى المواطن المختلفة.

فأما تفسير ﭽ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ يعنى: لا يراه الخلق فى الدنيا دون الآخرة، ولا فى السموات دون الجنة، وقوله: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭼ يعنى يوم القيامة، (ﭛ) يعنى: الحسن والبياض يعلوها النور ﭽ ﭝ ﭞ ﭟ ﭼ ينظرون الى الله عز وجل يومئذ معاينة فهذا تفسيرهما"([[309]](#footnote-309))

ويقول البغوي ـ رحمه الله ـ:" وأما قوله: ﭽ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ علم أن الإدراك غير الرؤية لأن الإدراك هو: الوقوف على كنه الشيء والإحاطة به، والرؤية: المعاينة، وقد تكون الرؤية بلا إدراك.

قال سعيد بن المسيب: لا تحيط به الأبصار.

وقال عطاء: كلت أبصار المخلوقين عن الإحاطة به، وقال ابن عباس ومقاتل: لا تدركه الأبصار في الدنيا، وهو يرى في الآخرة، قوله تعالى: ﭽ ﭨ ﭩ ﭪﭫ ﭼ لا يخفى عليه شيء ولا يفوته، ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭼ قال ابن عباس رضي الله عنهما: اللطيف بأوليائه، الخبير بهم، وقال الأزهري: معنى ﭽ ﭭ ﭼ الرفيق بعباده، وقيل: اللطيف: الموصل الشيء باللين والرفق، وقيل اللطيف: الذي ينسي العباد ذنوبهم لئلا يخجلوا، وأصل اللطف دقة النظر في الأشياء"([[310]](#footnote-310)).

قوله تعالى ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﭼ الأعراف: ١٤٣ وبهذه الآية أيضاً تعلق نفاة الرؤية فقالوا: أن قول الله (ﯝ ﯞ) للتأكيد والبيان، يقول الزمخشري:" فإن قلت: ما معنى لَنْ؟ قلت: تأكيد النفي الذي تعطيه «لا»، وذلك أن «لا» تنفى المستقبل، تقول: لا أفعل غداً، فإذا أكدت نفيها قلت: لن أفعل غداً، والمعنى: أنّ فعله ينافي حالى، كقوله ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭼ الحج: ٧٣ فقوله ﭽ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ نفى للرؤية فيما يستقبل، و(ﯝ ﯞ) تأكيد وبيان، لأنّ المنفي مناف لصفاته"([[311]](#footnote-311)).

ويقول أيضاً:" كأنه عزّ وعلا حقق عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد إليه في قوله ﭽ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﭼ مريم: ٩٠ – ٩١، ( ﯣ ﯤ ﯥ) كما كان مستقراً ثابتاً ذاهباً في جهاته (ﯦ ﯧ) تعليق لوجود الرؤية بوجود ما لا يكون من استقرار الجبل مكانه حين يدكه دكا ويسويه بالأرض"([[312]](#footnote-312))

ولا يخفى ما يرمي إليه الزمخشري من إبراز معتقده الفاسد من نفي رؤية الله تعالى في الآخرة، سواء في كلامه الأول أنَّ ( لن ) تفيد التأكيد أو في كلامه الثاني من أن الله سبحانه وتعالى علق رؤيته بأمر مستحيل عقلاً وهو استقرار الجبل عند رؤية الله تعالى.

فأما استشهاده على أن «لن» تشعر باستحالة المنفي بها عقلاً، فمردود كثيراً بكثير من الآي، كقوله تعالى ﭽ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮮ ﭼ التوبة: ٨٣ فذلك لا يحيل خروجهم عقلاً، و ﭽ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﭼ هود: ٣٦ ، ﭽ ﯷ ﯸ ﯹ ﭼ الفتح: ١٥ فهذه كلها جائزات عقلاً، لولا أن الخبر منع من وقوعها، فالرؤية كذلك.

وأما تعليق رؤيته بأمر مستحيل فهذه حيلة باطلة، يقول محمد بن إسحق البخاري الحنفي:" ولما علق الله تعالى الرؤية بشريطة استقرار الجبل بقوله ﭽ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﭼ وكان ممكناً في العقل استقراره لو أقره الله وجب أن تكون الرؤية المعلقة به جائزة في العقل ممكنة، فإذا ثبت جوازه في العقل ثم جاء السمع بوجوبه بقوله ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ القيامة: ٢٢ - ٢٣ وقوله ﭽ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ المطففين: ١٥ وقوله ﭽ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭼ يونس: ٢٦ وجاءت الرواية بأنها الرؤية وقال النبي : (إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته يوم القيامة والأخبار في هذا مشهورة متواترة وجب القول به والإيمان والتصديق) له"([[313]](#footnote-313))

ويقول الرازي:" قوله تعالى ﭽ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﭼ علق الرؤية على استقرار الجبل، وهذا الشرط ممكن والمعلق بالممكن ممكن"([[314]](#footnote-314))

ويقول الثعلبي:" قال المتكلّمون من أهل الشام: لما علق الله الرؤية باستقراره دلّ على جواز الرؤية، لأن استقراره غير محال، فدلّ على أنّ ما علق عليه من كون الرؤية غير محال أيضاً، ألا ترى أن دخول الكفار الجنّة لما كان مستحيلاً علقه بشيء مستحيل، وهو قوله ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ الأعراف: ٤٠ "([[315]](#footnote-315))

ويقول السمعاني:" وفي هذا دليل على أنه يجوز أن يُرى، لأنه لم يعلق الرؤية بما يستحيل وجوده؛ لأن استقرار الجبل مع تجليه له غير مستحيل، بأن يجعل له قوة الاستقرار مع التجلي"([[316]](#footnote-316)).

فما استدل به الخوارج والمعتزلة وغيرهم من المؤولة في الحقيقة هو دليل عليهم وليس لهم.

ولا ريب أن الأدلة من الوحيين ثابتة قطعاً، وواضحة وضوح الشمس، على إثبات رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة، نسأل الله الكريم من فضلة أن يرزقنا النظر إلى وجهه الكريم، وأن يجزي هؤلاء الأئمة خير الجزاء على كفاحهم ونفاحهم وإظهارهم للحق، ودفاعهم عن الدين، وكشف شبهات الملحدين والمبطلين.

**الفصل الثاني: جهود المفسرين في الرد على الخوارج فيما تأولت من الأمور الغيبية وتحته أربعة مباحث:**

**المبحث الأول:** جهود المفسرين في الرد على تأويلات الخوارج للآيات الواردة في عذاب القبر.

**المبحث الثاني:** جهود المفسرين في الرد على تأويلات الخوارج للآيات الواردة في الشفاعة.

**المبحث الثالث:** جهود المفسرين في الرد على تأويلات الخوارج للآيات الواردة في خلق الجنة والنار قبل يوم القيامة.

**المبحث الرابع:** جهود المفسرين في الرد على تأويلات الخوارج للآيات في خلق القرآن ـ على زعمهم ـ.

**المبحث الأول:** جهود المفسرين في الرد على تأويلات الخوارج للآيات الواردة في عذاب القبر.

وذلك في نحو قوله تعالى:

ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯﭼ الأنعام: ٩٣

ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭼ إبراهيم: ٢٧

ﭽ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﭼ طه: ١٢٤

ﭽ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﭼ غافر: ٤٦

ﭽ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﭼ الطور: ٤٧

القبر في معتقد المسلمين إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار، جعله الله تعالى برزخاً بين حياتين، وفاصلاً بين مرحلتين، فهو بمثابة محطة للوقوف والانتظار، يقف فيها من مات - معذباً أو منعماً - ريثما تنقضي أعمار الناس في حياتهم الدنيا، لينتقلوا بعدها جميعاً إلى الدار الآخرة حيث يجازى المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته .

ورغم أن هذه المرحلة ـ القبر ـ مرحلة غيبية محضة، لا تدركها العقول، ولا يصلها الحس، فلم يخرج لنا ميت ليخبرنا بما رأى، ولا نزل حي إلى أهل القبور ليعلم حالهم، فالغيب يحيط بهذه المرحلة من جوانبها، فلا طريق لمعرفة كنهها وحقيقتها إلا بالخبر في كتاب الله وسنة نبيه ، وقد تضافرت النصوص سواء من الكتاب أو من السنة بما لا يدع مجالاً للشك على إثبات نعيم القبر وعذابه ـ أجارنا الله من عذابه ـ ومن تلك الآيات قوله تعالى ﭽ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﭼ غافر: ٤٦

والعرض على النار هنا نوع من العذاب، وهو حاصل قبل يوم القيامة بلا شك، بدليل قوله تعالى في الآية نفسها ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﭼ فدل ذلك على ثبوت عذاب القبر، وهذا المعنى يؤيده ما رواه البخاري و مسلم عن ابن عمر أن رسول الله قال: ( إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة )([[317]](#footnote-317))، يقول الطبري ـ رحمه الله ـ:" إنهم لما هلكوا وغرقهم الله، جعلت أرواحهم في أجواف طير سود، فهي تعرض على النار كلّ يوم مرتين (غُدُوًّا وَعَشِيًّا) إلى أن تقوم الساعة"([[318]](#footnote-318))**.**

ومن المعلوم أن النار سوداء مظلمة ليس فيها صباح ولا مساء ـ أجارنا الله منها ـ ويقول ابن كثير ـ رحمه الله ـ عند هذه الآية أيضاً:" فإن أرواحهم تعرض على النار صباحاً ومساءً إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار؛ ولهذا قال: ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫﭼ أي: أشده ألماً وأعظمه نكالاً، وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور، وهي قوله: ﭽ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢﮣ ﭼ"([[319]](#footnote-319))

قال البغوي:" النار، هي رفع على البدل من السوء، يعرضون عليها غدواً وعشياً، صباحاً ومساءً، قال ابن مسعود: أرواح آل فرعون في أجواف طيور سود يعرضون على النار كل يوم مرتين تغدو وتروح إلى النار، ويقال: يا آل فرعون هذه منازلكم حتى تقوم الساعة، وقال قتادة ومقاتل والسدي([[320]](#footnote-320)) والكلبي([[321]](#footnote-321)):" تعرض روح كل كافر على النار بكرةً وعشياً ما دامت الدنيا"([[322]](#footnote-322)).

قال السعدي:" وهذه إحدى الآيات الدالة على عذاب القبر"(**[[323]](#footnote-323)**)

ثم يقول الأمين الشنقيطي:" وأصرح دليل لإثبات عذاب القبر من القرآن، هو قوله تعالى: ﭽ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﭼ; لأن الأول في الدنيا، والثاني في الآخرة"([[324]](#footnote-324)).

لكن قد يَرِد على هذه الآية إشكال، وهو أن هذه الآية مكية، وقد استدلوا بها على عذاب القبر في البرزخ، وقد ورد في مسند الإمام أحمد حديث صحيح على شرط مسلم وهو ما روته عائشة رضي الله عنها (أن يهودية كانت تخدمها فلا تصنع عائشة إليها شيئاً من المعروف إلا قالت لها اليهودية: وقاك الله عذاب القبر، قالت: فدخل رسول الله علي فقلت: يا رسول الله، هل للقبر عذاب قبل يوم القيامة؟ قال: لا ، وعم ذلك؟ قالت: هذه اليهودية، لا نصنع إليها شيئاً من المعروف إلا قالت: وقاك الله عذاب القبر، قال: كذبت يهود، وهم على الله أكذب، لا عذاب دون يوم القيامة، ثم مكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث، فخرج ذات يوم نصف النهار مشتملاً بثوبه، محمرة عيناه، وهو ينادي بأعلى صوته: القبر كقطع الليل المظلم، أيها الناس، لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً وضحكتم قليلاً، أيها الناس، استعيذوا بالله من عذاب القبر، فإن عذاب القبر حق)([[325]](#footnote-325)).

وقد أجيب عن هذا الإشكال بعدة أجوبة ومنها ما أورده ابن كثير رحمه الله في تفسيره حيث قال:" والجواب: أن الآية دلت على عرض الأرواح إلى النار غدواً وعشياً في البرزخ، وليس فيها دلالة على اتصال تألمها بأجسادها في القبور، إذ قد يكون ذلك مختصاً بالروح، فأما حصول ذلك للجسد وتألمه بسببه، فلم يدل عليه إلا السنة في الأحاديث المرضية الآتي ذكرها.

وقد يقال: إن هذه الآية إنما دلت على عذاب الكفار في البرزخ، ولا يلزم من ذلك أن يعذب المؤمن في قبره بذنب، ومما يدل على هذا ما رواه الإمام أحمد: عن عائشة رضي الله عنها، (أن رسول الله دخل عليها وعندها امرأة من اليهود، وهي تقول: أشعرت أنكم تفتنون في قبوركم؟ فارتاع رسول الله وقال: إنما يفتن يهود، قالت عائشة: فلبثنا ليالي، ثم قال رسول الله : أشعرت أنه أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور؟ وقالت عائشة: سمعت رسول الله بعد يستعيذ من عذاب القبر)([[326]](#footnote-326)) وقد يقال: إن هذه الآية دلت على عذاب الأرواح في البرزخ، ولا يلزم من ذلك أن يتصل بالأجساد في قبورها، فلما أوحي إليه في ذلك بخصوصيته استعاذ منه، والله، سبحانه وتعالى، أعلم.

وقد روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها، (أن يهودية دخلت عليها فقالت: أعاذك الله من عذاب القبر فسألت عائشة رسول الله عن عذاب القبر؟ فقال: نعم عذاب القبر حق، قالت عائشة: فما رأيت رسول الله بعدُ صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر)([[327]](#footnote-327)).

فهذا يدل على أنه بادر إلى تصديق اليهودية في هذا الخبر وقرر عليه، وفي الأخبار المتقدمة: أنه أنكر ذلك حتى جاءه الوحي، فلعلهما قضيتان، والله أعلم، وأحاديث عذاب القبر كثيرة جداً"([[328]](#footnote-328)).

والأسلم من هذه الأجوبة حتى لا ندخل في مسألةٍ هي محل نزاع بين العلماء وهي مسألة وقوع النعيم والعذاب، هل هو على الروح فقط؟ أم على الروح والجسد جميعاً؟([[329]](#footnote-329)) أن نقول إن عذاب القبر إنما يؤخذ من الآية بالمنطوق في حق آل فرعون وإن التحق بهم من كان له حكمهم من الكفار، والذي أنكره النبي إنما هو وقوع عذاب القبر على الموحدين، ثم أُعلِمَ أن ذلك قد يقع على من يشاء الله منهم، فجزم به، وحذّر منه، وبالغ في الاستعاذة منه، تعليماً لأمته وإرشاداً فانتفى التعارض بحمد الله تعالى، وهذا ما نصّ عليه ابن حجرٍ ـ رحمه الله تعالى ـ في الفتح([[330]](#footnote-330)).

ومن الآيات التي استدل بها أهل السنة على عذاب القبر قوله تعالى ﭽ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﭼ الطور: ٤٧

والحقيقة أن أهل التأويل اختلفوا في العذاب الذي هو دون عذاب يوم القيامة على أقوال فقيل: هو عذاب القبر، وبه قال ابن عباس، وعلي بن أبي طالب والبراء بن عازب رضي الله عنهم، وقيل: المراد به الجوع، وبه قال مجاهد والضحاك، وقيل: بل المراد المصائب التي تصيبهم في الدنيا من ذهاب الأموال والأولاد، وبه قال ابن زيد([[331]](#footnote-331)).

قال الإمام الطبري :" والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن للذين ظلموا أنفسهم بكفرهم به عذاباً دون يومهم الذي فيه يصعقون، وذلك يوم القيامة، فعذاب القبر دون يوم القيامة، لأنه في البرزخ، والجوع الذي أصاب كفار قريش، والمصائب التي تصيبهم في أنفسهم وأموالهم وأولادهم دون يوم القيامة، ولم يخصص الله نوعاً من ذلك أنه لهم دون يوم القيامة دون نوع بل عمّ فقال ﭽ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﭼ فكلّ ذلك لهم عذاب، وذلك لهم دون يوم القيامة، فتأويل الكلام: وإن للذين كفروا بالله عذاباً من الله دون يوم القيامة ﭽ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﭼ الطور: ٤٧ بأنهم ذائقو ذلك العذاب"([[332]](#footnote-332))

قال السعدي :" لما ذكر الله عذاب الظالمين في القيامة، أخبر أن لهم عذابا دون عذاب يوم القيامة وذلك شامل لعذاب الدنيا، بالقتل والسبي والإخراج من الديار، ولعذاب البرزخ والقبر، ﭽ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﭼ أي: فلذلك أقاموا على ما يوجب العذاب، وشدة العقاب"([[333]](#footnote-333)).

ويقول الأمين الشنقيطي:" الظاهر أن قوله: عذاباً دون ذلك هو ما عذبوا به في دار الدنيا من القتل وغيره، كما دل على ذلك قوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭼ السجدة: ٢١ ، وقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭼ التوبة: ١٤ ، إلى غير ذلك من الآيات، ولا مانع من دخول عذاب القبر في ذلك، لأنه قد يدخل في ظاهر الآية، وما قيل في معنى الآية غير هذا لا يتجه عندي، والعلم عند الله تعالى"([[334]](#footnote-334)).

فالحاصل أن هذه الآية وإن كانت ليست بصراحة الآية التي سبقتها إلا أنه قال بدلالتها على عذاب القبر جمع من الصحابة وعلى رأسهم ترجمان القرآن ابن عباس .

ومن الآيات التي أثبتت عذاب القبر قوله تعالى ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﭼ الأنعام: ٩٣

ومن المعلوم أن بسط الملائكة أيديها بالعذاب لقبض روح الكافر هي مرحلة بين مرحلتين، مرحلة الحياة الدنيا ومرحلة الآخرة، ولذلك يقول العلامة ابن سعدي ـ رحمه الله ـ:" ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ أي: شدائده

وأهواله الفظيعة، وكربه الشنيعة لرأيت أمراً هائلاً وحالة لا يقدر الواصف أن يصفها.

ﭽ ﯛ ﯜ ﯝﭼ إلى أولئك الظالمين المحتضرين بالضرب والعذاب، يقولون لهم عند منازعة أرواحهم وقلقها، وتعصيها للخروج من الأبدان: ﭽ ﯞ ﯟﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﭼ أي: العذاب الشديد، الذي يهينكم ويذلكم والجزاء من جنس العمل، فإن هذا العذاب ﭽ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﭼ من كذبكم عليه، وردكم للحق، الذي جاءت به الرسل ﭽ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯﭼ أي: ترفعون عن الانقياد لها، والاستسلام لأحكامها، وفي هذا دليل على عذاب البرزخ ونعيمه، فإن هذا الخطاب، والعذاب الموجه إليهم، إنما هو عند الاحتضار وقبيل الموت وبعده، وفيه دليل، على أن الروح جسم، يدخل ويخرج، ويخاطب، ويساكن الجسد، ويفارقه، فهذه حالهم في البرزخ"(**[[335]](#footnote-335)**).

ويقول في موضع آخر:" وهذه إحدى الآيات الدالة على عذاب القبر"([[336]](#footnote-336))

ومن الآيات التي دلت على عذاب القبر ونعيمه قوله تعالى ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭼ إبراهيم: ٢٧

فقد دل الحديث الصحيح على أن هذه الآية في عذاب القبر، فعن البراء بن عازب ، عن النبي قال: ( إذا أقعد المؤمن في قبره أتي، ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فذلك قوله: ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ " ثم قال وعنه بهذا - وزاد - ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ نزلت في عذاب القبر)([[337]](#footnote-337))

وعن البراء بن عازب، عن النبي قال: ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ قال: نزلت في عذاب القبر، فيقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، ونبيي محمد ، فذلك قوله عز وجل: ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭼ([[338]](#footnote-338))

يقول الطبري:" وأما قوله: ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭼ ، فإن أهل التأويل اختلفوا فيه، فقال بعضهم: عنى بذلك أن الله يثبتهم في قبورهم قبل قيام الساعة"([[339]](#footnote-339))

ثم ساق أبو جعفر أحاديث كثيرة في إثبات هذا القول.

ويقول السمعاني:" قوله تعالى: ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ القول الثابت: كلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله، وقال: ﭽ ﭭ ﭮ ﭼ لأنه هو المثبت للإيمان في قلوب المؤمنين.

وقوله: ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭼ يعني: قبل الموت، وقوله ﭽ ﭶ ﭷ ﭼ أي: في القبر، وعليه أكثر أهل التفسير، وقد ثبت ذلك عن النبي برواية البراء بن عازب، وهو قول عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وجماعة من الصحابة، واعلم أن سؤال القبر ثابت في السنة، والإيمان به واجب، وقد وردت فيه الأخبار الكثيرة"([[340]](#footnote-340))

قال البغوي:" قوله تعالى: ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ كلمة التوحيد وهي قول: لا إله إلا الله ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭼ ، يعني قبل الموت، ﭽ ﭶ ﭷ ﭼ يعني: في القبر، هذا قول أكثر المفسرين وقيل: ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭼ عند السؤال في القبر، ﭽ ﭶ ﭷ ﭼ عند البعث، والأول أصح"

وقال:" ﭽ ﭹ ﭺ ﭻﭼ ﭼ أي: لا يهدي الله المشركين إلى الجواب بالصواب في القبر ﭽ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﭼ من التوفيق والخذلان والتثبيت وترك التثبيت"([[341]](#footnote-341)).

ويقول الرازي:" القول المشهور أن هذه الآية وردت في سؤال الملكين في القبر، وتلقين الله المؤمن كلمة الحق في القبر عند السؤال وتثبيته إياه على الحق، وعن النبي أنه قال في قوله: ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭼ قال: ( حين يقال له في القبر من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبي محمد )([[342]](#footnote-342)).

والمراد من الباء في قوله: ﭽ ﭱ ﭲ ﭼ هو أن الله تعالى إنما ثبتهم في القبر بسبب مواظبتهم في الحياة الدنيا على هذا القول، ولهذا الكلام تقرير عقلي وهو أنه كلما كانت المواظبة على الفعل أكثر كان رسوخ تلك الحالة في العقل والقلب أقوى، فكلما كانت مواظبة العبد على ذكر لا إله إلا الله وعلى التأمل في حقائقها ودقائقها أكمل وأتم كان رسوخ هذه المعرفة في عقله وقلبه بعد الموت أقوى وأكمل، قال ابن عباس: من داوم على الشهادة في الحياة الدنيا يثبته الله عليها في قبره ويلقنه إياها، وإنما فسر الآخرة هاهنا بالقبر، لأن الميت انقطع بالموت عن أحكام الدنيا ودخل في أحكام الآخرة وقوله: ﭽ ﭹ ﭺ ﭻﭼ ﭼ يعني: أن الكفار إذا سئلوا في قبورهم قالوا: لا ندري، وإنما قال ذلك لأن الله أضله وقوله: ﭽ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﭼ يعني: إن شاء هدى، وإن شاء أضل، ولا اعتراض عليه في فعله ألبتة"([[343]](#footnote-343))

وأكثر المفسرين على هذا لثبوت الخبر عن رسول الله وقد ساق ابن كثير في تفسيره شيئاً كثيراً من الأحاديث عند هذه الآية([[344]](#footnote-344)).

ومن الآيات التي استدل بها أهل السنة على إثبات نعيم القبر وعذابه قوله تعالى ﭽ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﭼ طه: ١٢٤ فالمعيشة الضنك في هذه الآية فسرها بعض الصحابة وبعض المفسرين بعذاب القبر، ورد ذلك عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة وعبد الله وأبي صالح والسدي وغيرهم، ومن المعلوم أن التفسير إذا فسرته السنة النبوية فلا يعدل به، بل يعتبر ذلك من أقوى المرجحات([[345]](#footnote-345)).

فعن أبي هريرة : عن رسول الله أنه قال: (أتدرون فيم أنزلت هذه الآية ﭽ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﭼ طه: ١٢٤ أتدرون ما المعيشة الضنك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: عذاب الكافر في قبره، والذي نفسي بيده أنه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنينا، أتدرون ما التنين: تسعة وتسعون حيه، لكل حيه سبعة رءوس، ينفخون في جسمه ويلسعونه

ويخدشونه إلى يوم القيامة )([[346]](#footnote-346)).

وعن أبي سعيد الخدري قال: إن المعيشة الضنك، التي قال الله: عذاب القبر"([[347]](#footnote-347)).

قال أبو جعفر الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: هو عذاب القبر الذي حدثنا به أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، قال: ثنا عمي عبد الله بن وهب، قال: أخبرني عمرو بن الحارث، عن درّاج، عن ابن حجيرة عن أبي هريرة، عن رسول الله أنه قال: ( أتدرون فيم أنزلت هذه الآية ﭽ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﭼ أتدرون ما المعيشة الضنك؟ " قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: عذاب الكافر في قبره، والذي نفسي بيده أنه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنينا، أتدرون ما التنين: تسعة وتسعون حيه، لكل حيه سبعة رءوس، ينفخون في جسمه ويلسعونه ويخدشونه إلى يوم القيامة )([[348]](#footnote-348)).

وإن الله تبارك وتعالى اتبع ذلك بقوله: ﭽ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ طه: ١٢٧ فكان معلوماً بذلك أن المعيشة الضنك التي جعلها الله لهم قبل عذاب الآخرة، لأن ذلك لو كان في الآخرة لم يكن لقوله: ﭽ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ معنى مفهوم، لأن ذلك إن لم يكن تقدمه عذاب لهم قبل الآخرة، حتى يكون الذي في الآخرة أشد منه، بطل معنى قوله ﭽ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ ، فإذ كان ذلك كذلك، فلا تخلو تلك المعيشة الضنك التي جعلها الله لهم من أن تكون لهم في حياتهم الدنيا، أو في قبورهم قبل البعث، إذ كان لا وجه لأن تكون في الآخرة لما قد بينا، فإن كانت لهم في حياتهم الدنيا، فقد يجب أن يكون كل من أعرض عن ذكر الله من الكفار، فإن معيشته فيها ضنك، وفي وجودنا كثيرا منهم أوسع معيشة من كثير من المقبلين على ذكر الله تبارك وتعالى، القائلين له المؤمنين في ذلك، ما يدل على أن ذلك ليس كذلك، وإذ خلا القول في ذلك من هذين الوجهين صح الوجه الثالث، وهو أن ذلك في البرزخ"([[349]](#footnote-349)).

أقول: وما أجمل هذا الاستنباط من إمامٍ جليلٍ من أئمة التفسير، ولاشك أن عذاب القبر ونعيمه مع ثبوته في الكتاب العزيز هو أيضاً ثابت بالنقل الصحيح، فقد تواترت الأدلة عن رسول الله في ذلك فعن عائشة، زوج النبي ( أن رسول الله كان يدعو في الصلاة: اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر...)([[350]](#footnote-350))

وعن عائشة أيضاً: (أن يهودية دخلت عليها، فذكرت عذاب القبر، فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشة رسول الله عن عذاب القبر، فقال: نعم، عذاب القبر، قالت عائشة رضي الله عنها: فما رأيت رسول الله بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر، زاد غندر: عذاب القبر حق)([[351]](#footnote-351))

وعن موسى بن عقبة، قال: حدثتني ابنة خالد بن سعيد بن العاص، أنها سمعت النبي : وهو (يتعوذ من عذاب القبر)([[352]](#footnote-352))

وعن مسروق، عن عائشة، قالت: (دخلت علي عجوزان من عُجُزِ يهود المدينة، فقالتا: إن أهل القبور يعذبون في قبورهم، قالت: فكذبتهما ولم أُنْعِمْ أن أصدقهما، فخرجتا ودخل علي رسول الله ، فقلت له: يا رسول الله إن عجوزين من عجز يهود المدينة دخلتا علي، فزعمتا أن أهل القبور يعذبون في قبورهم، فقال: صدقتا، إنهم يعذبون عذابا تسمعه البهائم قالت: فما رأيته، بعد في صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر)([[353]](#footnote-353)).

وعن ابن عباس رضي الله عنهماقال: ( مر النبي على قبرين فقال: إنهما ليعذبان وما يعذبان من كبير، ثم قال: بلى، أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما أحدهما فكان لا يستتر من بوله، قال: ثم أخذ عودا رطبا، فكسره باثنتين، ثم غرز كل واحد منهما على قبر، ثم قال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا)([[354]](#footnote-354)) والأحاديث في ذلك كثيرة جداً.

أما الخوارج فحيث أنه لا يوجد لهم كتب تنقل لنا معتقداتهم كما أسلفنا فالمعتمد في بيان معتقدهم هو كتب أهل السنة المتقدمين، وقد نص كثير من علماء أهل السنة في كتبهم على أن أكثر الخوارج ينكر عذاب القبر ونعيمه، يقول الأشعري:" والخوارج لا يقولون بعذاب القبر، ولا ترى أن أحداً يعذب في قبره"([[355]](#footnote-355))

ويقول ابن حزم:" ذهب ضرار بن عمرو الغطفاني([[356]](#footnote-356)) أحد شيوخ المعتزلة إلى إنكار عذاب القبر، وهو قول من لقينا من الخوارج"([[357]](#footnote-357)).

ويقول ابن حجر:" واكتفى بإثبات وجوده خلافاً لمن نفاه مطلقاً من الخوارج وبعض المعتزلة"([[358]](#footnote-358)).

وأما الأباضية من الخوارج فإن أكثرهم يثبت عذاب القبر ونعيمه([[359]](#footnote-359)) وذلك من خلال اطلاعي على بعض كتبهم وتفاسيرهم، ولذلك ترى أن عذاب القبر مثبت في أصح الكتب عندهم بعد القرآن الكريم وهو مسند الربيع بن حبيب حيث يقول في مسنده:" الباب الرابع: في عذاب القبر والشهداء وولاية قريش والطاعة للأمير.

قال ابن عباس: قال النبي (لو نجا من عذاب القبر أحد لنجا منه سعد بن معاذ ولقد ضغطه القبر ضغطة اختلفت فيه أضلاعه)([[360]](#footnote-360))  
قال ابن عباس: قال النبي :(الشهيد يغفر له عند أول قطرة تقطر من دمه ويجار من عذاب القبر)([[361]](#footnote-361)).

ويقول الهواري في تفسيره عند قوله تعالى ﭽ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢﭼ قال قال مجاهد: أي: ما كانت الدنيا، ذكروا عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ذكر في حديث ليلة أسري به أنه أتى على سابلة آل فرعون حين ينطلق بهم إلى النار يعرضون عليها غدواً وعشياً، فإذا رأوها قالوا: ربنا لا تقوم الساعة لما يرون من عذاب الله"([[362]](#footnote-362)).

ويقول ابن أطفيش عند هذه الآية:" وفى ذلك دليل على بقاء النفس وعذاب القبر"([[363]](#footnote-363))

وقد استمسك المنكرون لعذاب القبر ونعيمه بعدة أدلة من كتاب الله تعالى أجاب عنها المفسرون بما يدحض كل شبهة، ويرد كل باطل، ومن تلك الأدلة قوله تعالى ﭽ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ الدخان: ٥٦ قالوا: لو صاروا أحياء في القبور لذاقوا الموت مرتين مرة في حياتهم الدنيا، ومرة في حياتهم البرزخية.

وقد يُجاب عن ذلك بأجوبة كثيرة منها: أن الإيمان بحياة الأموات في قبورهم لا يقتضي مساواة حياتهم في البرزح بحياتهم في الدنيا، بل هي حياة خاصة قدرها الله سبحانه لهم، وعليه فلا يلزم ما قاله المنكرون لعذاب القبر ونعيمه من أنه لو كان الأموات منعمين أو معذبين للحقهم الموت مرة ثانية إذ ذلك لا يلزم إلا في حال تساوي الحياتين.

ومنشأ هذا الخلط عند منكري عذاب القبر هو ظنهم أن الموت هو عدم محض لا يشعر معه صاحبه بشيء، وهذا ما ترده النصوص الشرعية من الكتاب والسنة .

ثم إن الآية جاءت في سياق الامتنان على أهل الجنة بأنهم خالدون فيها لا يذوقون الموت سوى ما ذاقوه أول مرة في حياتهم الأولى، فليس في الآية حديث عن عذاب القبر ولا نعيمه ولا تعلق للآية به، فالاستدلال بها إقحام لها في غير سياقها ومساقها .

وأيضاً أن كثيراً من المفسرين يرى أن الاستثناء منقطع يؤكد النفي ومعناه: أنهم لا يذوقون فيها الموت أبداً.

يقول ابن كثير:" قوله: ﭽ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘﯙ ﭼ هذا استثناء يؤكد النفي، فإنه استثناء منقطع ومعناه: أنهم لا يذوقون فيها الموت أبداً، كما ثبت في الصحيحين([[364]](#footnote-364)) أن رسول الله قال: (يؤتى بالموت في صورة كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار ثم يذبح، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت) "([[365]](#footnote-365))

ويقول الشوكاني:" ﭽﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘﭼ أي: لا يموتون فيها أبداً إلا الموتة التي ذاقوها في الدنيا، والاستثناء منقطع، أي: لكن الموتة التي قد ذاقوها في الدنيا، كذا قال الزجاج والفراء وغيرهما، ومثل هذه الآية قوله: ﭽ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭼ النساء: ٢٢ .

وقيل: إن إلا بمعنى بعد، كقولك: ما كلمت رجلاً اليوم إلا رجلاً عندك، أي: بعد رجل عندك، وقيل: هي بمعنى سوى، أي: سوى الموتة الأولى.

وقال ابن قتيبة: إنما استثنى الموتة الأولى وهي في الدنيا، لأن السعداء حين يموتون يصيرون بلطف الله وقدرته إلى أسباب من الجنة يلقون الروح والريحان، ويرون منازلهم من الجنة، وتفتح لهم أبوابها، فإذا ماتوا في الدنيا فكأنهم ماتوا في الجنة لاتصالهم بأسبابها ومشاهدتهم إياها، فيكون الاستثناء على هذا متصلا، واختار ابن جرير أن إلا بمعنى بعد، واختار كونها بمعنى سوى ابن عطية"([[366]](#footnote-366))

ومن الآيات التي استدل بها منكري عذاب القبر قوله تعالى ﭽ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ النمل: ٨٠

ومثلها قوله تعالى ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭼ فاطر: ٢٢

وقد يجاب عن ذلك بأن الآية وردت في سياق تشبيه حال الكفار من حيث عدم انتفاعهم بسماع المواعظ والآيات بحال أهل القبور الذين لا ينتفعون بشيء مما يلقى عليهم، فالآية تنفي سماع الانتفاع لا مطلق السماع بدليل أن الكفار وهم المرادون في الآية بالأموات يسمعون الآيات بلا شك ولكنهم لا ينتفعون بها .

وقد ذكر بعض المفسرين أن المقصود بالموتى في قوله ﭽﭩ ﭪ ﭫ ﭬﭼ أي: الكفار.

يقول السمعاني:" قوله تعالى: ﭽ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭼ المراد من الموتى هاهنا: هم الكفار، وهو مثل قوله تعالى: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ النحل: ٢١ فسماهم موتى؛ لأنهم ميتوا القلب؛ ولأنهم لم ينتفعوا صاروا كالموتى"([[367]](#footnote-367)).

ويقول البغوي:" ﭽ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭼ ، يعني الكفار"([[368]](#footnote-368))

ويقول القرطبي:" ﭽ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬﭼ يعني: الكفار لتركهم التدبر، فهم كالموتى لا حس لهم ولا عقل، وقيل: هذا فيمن علم أنه لا يؤمن، ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰﭼ يعني: الكفار الذين هم بمنزلة الصم عن قبول المواعظ، فإذا دعوا إلى الخير أعرضوا وولوا كأنهم لا يسمعون، نظيره ﭽ ﭣ ﭤ ﭥ ﭼ البقرة: ١٨" ([[369]](#footnote-369))

يقول الأمين الشنقيطي:" ضرب الله تعالى في هذه الآية الكريمة المثل للكافر بالأعمى والأصم، وضرب المثل للمؤمن بالسميع والبصير، وبين أنهما لا يستويان، ولا يستوي الأعمى والبصير، ولا يستوي الأصم والسميع، وأوضح هذا المعنى في آيات كثيرة:

قوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭼ فاطر: ١٩ - ٢٣ وقوله: ﭽ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ الرعد: ١٩ وقوله: ﭽ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ إلى غير ذلك من الآيات"([[370]](#footnote-370)).

ونستطيع القول أن هذا ما يتعلق برد استدلالهم بالمنقول على إنكار عذاب القبر ونعيمه، وأما ما استدلوا به من حيث الحس والعقل من قولهم أنا نرى الشخص يصلب ويبقى مصلوباً إلى أن تذهب أجزاؤه، ولا نشاهد فيه أيّاً من علامات الحياة فلا نراه يعذب ولانراه ينعم.

ونرى الرجل يحرق بالنار، وتأكله السباع، ولا نرى أثراً لما تقولونه من عذاب القبر ونعيمه.

فيرد عليهم من وجوه عدة:

الوجه الأول: أن الله قد حجب عنا معرفة ما يحصل للميت شفقة بنا لئلا نترك دفن موتانا، قال : ( إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر )([[371]](#footnote-371)).

الوجه الثاني: أن عدم رؤيتنا لما يحصل للميت من عذاب أو نعيم لا يعني عدم وجوده، فقدرة الله ليس لها حدود، فهو قادر سبحانه على أن يعذب أو ينعم من مات محروقا، أو مات مأكولا، فالله لا يعجزه شيء وهو على كل شيء قدير.

الوجه الثالث: أننا نرى اليوم من طرق التعذيب أنواعاً مختلفة لا تترك آثاراً في الجسد، كالتعذيب الكهربائي مثلاً، أو التعذيب النفسي، وهي أنواع من التعذيب ربما تكون أقسى من تلك التي تترك ندوباً في الجسد وآثاراً.

الوجه الرابع: أن من أصول الإيمان عندنا الإيمان بالغيب، وعذاب القبر منه، وإنكار عذاب القبر ونعيمه بدعوى عدم مشاهدته أو الإحساس به، هو فتح لباب جحود الغيب على مصراعيه، فالملائكة تطوف حولنا وتكتب حسناتنا وسيئاتنا ولا نراها ومع ذلك نؤمن بها، وكذلك الجن، فهل يعد عدم رؤيتنا لذلك مبرراً لإنكار تلك الغيبيات .

وبهذا يظهر أن من أنكر عذاب القبر ونعيمه ليس معه من العلم سوى الأوهام، وأن دلائل الكتاب والسنة قائمة على إثباته وتحقيقه، والله أعلم .

**المبحث الثاني:** جهود المفسرين في الرد على تأويلات الخوارج للآيات الواردة في الشفاعة.

وذلك في نحو قوله تعالى:

ﭽ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﭼ البقرة: ٤٨

ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﭼ البقرة: ١٢٣

ﭽ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﭼ البقرة: ٢٥٤

ﭽ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ الزمر: ٤٤

ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰﭼ غافر: ١٨

ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭼ المدثر:

لا يختلف المسلمون في أن النبي هو الشافع المشفَّع يوم القيامة، وأن الشفاعة - في الجملة - ثابتة بالكتاب والسنة، واتفق أهل السنة والجماعة على إثباتها في أصحاب الكبائر الذين ماتوا ولم يتوبوا من ذنوبهم، في حين خالف الخوارج ومن وافقهم من الفرق الأخرى كالمعتزلة وقالوا: إن الشفاعة المذكورة في الكتاب والسنة ليست سوى رفع الدرجات وزيادة ثواب المشفوع فيهم من المؤمنين، أما أصحاب الكبائر فهم كفار في نار جهنم خالدون فيها أبداً، واستدلوا في أمر الشفاعة بأدلة وتشبثوا بها وتركوا أخرى كما هو حالهم وسائر المبتدعة، يأتون إلى نصوص الكتاب والسنة فيُعمِلون البعض ويعطلون البعض([[372]](#footnote-372))، وإنما المنهج الصحيح هو الأخذ بنصوص الكتاب والسنة كلها، وإعمالها جميعاً، ورد المتشابه إلى المحكم فذلك هو الفقه في الدين واتباع سبيل المؤمنين الصادقين، كما في أدلة الشفاعة حيث وردت في القرآن الكريم على أقسامٍ أربعة:

القسم الأول: نصوص تُرجِعُ الشفاعةَ لله، كقوله تعالى: ﭽ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ الزمر: ٤٤

القسم الثاني: نصوص تنفي الشفاعة بإطلاق، كالآيات التي استدل بها من أنكر الشفاعة في أول المبحث ومنها قوله تعالى ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﭼ البقرة: ١٢٣

القسم الثالث: نصوص تنفي انتفاع الكافرين بالشفاعة، كقوله تعالى ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭼ المدثر: ٤٨

القسم الرابع: نصوص تثبتها بقيود وتشترط لها شروطاً، كقوله تعالى ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ مريم: ٨٧ وقوله ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ طه: ١٠٩ وقوله ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭼ سبأ: ٢٣ وقوله ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ الأنبياء: ٢٨ ومجمل هذه الشروط التي تدل عليها الآيات السابقة هي:

1ـ رضى الله عن الشافع والمشفوع له أن يصل إلى هذه الدرجة.

2ـ إذن الله تعالى للشافع أن يشفع، لأن الشفاعة ملك لله وحده.

ولا شك أن مسلك أهل العلم هو الجمع بين تلك الآيات وعدم اجتزائها أو الاستدلال ببعضها دون بعض، وعليه فالآيات التي تثبت أن الشفاعة لله جميعاً لا إشكال فيها، إذ مرد الأمر كله لله من قبل ومن بعد، وأما الآيات التي تنفي الشفاعة بإطلاق فهي من المطلق المقيَّد، وتقييدها يكون بالآيات التي تثبتها بشروط، وتبقى الآيات التي تنفي انتفاع الكافرين بالشفاعة موافقة لعموم نفي الشفاعة، وهذا لا إشكال فيه، وبه تجتمع الآيات ولا تفترق، وتأتلف ولا تختلف، وهذا الجمع بين الآيات هو ما قرره العلماء ـ رحمهم الله ـ في كتبهم وأهل التفسير في تفاسيرهم.

يقول الطبري عند قوله تعالى ﭽ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﭼ البقرة: ٤٨:" وهذه الآية وإن كان مخرجها عاماً في التلاوة، فإن المراد بها خاص في التأويل لتظاهر الأخبار عن رسول الله أنه قال:( شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)([[373]](#footnote-373)) وأنه قال: (ليس من نبي إلا وقد أعطي دعوة، وإني اختبأت دعوتي شفاعةً لأمتي، وهي نائلة إن شاء الله منهم من لا يشرك بالله شيئاً)([[374]](#footnote-374)) فقد تبين بذلك أن الله جل ثناؤه قد يصفح لعباده المؤمنين - بشفاعة نبينا محمد لهم- عن كثير من عقوبة إجرامهم بينهم وبينه وأن قوله: ﭽ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﭼ إنما هي لمن مات على كفره غير تائب إلى الله عز وجل"([[375]](#footnote-375))

ويقول عند قوله تعالى ﭽ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﭼ البقرة: ٢٥٤ :"وهذه الآية مخرجها في الشفاعة عام والمراد بها خاص، وإنما معناه: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝﮞ ﭼ ، لأهل الكفر بالله، لأن أهل ولاية الله والإيمان به، يشفع بعضهم لبعض، وقد بينا صحة ذلك بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع، وكان قتادة يقول في ذلك بما حدثنا به بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة في قوله ﭽ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝﮞ ﭼ ، قد علم الله أن ناساً يتحابون في الدنيا، ويشفع بعضهم لبعض، فأما يوم القيامة فلا خلة إلا خلة المتقين"(**[[376]](#footnote-376)**)**.**

ويقول البغوي في قوله ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ طه: ١٠٩ :" يعني: لا تنفع الشفاعة أحداً من الناس، ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﭼ يعني: إلا من أذن له الله أن يشفع، ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ يعني: ورضي قوله، قال ابن عباس: يعني قال: لا إله إلا الله، فهذا يدل على أنه لا يُشفع لغير المؤمن"(**[[377]](#footnote-377)**)**.**

ويقول الرازي عند قوله تعالى ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ :" المعتزلة قالوا: الفاسق غير مرضي عند الله تعالى، فوجب أن لا يشفع الرسول في حقه، لأن هذه الآية دلت على أن المشفوع له لا بد وأن يكون مرضياً عند الله، واعلم أن هذه الآية من أقوى الدلائل على ثبوت الشفاعة في حق الفسّاق لأن قوله ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ يكفي في صدقه أن يكون الله تعالى قد رضي له قولاً واحداً من أقواله، والفاسق قد ارتضى الله تعالى قولاً واحداً من أقواله وهو: شهادة أن لا إله إلا الله، فوجب أن تكون الشفاعة نافعة له لأن الاستثناء من النفي إثبات فإن قيل إنه تعالى استثنى عن ذلك النفي بشرطين:

أحدهما: حصول الإذن.

والثاني: أن يكون قد رضي له قولاً.

فهب أن الفاسق قد حصل فيه أحد الشرطين وهو أنه تعالى قد رضي له قولا، لكن لم قلتم إنه أذن فيه وهذا أول المسألة؟ قلنا: هذا القيد وهو أنه رضي له قولاً كاف في حصول الاستثناء بدليل قوله تعالى: ﭽ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽﭼ فاكتفى هناك بهذا القيد، ودلت هذه الآية على أنه لا بد من الإذن فظهر من مجموعهما أنه إذا رضي له قولاً يحصل الإذن في الشفاعة، وإذا حصل القيدان حصل الاستثناء وتم المقصود"([[378]](#footnote-378)).

ومعنى قوله ﭽ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽﭼ يعني: من رضي عنه الله قال الطبري:" ﭽ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽﭼ يقول: ولا تشفع الملائكة إلا لمن رضي الله عنه، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل"([[379]](#footnote-379))

وبه قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم([[380]](#footnote-380)).

**مناقشة الآيات التي استدل بها الخوارج على معتقدهم في نفي الشفاعة:**

الخوارج كما أسلفت في بداية المبحث منكرون للشفاعة، وقد تمسكوا بآيات النفي وأعرضوا عن الآيات المثبتة لها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:" وأما الخوارج والمعتزلة: فإنهم أنكروا شفاعة نبينا في أهل الكبائر من أمته، وهؤلاء مبتدعة ضلال، مخالفون للسنة المستفيضة عن النبي ولإجماع خير القرون"([[381]](#footnote-381)).

ويقول ابن حزم:" اختلف الناس في الشفاعة فأنكرها قوم وهم المعتزلة والخوارج وكل من تبع أن لا يخرج أحد من النار بعد دخوله فيها"([[382]](#footnote-382))

ويقول ابن القيم:" رد الخوارج والمعتزلة النصوص الصريحة المحكمة غاية الإحكام في ثبوت الشفاعة للعصاة وخروجهم من النار بالمتشابه من قوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭼ المدثر: ٤٨ وقوله: ﭽ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ آل عمران: ١٩٢ وقوله: ﭽ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﭼ النساء: ١٤ ونحو ذلك، وفعلوا فيها فعل من ذكرناه سواء"([[383]](#footnote-383)).

ومن كتبهم يقول ابن أطفيش عند قوله تعالى ﭽ ﮝ ﮞ ﮟﭼ:" لعدمها هناك، فالمراد هنا لا شفاعة تنفعها، فالشفاعة هنالك منتفية من أصلها، وليس المراد أن هنالك شفاعة لا تقبل، وإنما ساغ ذلك، لأن القضية السالبة تصدق بنفي الموضوع، كما تصدق بنفي المحمول، فكما تقول ليس زيد قاعداً في السوق، ويريد أنه فيها لكنه قائم، كذلك تقول ليس زيد قاعداً فيها، وتريد أنه ليس فيها أصلاً وذلك مخصوص بالشرك، فإنه لا شفاعة له هنالك إلا شفاعة القيام لدخول النار، ولا نفع له في دخول النار، وإنما الشفاعة للموحد التائب.

ويقول:" فكل نفس بهذه الصفة لا شفاعة فيها مشركة أو فاسقة، فلا شفاعة لأهل الكبائر المصرين، والخطاب في قوله: ﭽ ﮑ ﭼ ولو كان لبنى إسرائيل خاصة لكن قوله: ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﭼ إلخ عام، ولا يمكن أن يقال خاص.

روى الربيع عن جابر بن زيد عنه : ( ما منكم من أحد يدخل الجنة إلا بعمل صالح وبرحمة الله وبشفاعتي)، وروى عن جابر عنه (لا ينال شفاعتي سلطان غشوم للناس، ورجل لا يراقب الله في اليتيم) وروى عن جابر عنه : ( لا ينال شفاعتي الغالي في الدين ولا الجافي عنه) وروى عن جابر عنه : (ليست الشفاعة لأهل الكبائر من أمتي، ثم حلف جابر عن ذلك ما لأهل الكبائر شفاعة، لأن الله تعالى قد أوعد لأهل الكبائر النار في كتابه، وإن جاء الحديث عن أنس أن الشفاعة لأهل الكبائر، فوالله ما عنى القتل والزنى والسحر، وما أوعد الله عليه النار)([[384]](#footnote-384))

وذكر أن أنساً يقول: (إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر ما كنا نعدها على عهد رسول الله إلا من الكبائر)([[385]](#footnote-385)) والله أعلم"([[386]](#footnote-386)).

ويقول الهواري:" قوله: ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﭼ أي: لا تفديها، ﭽ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﭼ لأن الشفاعة لا تكون إلا للمؤمنين"([[387]](#footnote-387)).

فإذاً نستطيع أن نقول أن هذه الآية من سورة البقرة هي أول مستمسك للخوارج في إنكارهم للشفاعة في عصاة الموحدين، قالوا إنها تدل على نفي الشفاعة من ثلاثة أوجه:

الأول: قوله تعالى ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﭼ ولو أثرت الشفاعة في إسقاط العقاب لكان قد أجزت نفس عن نفس شيئاً.

الثاني: قوله تعالى: ﭽ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﭼ وهذه نكرة في سياق النفي فتعم جميع أنواع الشفاعة،

والثالث: قوله تعالى: ﭽﰀ ﰁ ﰂﭼ ولو كان محمد شفيعاً لأحد من العصاة لكان ناصراً له وذلك على خلاف الآية.

والجواب عن ذلك من عدة أمور:

أولاً: أن هذه الآية يمكن أن يُقال أنها نزلت في (يهود فقد كانت تزعم أن آباءهم الأنبياء تشفع لهم عند الله فأيأسهم الله من ذلك) ومعلوم أن هذا أمر مجمع عليه عند أهل الإسلام فلا شفاعة لغير أهل التوحيد.

ثانياً: أن هذه من الآيات العامة والتي خصصت بآياتٍ أخرى كقوله تعالى ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ مريم: ٨٧ وقوله ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ طه: ١٠٩ وقوله ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭼ سبأ: ٢٣ وقوله ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ الأنبياء: ٢٨

يقول الطبري:" وهذه الآية وإن كان مخرجها عاماً في التلاوة، فإن المراد بها خاص في التأويل لتظاهر الأخبار عن رسول الله أنه قال:(شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) وأنه قال:(ليس من نبي إلا وقد أعطي دعوة، وإني اختبأت دعوتي شفاعةً لأمتي، وهي نائلة إن شاء الله منهم من لا يشرك بالله شيئاً)([[388]](#footnote-388)) فقد تبين بذلك أن الله جل ثناؤه قد يصفح لعباده المؤمنين - بشفاعة نبينا محمد لهم- عن كثير من عقوبة إجرامهم بينهم وبينه وأن قوله: ﭽ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﭼ إنما هي لمن مات على كفره غير تائب إلى الله عز وجل"([[389]](#footnote-389))

ويقول الأمين الشنقيطي:" ﭽ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﭼ ظاهر هذه الآية عدم قبول الشفاعة مطلقاً يوم القيامة، ولكنه بيّن في مواضع أخر أن الشفاعة المنفية هي الشفاعة للكفار، والشفاعة لغيرهم بدون إذن رب السموات والأرض، أما الشفاعة للمؤمنين بإذنه فهي ثابتة بالكتاب، والسنة، والإجماع"([[390]](#footnote-390))   
أقول ومثل هذه الآية قوله تعالى ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﭼ البقرة: ١٢٣ وقوله تعالى ﭽ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﭼ البقرة: ٢٥٤ وأما قوله تعالى ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭼ المدثر:48

فإنها عامة في الكفار، بدليل الآيات التي قبلها وهي قوله تعالى ﭽ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﭼ المدثر: ٤٦ فكان جزاؤهم أنهم غير مشمولين بشفاعة أحد من خلق الله تعالى، وفي هذه الآية دليلاً على أن الشفاعة لا يستحقها إلا من كان من أهل التوحيد، كما أن فيها دليل على إثبات الشفاعة لأصحاب الذنوب من أهل التوحيد والإيمان بالله تعالى.

يقول الإمام الطبري:" ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭼ يقول: فما يشفع لهم الذين شفعهم الله في أهل الذنوب من أهل التوحيد، فتنفعهم شفاعتهم، وفي هذه الآية دلالة واضحة على أن الله تعالى ذكره مشفع بعض خلقه في بعض، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل"([[391]](#footnote-391)).

ومما استدلوا به قوله تعالى ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰﭼ غافر: ١٨

يقول الطبري:" يوم الآزفة المقصود به يوم القيامة.

ﭽ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨﭩ ﭼ يقول تعالى ذكره: إذ قلوب العباد من مخافة عقاب الله لدى حناجرهم قد شخصت من صدورهم، فتعلقت بحلوقهم كاظميها، يرومون ردها إلى مواضعها من صدورهم فلا ترجع، ولا هي تخرج من أبدانهم فيموتوا.

ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰﭼ يقول جل ثناؤه: ما للكافرين بالله يومئذ من حميم يحم لهم، فيدفع عنهم عظيم ما نزل بهم من عذاب الله، ولا شفيع يشفع لهم عند ربهم فيطاع فيما شفع، ويجاب فيما سأل.

ويقول البغوي:" (ﭨ) مكروبين ممتلئين خوفاً وحزناً، والكظم تردد الغيظ والخوف والحزن في القلب حتى يضيق به.

الذين أنكروا الشفاعة قالوا: في هذه الآية نفى حصول شفيع لهم يطاع فوجب أن لا تحصل لهم بذلك شفاعة أبدا.

وقد أجاب الرازي ـ رحمه الله ـ عن ذلك في تفسيره بما يقمع شبهتهم، ويدحر حجتهم قال:" أجاب أصحابنا عنه من وجوه: ـ

الأول: أنه تعالى نفى أن يحصل لهم شفيع يطاع وهذا لا يدل على نفي الشفيع، ألا ترى أنك إذا قلت ما عندي كتاب يباع فهذا يقتضي نفي كتاب يباع ولا يقتضي نفي الكتاب وقالت العرب: ولا ترى الضب بها ينجحر([[392]](#footnote-392))

ولفظ الطاعة يقتضي حصول المرتبة فهذا يدل على أنه ليس لهم يوم القيامة شفيع يطيعه الله، لأنه ليس في الوجود أحد أعلى حالا من الله تعالى حتى يقال إن الله يطيعه.

الوجه الثاني: في الجواب أن المراد من الظالمين، هاهنا الكفار، والدليل عليه أن هذه الآية وردت في زجر الكفار الذين يجادلون في آيات الله فوجب أن يكون مختصا بهم، وعندنا أنه لا شفاعة في حق الكفار والثالث: أن لفظ الظالمين، إما أن يفيد الاستغراق، وإما أن لا يفيد فإن أفاد الاستغراق كان المراد من الظالمين مجموعهم وجملتهم ويدخل في مجموع هذا الكلام الكفار، وعندنا أنه ليس لهذا المجموع شفيع لأن بعض هذا المجموع هم الكفار، وليس لهم شفيع فحينئذ لا يكون لهذا المجموع شفيع، وإن لم يفد الاستغراق كان المراد من الظالمين بعض من كان موصوفا بهذه الصفة، وعندنا أن بعض الموصوفين بهذه الصفة ليس لهم شفيع وهم الكفار"([[393]](#footnote-393))

ومما استدلوا به قوله تعالى ﭽ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ آل عمران: ١٩٢ وهذه الآية ليس فيها دليل على نفي الشفاعة مطلقاً حيث أنها خاصة بمن هم خالدون فيها لا يخرجون منها أبداً.

يقول الإمام الطبري:" اختلف أهل التأويل في ذلك فقال بعضهم معنى ذلك: ربنا إنك من تدخل النار من عبادك فتخلده فيها، فقد أخزيته، قال: ولا يخزي مؤمن مصيره إلى الجنة، وإن عذب بالنار بعض العذاب"([[394]](#footnote-394)).

روي ذلك عن أنس وسعيد بن المسيب والحسن البصري وابن جريج وغيرهم.

يقول البغوي:" ﭽ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱﯓ ﭼ أي: أهنته، وقيل: أهلكته، وقيل: فضحته، لقوله تعالى: ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﭼ هود: ٧٨ فإن قيل: قد قال الله تعالى: ﭽ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭼ التحريم: ٨ ومن أهل الإيمان من يدخل النار وقد قال: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱﯓ ﭼ قيل: قال أنس وقتادة معناه: إنك من تخلد في النار فقد أخزيته وقال سعيد بن المسيب هذه خاصة لمن لا يخرج منها فقد روى أنس رضي الله عنه عن النبي : (إن الله يدخل قوماً النار ثم يخرجون منها)([[395]](#footnote-395)).

أقول: ويؤيد ذلك من أن الذي يُخزى هو المخلد في النار ـ المشرك أو الكافر ـ وأن المؤمن لا يُخزى وإن استحق دخول النار ببعض ذنوبه ومعاصيه فهو مؤمن بالغيب والله يقول ﭽ ﭝ ﭞ ﭟ ﭼ البقرة: ٣ ولاشك أن صاحب الكبيرة مؤمن بالغيب، وإذا اعتقدنا أنه مؤمن فوجب علينا أن نعتقد ببقية الآيات في ذلك التي تنفي الخزي عن المؤمن مثل قوله تعالى ﭽ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭼ وقوله ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭼ النحل: ٢٧ وقوله ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ آل عمران: ١٩١ إلى أن حكى عنهم أنهم قالوا: ﭽ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﭼ آل عمران: ١٩٤ ثم إنه تعالى قال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭼ آل عمران: ١٩٥ ومعلوم أن الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض يدخل فيه العاصي والزاني وشارب الخمر، فلما حكى الله عنهم أنهم قالوا: ﭽ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﭼ ثم بين أنه تعالى استجاب لهم في ذلك ثبت أنه تعالى لا يخزيهم، فثبت بذلك أنه تعالى لا يخزي عصاة أهل القبلة بتخليدهم في نار جهنم وحرمانهم الشفاعة، كما يزعم الخوارج ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ومما يدل على أن هذه الآية في الذين استحقوا الخلود بها وعدم الخروج منها تذييله الآية بقوله (ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ والقرآن دلّ على أن الظالم بالإطلاق هو الكافر قال تعالى: ﭽ ﮟ ﮠ ﮡ ﭼ البقرة: ٢٥٤ وقال عن العبد الصالح ﭽ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭼ لقمان: ١٣ ونحن متفقون على أن الكفار لا نصير لهم.

يقول القرطبي:" ﭽ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ أي الكفار"([[396]](#footnote-396))

ويقول البيضاوي:" ﭽ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ أراد بهم المدخلين، ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على أن ظلمهم سبب لإِدخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها، ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة لأن النصر دفع بقهر"([[397]](#footnote-397)).

إذاً فليس في هذه الآية دليل على صحة معتقدهم أو سلامة منهجهم.

ونستطيع أن نقول أن كل آيات الوعيد تشبث بها الخوارج ونفاة الشفاعة عموماً لإثبات معتقدهم، وسيأتي الكلام عنها في معتقدهم في كفر مرتكب الكبيرة ـ إن شاء الله تعالى ـ .

**المبحث الثالث:** جهود المفسرين في الرد على تأويلات الخوارج للآيات الواردة في خلق الجنة والنار قبل يوم القيامة.

ومن ذلك قوله تعالى:

ﭽ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﭼ البقرة: ٣٥

ﭽ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ آل عمران: ١٣٣

ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﭼ الحديد: ٢١

ﭽ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁﰂ ﰃ ﰄ ﭼ البقرة: ٢٤

ﭽ ﯵ ﯶ ﯷﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﭼ يس: ٢٦

من آكد أمور الإيمان، الإيمان بالجنة والنار، وأنهما داري الجزاء ومثوى عباد الله عقوبة وثواباً، خالدين فيهما أبداً بما كسبت أيدي الناس  
والجنة هي قمة الفرح والسرور والنعيم الذي لا يدانيه ولا يماثله نعيم، والنار هي قمة الذل والبؤس والشقاء والعذاب الذي لا يدانيه عذاب.

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بالجنة والنار وأنهما حق من عند الله، وأنهما مخلوقتان وموجودتان الآن، لا تفنيان أبداً، خلقتا للبقاء لا للفناء، وأن مكان الجنة فوق السماء السابعة وتحت عرش الرحمن، وأن النار في مكان لا يعلمه إلا الله ، وأن رسول الله رآهما بعينيه، وأن الله خلق لكل منهما أهلاً، وأن لكل واحد في الدنيا منزلان أحدهما في الجنة والآخر في النار، وأنه حفّ الجنة بالمكاره، وحف النار بالشهوات، وأنه أعطى النار نفسين، نفس في الصيف ونفس في الشتاء، وأنهما خالدتان لا يفنيان، وأنهما عظيمتان في الاتساع وكبر الحجم كما نطقت بذلك الأدلة الصحيحة الصريحة في القرآن والسنة.

**معتقد الخوارج:**

الخوارج يرون أن الجنة والنار غير مخلوقتين الآن، فيكونون بذلك قد خالفوا صريح القرآن، وجحدوا ما جاء على لسان رسول الله .

يقول ابن حزم:" ذهبت طائفة من المعتزلة والخوارج إلى أن الجنة والنار لم يخلقا بعد، وذهب جمهور المسلمين إلى أنهما قد خلقتا"([[398]](#footnote-398))

أقول: والحق أنه ليس جميع فرق الخوارج يقولون بعدم خلق الجنة والنار بدليل قول الخليلي في تفسيره عند قوله تعالى ﭽ ﯹ ﯺ ﭼ:" واستدل بالآية على أن النار قد خُلقت وهُيئت لاستقبال أهلها وكذا الجنة، وهو قول جمهور الأمة، وذهب أكثر المعتزلة وبعض أصحابنا كأبي المؤثر وأبي سهل الفارسي، وابن أبي نبهان، إلى أنهما لم تُخلقا إلى الآن وإنما تخلقان يوم القيامة، وعزا ابن عطية هذا القول إلى المنذر بن سعيد البلوطي الأندلسي، وعَدَّهُ سقوطاً منه، والمسألة ليست من مسائل الدين القطعية لاحتمال أن يكون قوله: ﭽ ﯹ ﯺ ﭼ ، ومثله في الجنة ﭽ ﭛ ﭜ ﭼ محمولاً على الإِخبار عن المستقبل بصيغة الماضي لتحقيق وقوعه، نحو قوله تعالى: ﭽ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ يس: ٥١ وآيات أخرى.

وإنما يترجح القول بأن الجنة والنار قد خلقتا بالأحاديث الصحيحة الناصة على ذلك، وإنما جعلتها مرجحة ولم أجعلها قاطعة لأنها لم تبلغ مبلغ التواتر اليقيني الذي يفيد العلم القطعي، لأن قصة آدم عليه السلام وإسكانه الجنة ثم إخراجه عنها، لا تفيد إلا الترجيح فقط للخلاف الموجود بين علماء الأمة، هل تلك الجنة هي جنة الخلد أو غيرها؟..."([[399]](#footnote-399))

ويقول ابن أطفيش:" ﭽ ﭛ ﭼ: هيئت ﭽ ﭜ ﭼ: فهى موجودة الآن كما دلت الآية على ذلك، وعلى أنها خارجة عن هذا العالم، لأنها عرضها عرض السماوات والأرض"([[400]](#footnote-400))

والذين قالوا بهذا القول ـ عدم وجودهما الآن ـ سواء كانوا من الخوارج أو المعتزلة إنما يستدلون على معتقدهم الباطل بما لا يمكن أن يقف أمام النصوص الصريحة الواضحة، وذلك أنهم اعتمدوا على عقولهم الفاسدة، وآرائهم الكاسدة، ويتركون كتاب الله وراءهم ظهريا، يقولون: إن وجودهما الآن ولا جزاء، عبث!! والعبث محال على الله، فكيف يخلق سبحانه الجنة والنار، وتبقى مدد طويلة من دون فائدة؟ وإنما إذا جاء يوم القيامة خلقهما الله وأنشأهما.

ولاشك أن في هذا مصادمةٌ للنصوص الشرعية والأدلة القطعية من الكتاب والسنة النبوية بالعقل البشري.

**أدلة أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان وموجدتان الآن، والرد على من أنكر ذلك من الخوارج:**

من الآيات الدالة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن قوله تعالى في قصة آدم وحواء ﭽ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﭼ البقرة: ٣٥

قال الطبري:" وقال الله لآدم: يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما، فأسكن جل ثناؤه آدم وزوجته الجنة بعد أن أهبط منها إبليس وأخرجه منها، وأباح لهما أن يأكلا من ثمارها من أي مكان شاءا منها، ونهاهما أن يقربا ثمر شجرة بعينها"(**[[401]](#footnote-401)**)**.**

فالله سبحانه وتعالى أسكن آدم الجنة تفضلاً منه وتكرماً لا جزاءً ولا ثواباً على عملٍ عمله، واشترط عليه أن يتأدب بأدب الجوار، وأن يمتثل أمر الله سبحانه، فلما خالف وارتكب المحظور أخرجه الله منها، وكان ذلك في علم الله الأزلي كائن لا محالة ولا ريب ولا شك، بدليل حديث محاجة آدم مع موسى قال : ( فحج آدمُ موسى )([[402]](#footnote-402)).

والذين قالوا أن الجنة التي أُسكن فيها آدم ليست الجنة التي وعد الله عباده حجتهم داحضة، واستدلوا على ذلك بعدة أدلة منها:

أولاً: أن الجنة الأخروية من يدخلها لا يخرج منها أبداً.

ثانياً: أنه من سياق الآيات علمنا أن إبليس كلم آدم فيها، ولا يمكن لإبليس أن يدخل الجنة، فدل ذلك على أنها ليست جنة الآخرة.

والمفسرون ـ رحمهم الله ـ فندوا ما استدلوا به، فقولهم أن الجنة الأخروية من يدخلها لا يخرج منها، فنقول : نعم ، ذلك صحيح، ولكن من دخلها دخول جزاءٍ على عمل عمله أو ثواب استحقه، لا تفضلاً بغير عمل، أضف إلى ذلك أن دخول آدم الجنة أتى بعد مشارطة لم يف بها آدم لحكمة أرادها عز وجل.

يقول السمعاني ـ رحمه الله ـ:" فإن قيل: لم أمرهما بدخول الجنة، وقد وعد أن من دخلها يكون خالداً فيها فكيف أخرجهما من الجنة؟

قلنا: إنما ذلك الوعد في حق من يدخلها للثواب والجزاء، وآدم إنما دخل الجنة بالكرامة دون الثواب"([[403]](#footnote-403)).

ويقول القرطبي:" في قوله تعالى ( اسكن ) تنبيه على الخروج، لأن السكنى لا تكون ملكاً، ولهذا قال بعض العارفين: السكنى تكون إلى مدة ثم تنقطع، فدخولهما في الجنة كان دخول سكنى لا دخول إقامة"([[404]](#footnote-404))

ويقول الرازي:" القول الثالث: وهو قول جمهور أصحابنا: أن هذه الجنة هي دار الثواب والدليل عليه أن الألف واللام في لفظ الجنة لا يفيدان العموم لأن سكنى جميع الجنان محال، فلا بد من صرفها إلى المعهود السابق والجنة التي هي المعهودة المعلومة بين المسلمين هي دار الثواب، فوجب صرف اللفظ إليها"([[405]](#footnote-405))

ويقول البيضاوي:" والجنة دار الثواب، لأن اللام للعهد ولا معهود غيرها"([[406]](#footnote-406)).

وأما ما احتجوا به من دخول إبليس الجنة وتكليمه آدم وحواء فقد أجاب عنه العلماء ـ رحمهم الله ـ بعدة أمور:

قيل أنه يحتمل أن يكون منع من الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة، ولم يمنع أن يدخل للوسوسة ابتلاء لآدم وحواء، وهذا هو الأظهر ـ والله أعلم ـ بدليل قوله تعالى في سورة الأعراف ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ..... ﭼ الأعراف: ٢٠

والوسوسة: الصوت الخفي، والوسوسة: حديث النفس، يقال: وسوست إليه نفسه وسوسة ووسواساً بكسر الواو، والوسوسة بالفتح:

الاسم، مثل الزلزلة والزلزال، ويقال لهمس الصائد والكلاب وأصوات الحلي: وسواس، قال الأعشى([[407]](#footnote-407)):

تسمع للحلي وسواساً إذا انصرفت([[408]](#footnote-408))

والوسواس: اسم الشيطان، ومعنى وسوس له: وسوس إليه، أو فعل الوسوسة لأجله.

ومما قيل: أنه قام عند الباب فناداهما، وقيل: تمثل بصورة دابة فدخل ولم تعرفه الخزنة، وقيل: دخل في فم الحية حتى دخلت به، وقيل: أرسل بعض أتباعه فأزلهما، والعلم عند الله سبحانه وتعالى"([[409]](#footnote-409)).

إذاً فمعارضتهم لهذه الأدلة ضعيفة جداً للأوجه التي ذكرت.

ومن الأدلة على خلقهما ووجودهما أنه تعالى قال عن الجنة: ﭽ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ آل عمران: ١٣٣ وقال عن النار: ﭽ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﭼ آل عمران: ١٣١

و( أعدت ) بمعنى هيئت، وهو ضمير دالٌ على الفعل في الزمن الماضي.

قال ابن كثير:" وقد استدل كثير من أئمة السنة بهذه الآية على أن النار موجودة الآن لقوله تعالى ﭽ ﯹ ﭼ أي أرصدت وهيئت"([[410]](#footnote-410))

ويقول السمعاني:" ﭽ ﯹ ﯺ ﭼ أي: هيئت للكافرين، وهذا دليل على أن النار مخلوقة، لا كما قال أهل البدعة، ودليل على أنها مخلوقة للكافرين، وإن دخلها بعض المؤمنين تأديباً وتعريكاً"(**[[411]](#footnote-411)**)**.**

ويقول الرازي:" هذه الآيات صريحة في كون الجنة والنار مخلوقتين، أما النار فلأنه تعالى قال في صفتها:

ﭽ ﯹ ﯺ ﭼ فهذه صريحة في أنها مخلوقة، وأما الجنة فلأنه تعالى قال في آية أخرى: ﭽ ﭛ ﭜ ﭼ ولأنه تعالى قال هاهنا: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ البقرة: ٢٥ وهذا إخبار عن وقوع هذا الملك وحصوله، وحصول الملك في الحال يقتضي حصول المملوك في الحال، فدل على أن الجنة والنار مخلوقتان"([[412]](#footnote-412)).

وقال في موضع آخر:" المسألة السادسة: أعتدنا: أي أعددنا وهيأنا، ونظيره قوله تعالى في صفة نار جهنم: ﭽ ﯹ ﯺ ﭼ ، احتج أصحابنا بهذه الآية على أن النار مخلوقة لأن العذاب الأليم ليس إلا نار جهنم وبرده، وقوله: (أعتدنا) إخبار عن الماضي، فهذا يدل على كون النار مخلوقة من هذا الوجه والله أعلم"([[413]](#footnote-413)).

ويقول القرطبي:" وفيه دليل على ما يقوله أهل الحق من أن النار موجودة مخلوقة، خلافاً للمبتدعة في قولهم: إنها لم تخلق حتى الآن، وهو القول الذي سقط فيه القاضي منذر بن سعيد البلوطي الأندلسي.

روى مسلم عن عبد الله بن مسعود قال: ( كنا مع رسول الله إذ سمع وجبة فقال النبي : تدرون ما هذا؟ قال قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفاً فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها)([[414]](#footnote-414)).

وروى البخاري([[415]](#footnote-415)) عن أبي هريرة قال قال رسول الله : (احتجت النار والجنة فقالت هذه: يدخلني الجبارون والمتكبرون، وقالت هذه: يدخلني الضعفاء والمساكين، فقال الله عز وجل لهذه: أنت عذابي أعذب بك من أشاء، وقال لهذه: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها) ...... ولأن النبي قد رآهما في صلاة الكسوف، ورآهما أيضاً في إسرائه ودخل الجنة، فلا معنى لما خالف ذلك، وبالله التوفيق"(**[[416]](#footnote-416)**)

يقول البيضاوي:" وقوله تعالى: ﭽ ﯹ ﯺ ﭼ دل على أن النار مخلوقة معدة الآن لهم"(**[[417]](#footnote-417)).**

ويقول السعدي:" وفي قوله: ﭽ ﯹ ﯺ ﭼ ونحوها من الآيات، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، أن الجنة والنار مخلوقتان خلافاً للمعتزلة"(**[[418]](#footnote-418)**)

ولا شك أن معتقد أهل السنة والجماعة هو ما عليه صريح القرآن وظاهر السنة المطهرة فقد ثبت في الصحيحين وغيرهما في قصة كسوف الشمس،   
أن النبي ( قام يصلي، فعرضت عليه الجنة والنار، وشاهد الجنة حتى هم أن يتناول منها عنقوداً، ثم بدا له أن لا يفعل عليه الصلاة والسلام،   
وشاهد النار، ورأى فيها عمرو بن لحي الخزاعي يجر قصبه في النار والعياذ بالله، يعني أمعاءه قد اندلقت من بطنه فهو يجرها في النار؛ لأن الرجل أول من أدخل الشرك على العرب، فكان له كفل من العذاب الذي يصيب من بعده، ورأى امرأة تعذب في النار في هرة حبستها حتى ماتت فلا هي أطعمتها ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش الأرض)([[419]](#footnote-419)) فدل ذلك على أن الجنة والنار موجودتان الآن.

وقال : ( اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء ، فقالت امرأة لم يا رسول الله؟ قال: إنكن تكثرن اللعن وتكفرن العشير)([[420]](#footnote-420)).

وقال النبي : (ناركم هذه التي يوقد بنو آدم جزء من سبعين جزءاً من نار جنهم، فقيل: والله يا رسول الله إن كانت لكافية، فقال: إنها فضلت بتسعة وستين جزءاً كلها مثل حرها )([[421]](#footnote-421)).

وغير ذلك من الأحاديث الصحيحة الصريحة الثابتة عن النبي .

يقول الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ:" والجنة والنار مخلوقتان كما جاء عن رسول الله :دخلت الجنة فرأيت قصراً، ورأيت الكوثر، واطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها كذا، واطلعت في النار فرأيت كذا وكذا، فمن زعم أنهما لم تخلقا فهو مكذب بالقرآن وأحاديث رسول الله ولا أحسبه يؤمن بالجنة"([[422]](#footnote-422))

وما قاله الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ هو الحق الذي لا مرية فيه، ولا يعاند في ذلك بعد الذي ذُكر من الآيات البينات، وما صح عن خير البريات إلا مكابر معاند، أو في قلبه مرض.

عن جابر قال: قال النبي : ( دخلت الجنة فرأيت فيها قصراً، أو داراً فسمعت فيها صوتاً، فقلت لمن هذا القصر؟ فقيل لعمر، فأردت أن أدخلها فذكرت غيرتك يا أبا حفص، فبكى عمر، وقال مرة أخرى: فأخبر بها عمر، فقال: يا رسول الله، وعليك يغار؟)([[423]](#footnote-423))

وعن أنس عن النبي أنه قال: ( بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف، قلت ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، فإذا طينه أو طيبه مسك أذفر )([[424]](#footnote-424))

وقال :( أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل معلقة بالعرش)([[425]](#footnote-425))

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله قال: ( إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة )([[426]](#footnote-426))

والأحاديث في ذلك كثيرة جداً، فماذا بعد الحق إلا الضلال، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

**المبحث الرابع:** جهود المفسرين في الرد على تأويلات الخوارج للآيات في خلق القرآن ـ على زعمهم ـ.

ومن ذلك قوله تعالى ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ الرعد: ١٦

ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣﭤ ﭼ الأنبياء:٢

ﭽ ﮔﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ هود: ١

وقوله ﭽ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ الشعراء: ١٩٣

وقوله ﭽ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ الزمر: ٦٢

وقوله تعالى ﭽ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ الزخرف: ٣

ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭼ الدخان: ٣

وقوله ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭼ القدر: ١

القرآن هو كلام الله المنزل على نبيه محمد منه بدأ وإليه يعود، ولم يثبت أن قال أحد من الصحابة أو التابعين أن القرآن مخلوق([[427]](#footnote-427))، بل إن الآثار المتواترة عنهم أن القرآن كلام الله وهو منزل من عند الله، وما أثير من مسألة خلق القرآن من قبل المبتدعة إنما كان أمراً فلسفياً كلامياً، أُقحمت فيه العامة إقحاماً، وأجبر فيه العلماء على قول واحد، ولولا ذلك لما كانت مشكلة أصلاً، ولكن السلف وأئمة الدين لما رأوا المبتدعة أظهروا هذا القول، شاع في الأمة إنكار ذلك، وقالوا هذا تعطيل للخالق وجحود لصفاته وكلامه وأفعاله ولذاته، فظهر عن الأئمة والسلف النكير، والتكفير للجهمية، والذين قالوا القرآن مخلوق([[428]](#footnote-428)).

يقول ابن تيمية:" فلما شاع الخوض في هذا والنزاع، ودخلت فيه أهل السيوف والأقلام، وعظم فيه النزاع والخصام، ظهر لجمهور المسلمين وأئمة الدين فساد هذا القول فإنه يجر إلى قول فرعون ونحوه من المعطلة"([[429]](#footnote-429))

والذي نشر هذه المقالة الخبيثة وحمل لواءها الجهم بن صفوان المتوفى سنة 128هـ مقتولاً، وقد أخذ مقالته في نفي صفات الله تعالى عن الجعد بن درهم([[430]](#footnote-430))، والجعد أخذ التعطيل عن أبان بن سمعان، وأخذ أبان عن طالوت، وأخذ طالوت عن خاله لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر رسول الله وكان لبيد زنديقاً يقول بخلق التوراة، هذه سلسلة سند المعطلة الجهمية([[431]](#footnote-431)).

ثم حمل بشر المريسي([[432]](#footnote-432)) لواء هذه الدعوة في خلافة المأمون، حيث لبّس على المأمون الذي كان شغوفاً بطلب المعرفة حتى أنه بنى داراً سماها بيت الحكمة، جمع فيها كل ما وصلت إليه يده من كتب الفلسفة والمنطق، وقد نتج عن دراستها فيما يتعلق بالعقائد محن عظيمة جرت على علماء السنة من الذين اعتنقوا تلك الأفكار المنحرفة.

ولست الآن بصدد التأريخ لما حدث في تلك الفتنة وإنما نقصد هنا بيان رأي الخوارج في مسألة القول بخلق القرآن، الذي لم يعد ـ ولله الحمد ـ يذكر على لسان أحد إلا في بطون الكتب وبين مدارسات العلماء.

وفيما يتعلق بموقف السلف في هذه القضية فإنهم يمتنعون عن وصف القرآن بما لم يوصف به على لسان رسول الله ، وعلى ألسنة الصحابة، وفي هذا يقول ابن تيمية مبيناً رأي السلف في هذه المسألة: " وكما لم يقل أحد من السلف إنه مخلوق فلم يقل أحد منهم إنه قديم، لم يقل واحداً من القولين أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، ولا من بعدهم من الأئمة ولا غيرهم، بل الآثار متواترة عنهم بأنهم كانوا يقولون: القرآن كلام الله"([[433]](#footnote-433))

ويقول ابن قدامة: " ومن كلام الله تعالى القرآن العظيم وهو كتاب الله المبين وحبله المتين، وتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين، على قلب سيد المرسلين، بلسان عربي مبين، منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود"([[434]](#footnote-434))

وعلى هذا الاعتقاد نهج المفسرون ـ رحمهم الله ـ في تفاسيرهم يوضحون للناس ويبينون، ويظهر ذلك جلياً في كلام أحد أئمة التفسير الجهابذة وهو الإمام الطبري رحمه الله حينما يقرر قاعدة عظيمة في هذا الأمر فيقول عند قوله تعالى ﭽ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮﯯ ﯰ ﯱ ﭼ الأنعام: ٧٣:" ( الحق ) هو قوله وكلامه قالوا: والله خلق الأشياء بكلامه وقيله، فما خلق به الأشياء فغير الأشياء المخلوقة قالوا: فإذ كان ذلك كذلك، وجب أن يكون كلام الله الذي خلق به الخلق غير مخلوق"([[435]](#footnote-435))

وهذا هو الحق الذي لا مرية فيه، فلا يمكن أن يكون كلامه سبحانه وتعالى مخلوقاً بل هو صفةٌ من صفاته.

ويقول الإمام البغوي ـ رحمه الله ـ عند قوله تعالى ﭽ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭼ الإسراء: ٨٨ قال:" أي: لا يقدرون على ذلك، ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭼ عوناً ومظاهراً، فنزلت حين قال الكفار: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﭼ الأنفال: ٣١ فكذبهم الله تعالى، فالقرآن معجز في النظم والتأليف والإخبار عن الغيوب، وهو كلام في أعلى طبقات المبالغة لا يشبه كلام الخلق، لأنه غير مخلوق ولو كان مخلوقاً لأتوا بمثله"([[436]](#footnote-436)).

ويقول الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ في مقدمة تفسيره باب ذكر جمل من فضائل القرآن:" فأول ذلك أن يستشعر المؤمن من فضل القرآن أنه كلام رب العالمين، غير مخلوق، كلام من ليس كمثله شي، وصفة من ليس له شبيه ولا ند، فهو من نور ذاته جل وعز، وأن القراءة أصوات القراء ونغماتهم، وهي أكسابهم التي يؤمرون بها في حال إيجاباً في بعض العبادات، وندباً في كثير من الأوقات، ويزجرون عنها إذا أجنبوا، ويثابون عليها ويعاقبون على تركها، وهذا مما أجمع عليه المسلمون أهل الحق، ونطقت به الآثار، ودل عليها المستفيض من الأخبار"([[437]](#footnote-437))

ويقول ابن عطية:" ومن الدليل على أن القرآن غير مخلوق: أن الله تعالى ذكر الْقُرْآنَ في كتابه في أربعة وخمسين موضعاً ما فيها موضع صرح فيه بلفظ الخلق ولا أشار إليه، وذَكَرَ الْإِنْسانَ على الثلث من ذلك في ثمانية عشر موضعاً، كلها نصت على خلقه"([[438]](#footnote-438))

ويقول القاسمي في تفسيره نقلاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كلام نفيس عظيم جمع اعتقاد السلف في القرآن الكريم:" فإن مذهب سلف الأمة وأهل السنة: أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدا وإليه يعود، هكذا قال غير واحد من السلف، روي عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار وكان من التابعين الأعيان قال: ما زلت أسمع الناس يقولون ذلك، القرآن الذي أنزله الله على رسول الله هو هذا القرآن الذي يقرؤه المسلمون ويكتبونه في مصاحفهم، وهو كلام الله لا كلام غيره، وإن تلاه العباد وبلّغوه بحركاتهم وأصواتهم، فإن الكلام لمن قاله مبتدئاً، لا لمن قاله مبلغاً مؤدياً، قال الله تعالى: ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﭼ التوبة: ٦ وهذا القرآن في المصاحف كما قال تعالى: ﭽ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﭼ البروج: ٢١ - ٢٢ وقال تعالى: ﭽ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ البينة: ٢ - ٣ وقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭼ الواقعة: ٧٧ - ٧٨

والقرآن كلام الله بحروفه ونظمه ومعانيه، كل ذلك يدخل في القرآن وفي كلام الله، وإعراب الحروف هو من تمام الحروف، كما قال النبيّ : (من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات)([[439]](#footnote-439))، وقال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما:" حفظ إعراب القرآن أحبّ إلينا من حفظ بعض حروفه".

ثم قال رحمه الله: والتصديق بما ثبت عن النبيّ ، أن الله يتكلم بصوت وينادي آدم عليه السلام بصوت، إلى أمثال ذلك من الأحاديث، فهذه الجملة كان عليها سلف الأمة وأئمة السنة، وقال أئمة السنة: القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق، حيث تلي، وحيث كتب، فلا يقال لتلاوة العبد بالقرآن إنها مخلوقة، لأن ذلك يدخل فيه القرآن المنزل، ولا يقال غير مخلوقة، لأن ذلك يدخل فيه أفعال العباد، ولم يقل قط أحد من أئمة السلف: إن أصوات العباد بالقرآن قديمة، بل أنكروا على من قال (لفظ العبد بالقرآن غير مخلوق) وأما من قال: إن المداد قديم فهذا من أجهل الناس وأبعدهم عن السنة، قال الله تعالى: ﭽ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﭼ الكهف: ١٠٩ فأخبر أن المداد يكتب به كلماته، وكذلك من قال (ليس القرآن في المصحف، وإنما في المصحف مداد وورق وحكاية وعبارة) فهو مبتدع ضال، بل القرآن الذي أنزله الله على محمد هو ما بين الدفتين، والكلام في المصحف على الوجه الذي يعرفه الناس، له خاصة يمتاز بها عن سائر الأشياء، وكذلك من زاد على السنة فقال: إن ألفاظ العباد وأصواتهم قديمة، مبتدع ضال، كمن قال: إن الله لا يتكلم بحرف ولا صوت فإنه أيضاً مبتدع منكر للسنة، وكذلك من زاد وقال: إن المداد قديم فهو ضال، كمن قال: ليس في المصاحف كلام الله، وأما من زاد على ذلك من الجهال الذين يقولون: إن الورق والجلد والوتد وقطعة من الحائط، كلام الله فهو بمنزلة من يقول: ما تكلم الله بالقرآن ولا هو كلامه، هذا الغلو من جانب الإثبات يقابل التكذيب من جانب النفي، وكلاهما خارج عن السنة والجماعة"([[440]](#footnote-440))

معتقد الخوارج في القرآن الكريم:

علماء الفرق ذكروا أن الخوارج قد قالوا بخلق القرآن واعتقدوه حقاً لا يمارى فيه بزعمهم، ولهم شبه واهية وتأويلات بعيدة، وفي ذلك يروي الأشعري أن الخوارج كلهم يقولون بأن القرآن مخلوق بإجماع منهم على هذا الحكم فيقول: " والخوارج جميعاً يقولون بخلق القرآن"([[441]](#footnote-441) �ماً على ما قالوه لكان المعنى واضحاً وهو أن قريشاً خلقت الملائكة، وكذا الآية الأخرى وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ �)

ويقول ابن جميع الإباضي([[442]](#footnote-442)) في مقدمة التوحيد: " وليس منا من قال إن القرآن غير مخلوق"([[443]](#footnote-443)) �سفل، هذا المفهوم منه لغة وشرعاً " ((مختصر الصواعق)) (ص 278 ). . ولا يلزم منه خلق المنزل فقد أسند النزول �

وقد بين الورجلاني الإباضي([[444]](#footnote-444)) أدلتهم على خلق القرآن، وناقش فيه المخالفين لهم بقوله: "والدليل على خلق القرآن أن لأهل الحق عليهم أدلة كثيرة، وأعظمها استدلالهم على خلقه بالأدلة الدالة على خلقهم هم فإن أبوا من خلق القرآن أبينا لهم من خلقهم، وقد وصفه الله عز وجل في كتابه وجعله قرآناً عربياً مجعولاً"([[445]](#footnote-445)) ثم جاء بالأدلة وهي الآيات التي ذكر فيها نزول القرآن وهي كثيرة مثل قوله تعالى ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭼ القدر: ١ وقوله ﭽ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ الشعراء: ١٩٣ وقوله ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭼ الدخان: ٣ وغيرها من الآيات.

ويقول الحارثي الإباضي في إثبات رأي الخوارج في القول بخلق القرآن أيضاً:" فعند المحققين من الإباضية أنه مخلوق إذ لا تخلو الأشياء إما أن تكون خالقاً أو مخلوقاً، وهذا القرآن الذي بأيدينا نقرؤه مخلوق لا خالق، لأنه منزل ومتلو وهو قول المعتزلة"([[446]](#footnote-446))

**مناقشة أدلة الخوارج من خلال كتب التفسير:**

ولاشك أن أدلتهم التي استدلوا بها على خلق القرآن داحضة باطلة لا تقوى على مقارعة صريح الكتاب والسنة في ذلك، بل يعظم الخطب ويشتد الأمر إذا تبين للمسلم المغزى من وراء هذا القول وهو تعطيل الخالق عن صفاته تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ومما استدل به الخوارج على معتقدهم هذا هو قوله تعالى ﭽ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ الزمر: ٦٢

قالوا: فلا يخلو القرآن إما أن يكون شيء أو لا شيء، فمن قال أنه لا شيء وجب كفره إجماعاً، ومن قال أنه شيء فهو داخل في هذه الآية حتماً.

وهذا من أسقط القول وأجهله، إذ أن من كان له أدنى علم بالعام والخاص يعلم أن العام في كتاب الله أقسام، منه ما هو باقٍ على عمومه لا يمكن تخصيصه نحو قوله تعالى ﭽ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﭼ الأنفال: ٧٥ فلا يمكن لعاقل أن يقول أن هناك شيء لا يعلمه الله.

ومن العام ما دل الدليل والحس على خصوصه نحو قوله تعالى ﭽ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ الأحقاف: ٢٥ فالعام هنا ليس على عمومه لدلالة العقل والحس أن الريح لم تدمر الأرض ولا الجبال ولا السماوات بل قال الله بعدها مباشرة ﭽ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﭼ الأحقاف: ٢٥ فإذاً هي لم تدمر المساكن.

ومثل ذلك قوله تعالى ﭽ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﭼ الذاريات: ٤٢ وقد أتت الريح على الأرض والجبال والمساكن والشجر وغير ذلك فلم يصر شيئاً منها كالرميم.

ومثله قوله عز وجل: ﭽ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭼ النمل: ٢٣ يعني بلقيس، وقد بقي ملك سليمان وهو مائة ألف ضعف مما أوتيته لم يدخل في هذه اللفظة، فهذا كله مما يبطل ما استدل به القوم.

إذاً فمعنى الآية ﭽ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ الأنعام: ١٠٢ أي: مما يصح أن يكون مخلوقاً.

وصفاته من ذاته العليِّةِ سبحانه وتعالى فلا تكون مخلوقة، وكلامه صفة من صفاته، قال الزجاج: والمعنى أنه خالق كل شيء مما يصح أن يكون مخلوقا**"**([[447]](#footnote-447))

ويقول السعدي أيضاً معقباً على هذه المسألة:" وليس كلام الله من الأشياء المخلوقة، لأن الكلام صفة المتكلم، والله تعالى بأسمائه وصفاته أول ليس قبله شيء.

فأخْذُ أهلِ الاعتزال من هذه الآية ونحوها أنه مخلوق، من أعظم الجهل، فإنه تعالى لم يزل بأسمائه وصفاته، ولم يحدث له صفة من صفاته، ولم يكن معطلا عنها بوقت من الأوقات، والشاهد من هذا، أن الله تعالى أخبر عن نفسه الكريمة أنه خالق لجميع العالم العلوي والسفلي، وأنه على كل شيء وكيل، والوكالة التامة لا بد فيها من علم الوكيل، بما كان وكيلا عليه، وإحاطته بتفاصيله، ومن قدرة تامة على ما هو وكيل عليه، ليتمكن من التصرف فيه، ومن حفظ لما هو وكيل عليه، ومن حكمة، ومعرفة بوجوه التصرفات، ليصرفها ويدبرها على ما هو الأليق، فلا تتم الوكالة إلا بذلك كله، فما نقص من ذلك، فهو نقص فيها.

ومن المعلوم المتقرر، أن الله تعالى منزه عن كل نقص في صفة من صفاته، فإخباره بأنه على كل شيء وكيل، يدل على إحاطة علمه بجميع الأشياء، وكمال قدرته على تدبيرها، وكمال تدبيره، وكمال حكمته التي يضع بها الأشياء مواضعها"([[448]](#footnote-448))

ونرد ما استدلوا به من كتاب الله تعالى بآية أخرى من كتاب الله تعالى وهي قوله تعالى ﭽ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮﯯ ﯰ ﯱ ﭼ الأنعام: ٧٣

فالحق هو قوله وكلامه، والله تعالى خلق الأشياء بكلامه وقيله، فما خلق به الأشياء فغير الأشياء المخلوقة فإذ كان ذلك كذلك، وجب أن يكون كلام الله الذي خلق به الخلق غير مخلوق.

وفي ذلك يقول ابن جرير الطبري:" ( الحق ) هو قوله وكلامه قالوا: والله خلق الأشياء بكلامه وقيله، فما خلق به الأشياء فغير الأشياء المخلوقة قالوا: فإذ كان ذلك كذلك، وجب أن يكون كلام الله الذي خلق به الخلق غير مخلوق"([[449]](#footnote-449))

ويقول القرطبي :" والأمر كلامه الذي هو غير مخلوق وهو قوله:( كن ) ﭽ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﭼ يس: ٨٢ وفي تفرقته بين الخلق والأمر دليل بين على فساد قول من قال بخلق القرآن، إذ لو كان كلامه الذي هو أمر مخلوقاً لكان قد قال: ألا له الخلق والخلق، وذلك عي من الكلام ومستهجن ومستغث، والله يتعالى عن التكلم بما لا فائدة فيه"

ويقول أيضاً:" فلو كان الحق مخلوقاً لما صح أن يخلق به المخلوقات، لأن الخلق لا يخلق بالمخلوق"([[450]](#footnote-450))

ويقول القاسمي:" والصواب في مثل هذا أن يقال: الكلام صفة المتكلم، والقول صفة القائل، وكلام الله ليس مبائناً منه، بل أسمعه لجبرئيل ونزّله به على محمد كما قال تعالى: ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﭼ الأنعام: ١١٤ ولا يجوز أن يقال: إن كلام الله فارق ذاته وانتقل إلى غيره، بل يقال كما قال السلف: إنه كلام الله غير مخلوق، منه بدا وإليه يعود، فقولهم (منه بدا) ردٌ على من قال: إنه مخلوق في بعض الأجسام، ومن ذلك المخلوق ابتدأ، فبينوا أنه الله هو المتكلم به، ومنه بدا، لا من بعض المخلوقات.

(وإليه يعود) أي: فلا يبقى في الصدور منه آية، ولا في المصاحف حرف"([[451]](#footnote-451))

ومما استدل به القوم على أن القرآن مخلوق قوله تعالى ﭽ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ الزخرف: ٣ قالوا: ومعنى جعلناه أي: خلقناه، ولفظ ( جعل ) في القرآن لا تأتي إلا بمعنى ( خلق ).

وهذا من أفسد القول وأسقطه، ويُرد ذلك بآي الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

يقول الله تعــــــالى ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ النحل: ٩١

فلو كانت جَعَلَ بمعنى: خلق، لكان معنى الآية: وقد خلقتم الله عليكم كفيلاً وهذا ما لا يستقيم أبداً.

ويقول سبحانه ﭽ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭼ الزخرف: ١٩ فهل يستقيم أن تكون لفظة جعل في الآية بمعنى خلق، لا يقول بذلك إلا كافر زنديق، أو جاهل مطبق.

وقل في غيرها من الآيات مثل ذلك.

نحو قوله تعالى ﭽ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﭼ البقرة: ٢٢٤ وقوله تعالى ﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭼ النحل: ٥٧ وقوله ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﭼ الأنعام: ١٠٠.

فعُلِم بهذا أن ( جَعَلَ ) في القرآن الكريم تأتي على معنيين: ـ

المعنى الأول: جَعَلَ بمعنى: صيّر، وهو الذي ينصب مفعولين، مثل قوله تعالى:

ﭽ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ الزخرف: ٣ وقوله تعالى: ﭽ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ المائدة: ٩٧ وقوله :ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ الصافات: ٦٣ وقوله تعالى: ﭽ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﭼ الصافات: ٩٨ وقوله تعالى: ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ فصلت: ٤٤ وغير ذلك من الآيات كثير.

المعنى الثاني: جَعَلَ بمعنى: خَلَق، وهو الذي ينصب مفعولاً واحداً   
مثل قوله تعالى: ﭽ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ البقرة: ٢٢

وقوله تعالى ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭼ الأنعام: ١

وقوله تعالى: ﭽ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑﮒ ﮓ ﮔ ﮕﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼ الرعد: ٣

وقوله تعالى ﭽ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﭼ النحل: ٧٢

وقوله تعالى: ﭽ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﭼ السجدة: ٨

وقوله تعالى: ﭽ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊﮋ ﮌ ﮍ ﮎﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ الأحزاب: ٤

وقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭼ الزمر: ٦ هذا من القرآن، وأما من العقل فإن الطفل الصغير يعقل ويعلم أنك إذا قلت: (جعلت الجدار الأبيض أحمراً) أنك تعني: صيرت لونه إلى أحمر.

ولا يخطر بباله أن جعل هنا بمعنى خلق.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كلاماً في هذا المعنى وأشد([[452]](#footnote-452))، ولسنا بصدد نقلٍ عن أئمة السلف والدين في هذا الأمر وإلا لطال بنا المقام، وفي كلام المفسرين غنية عن ذلك وقد ذكرنا بعضه.

ومما استدلوا به قوله تعالى ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭼ الدخان: ٣ وقوله ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭼ القدر: ١ وقوله ﭽ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ الشعراء: ١٩٣

فنقول أولاً: قوله ﭽ ﭖ ﭗ ﭼ ورد لفظ "النزول" في القرآن الكريم، على ثلاثة أنواع:ـ

النوع الأول: نزول مقيد بأنه من الله جل وعلا.

النوع الثاني: نزول مقيد بأنه من السماء.

النوع الثالث: نزول مطلق غير مقيد بهذا أو بذاك.

ولا شك أن الذي يهمنا من ذلك هو النوع الأول وهو المقيد بأنه من عند الله تعالى والذي لم يرد إلا مختصاً بالقرآن الكريم وقد ورد في آيات كثيرة،

كقوله تعالى:

1ـ ﭽ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﭼ النحل: ١٠٢

2ـ ﭽ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭼ الزمر: ١

3ـ ﭽ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭼ غافر: ١ – ٢

4ـ ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭼ فصلت: ١ - ٢

5ـ ﭽ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭼ السجدة: ٢

6ـ ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭼ الواقعة: ٨٠

وهذا التنصيص بأنه من الله جل وعلا وتخصيص القرآن بذلك له دلائله: ففيه بيان أنه منزل من الله، لا من مخلوق من مخلوقات الله، كما تقول بذلك بعض الطوائف.

وفيه بيان بطلان القول بخلق القرآن، وبطلان القول بأنه فاض على نفس النبي من العقل الفعال أو غير ذلك من أقاويل أهل الكلام والفلسفة.  
يقول شيخ الإسلام ابن تيمية مستدلاً بصريح الآيات السابقة:" فعلم أن القرآن العربي منزل من الله لا من الهواء، ولا من اللوح، ولا من جسم آخر، ولا من جبريل، ولا من محمد ولا غيرهما وهذا لا ينافي ما جاء عن ابن عباس وغيره من السلف في تفسير قوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭼ أنه أنزله إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ثم أنزله بعد ذلك منجماً مفرقاً بحسب الحوادث، ولا ينافي أنه مكتوب في اللوح المحفوظ قبل نزوله كما قال تعالى: ﭽ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﭼ البروج: ٢١ - ٢٢ وقال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ الواقعة: ٧٧ - ٧٩. وقال تعالى: ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﭼ عبس: ١١ - ١٦ وقال تعالى: ﭽ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ الزخرف: ٤ فإن كونه مكتوباً في اللوح المحفوظ، وفي صحف مطهرة، بأيدي الملائكة، لا ينافي أن يكون جبريل نزل به من الله سواء كتبه الله قبل أن يرسل به جبريل أو بعد ذلك، وإذا كان قد أنزله مكتوباً إلى بيت العزة جملة واحدة في ليلة القدر، فقد كتبه كله قبل أن ينزله، والله تعالى يعلم ما كان وما يكون وما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون، وهو سبحانه قد قدر مقادير الخلائق، وكتب أعمال العباد قبل أن يعملوها كما ثبت ذلك في صريح الكتاب والسنة وآثار السلف، ثم إنه يأمر الملائكة بكتابتها بعد ما يعملونها، فيقابل به الكتابة المتقدمة على الوجود، والكتابة المتأخرة عنه فلا يكون بينهما تفاوت، هكذا قال ابن عباس وغيره من السلف - وهو حق - "([[453]](#footnote-453))

واختيار مادة النزول وما تصرف منها للكلام عن مصدر القرآن الكريم فيه تشريف وتكريم لهذا الكتاب وبيان علو منزلته كما قال تعالى: ﭽ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ الزخرف: ١ - ٤ فالنزول لا يكون إلا من علو.

ثانياً: المقصود بالليلة المباركة هي: ليلة القدر من رمضان، ويُفسر ذلك قوله تعالى ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭼ يقول الطبري:" والصواب من القول في ذلك قول من قال: عنى بها ليلة القدر"([[454]](#footnote-454))

يقول ابن عطية:" واختلف الناس في تعيين الليلة المباركة، فقال قتادة والحسن: هي ليلة القدر، وقالوا: إن كتب الله كلها إنما نزلت في رمضان: التوراة في أوله، والإنجيل في وسطه، والزبور في نحو ذلك ونزل القرآن في آخره في ليلة القدر، ومعنى هذا النزول: أن ابتداء النزول كان في ليلة القدر، وهذا قول الجمهور، وقالت فرقة: بل أنزله الله جملة ليلة القدر إلى البيت المعمور، ومن هنالك كان جبريل يتلقاه"([[455]](#footnote-455))

أقول: والمشهور عن السلف، وما ورد به الأثر، أن القرآن الكريم نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى البيت المعمور في السماء الدنيا، ثم نزل مفرقاً ومنجماً على النبي حسب الوقائع والأحداث في ثلاث وعشرين سنة([[456]](#footnote-456))، روى النسائي([[457]](#footnote-457)) والحاكم في المستدرك([[458]](#footnote-458)) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (فصل القرآن من الذكر، فوضع في بيت العزة في السماء الدنيا، فجعل جبريل عليه السلام ينزله على النبي ، ويرتله ترتيلا)

يقول القرطبي:" ولا خلاف أن القرآن أنزل من اللوح المحفوظ ليلة القدر على ما بيناه جملة واحدة، فوضع في بيت العزة في سماء الدنيا، ثم كان جبريل ينزل به نجماً نجماً في الأوامر والنواهي والأسباب"([[459]](#footnote-459))

وأما ما استدلوا به من أن إنزاله يقتضي كونه محدثاً، والمحدث لاشك أنه مخلوق، ومثله قوله تعالى ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭼ الأنبياء: ٢ فيُرد عليه من عدة أوجه:

أولها: أنكم تستدلون بهذه الآية على أنه محدث، ونحن نقول بأنه لا نزاع في حدوث المركب من الأصوات والحروف، لأنه متجدد في النزول، فالمعنى محدث تنزيله، وإنما النزاع في الكلام النفسي، الذي زعمتم.

يقول الشوكاني:" وقد استُدِلّ بوصف الذكر لكونه محدثاً على أن القرآن محدث، لأن الذكر هنا هو: القرآن، وأجيب بأنه: لا نزاع في حدوث المركب من الأصوات والحروف، لأنه متجدد في النزول، فالمعنى محدث تنزيله، وإنما النزاع في الكلام النفسي"([[460]](#footnote-460)) .

ويقول البغوي في رده عند هذه الآية:" وهذا الاستدلال ليس في مكانه لأن الذكر في الآية يحتمل معانٍ عده، وعلى القول بأنه القرآن فالمقصود بإحداثه أي: ما يحدث الله من تنزيل شيء منه، فيكون تفسير الآية ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭼ يعني: ما يحدث الله من تنزيل شيء من القرآن يذكرهم ويعظهم به"([[461]](#footnote-461)).

ويقول القرطبي:" قال القشيري: وتوهم قوم أن الحديث من الحدوث فيدل على أن كلامه محدث، وهو وهم، لأنه لا يريد لفظ الحديث على ما في قوله ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭼ وقد قالوا: إن الحدوث يرجع إلى التلاوة لا إلى المتلو، وهو كالذكر مع المذكور إذا ذكرنا أسماء الرب تعالى"([[462]](#footnote-462)).

ثانياً: أنه أراد بذلك نزول وتلاوة جبريل على النبي ، فإنه كان ينزل سورة بعد سورة، وآية بعد آية، كما كان ينزله الله تعالى عليه في وقت بعد وقت.

وهذا الذي فسره به ابن كثير فقال:" ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭼ أي: جديد إنزاله ﭽ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭼ كما قال ابن عباس: ما لكم تسألون أهل الكتاب عما بأيديهم وقد حَرفوه وبدلوه وزادوا فيه ونقصوا منه، وكتابكم أحدث الكتب بالله تقرءونه محضًا لم يشب،ورواه البخاري بنحوه"([[463]](#footnote-463))

قال القرطبي:" يريد في النزول وتلاوة جبريل على النبي فإنه كان ينزل سورة بعد سورة، وآية بعد آية، كما كان ينزله الله تعالى عليه في وقت بعد وقت، لا أن القرآن مخلوق"([[464]](#footnote-464)).

ثالثاً: أن الذكر ليس كما تظنون أن المراد به القرآن، بل قد يُراد به ما يذكرهم به النبي ويعظهم به، وفي قوله سبحانه ﭽ ﭝ ﭞ ﭼ لأن النبي لا ينطق إلا بالوحي، فوعظ النبي وتحذيره ذكر، وهو محدث، قال الله تعالى ﭽ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﭼ الغاشية: ٢١.

يقول البغوي:" قال مقاتل: يحدث الله الأمر بعد الأمر قيل: الذكر المحدث ما قاله النبي وبينه من السنن والمواعظ سوى ما القرآن، وأضافه إلى الرب عز وجل لأنه قال بأمر الرب، ﭽ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭼ أي: استمعوه لاعبين لا يعتبرون ولا يتعظون"([[465]](#footnote-465)).

ويقول القرطبي:" وقيل: الذكر ما يذكرهم به النبي ويعظهم به، وقال ﭽ ﭝ ﭞ ﭼ لان النبي لا ينطق إلا بالوحي، فوعظ النبي وتحذيره ذكر، وهو محدث، قال الله تعالى ﭽ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﭼ ويقال: فلان في مجلس الذكر"([[466]](#footnote-466)).

رابعاً:أن الذكر هو الرسول نفسه([[467]](#footnote-467))، بدليل ما في سياق الآية ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ الأنبياء: ٣ ولو أراد بالذكر القرآن لقال: (هل هذا إلا أساطير الأولين) ودليل هذا التأويل قولهﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﭼ القلم: ٥١ يعني محمداً وقال ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ الطلاق: ١٠ - ١١

أقول: وفي نهاية هذا المبحث يتساءل المسلم ومن كان لديه أدنى بصيرة، هل يمكن لهذه الشبهات أن تصمد أمام ما استدل به أهل السنة من كلام الله الذي هو أعلم بصفاته سبحانه من خلقه، ومن كلام رسول الله الذي هو أعلم الخلق بربه تعالى، بل وما أجمع عليه الصحابة قاطبة والتابعون وتابعوهم بإحسان ـ من قبل حدوث أهل الضلال- على أن اللَّه لم يزل متكلمًا متى يشاء، وكيف شاء، سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﭽ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﭼ الأعراف: ١٤٣

ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﭼ التوبة: ٦ ﭽ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﭼ البقرة: ٧٥ ﭽ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ البقرة: ٢٥٣ ﭽ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭼ النساء: ١٦٤ وانظر كيف أكده بالمصدر بقوله: ﭽ ﭼ ﭼ رفعاً لتوهم عدم الحقيقة.

وعن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله : (ما من عبد إلا سيكلمه اللَّه يوم القيامة، ليس بينه وبينه ترجمان)([[468]](#footnote-468)) .

وعن عبد اللَّه بن مسعود قال: قال رسول اللَّه : ( إن الله إذا تكلم بالوحي سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل فإذا جاءهم فزع عن قلوبهم فيقولون: يا جبريل ماذا قال ربك؟ فيقول: الحق فينادون: الحق الحق)([[469]](#footnote-469))

أقول: وأما من العقل: فإن العقل يحكم أن التكلم من أوصاف الكمال، وضده من أوصاف النقص، وكل كمال لا يستلزم نقصًا بوجه من الوجوه، فالله أولى أن يوصف به، فإذا ثبت أن الكلام صفة كمال في المخلوق، فالخالق أولى به، ومعطي الكمال أحق بالكمال.

فلو نفينا عنه الكلام لكان غيره أكمل، وكفى بذلك قبحاً.

والدليل على أنه من أوصاف الكمال: أن اللَّه وبخ عُبَّاد العجل، وأبان قلة أفهامهم، كما بين بطلان ألوهية العجل من حيث إنه لا يتكلم، ولا يملك لهم ضرًا ولا نفعًا، فقال اللَّه: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ الأعراف: ١٤٨ وفي آية أخرى: ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭼ طه: ٨٩.

وقال في وصف المنافقين: ﭽ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ البقرة: ١٨

فهل بعد كل هذا من الله ومن رسوله يأتي من يتجرأ على الله تعالى وينفي عنه صفة الكلام، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

ولكن يجب أن ننبه في نهاية هذا المبحث من أن صفة الكلام لله تعالى كبقية الصفات التي لا تُكيَّف، بل نؤمن بها على ما جاءت عن الله تعالى وعن رسوله مقتفين في ذلك منهج الإمام مالك ـ رحمه الله ـ في كلمته العظيمة الخالدة والتي تلقتها الأمة من بعده بالقبول([[470]](#footnote-470))، وهي نفي التكييف عن صفات الله تعالى، مع الإيمان المطلق بأن هذه الصفة لا تشبه صفة المخلوقين بحال من الأحوال.

وقال الإمام أحمد وغيره من السلف:" إنا لا نعلم كيفية ما أخبر الله به عن نفسه وإن كنا نعلم تفسيره ومعناه"([[471]](#footnote-471))

فنؤمن بأن الله تعالى تكلم، ويتكلم بنص ما ورد عنه وعن رسوله وقد ذكرناه آنفاً، وأن القرآن هو كلام الله تعالى المنزل على نبيه محمد المعجز المتعبد بتلاوته منه بدأ وإليه يعود.

أما كيف تكلم الله به، أو أن نشرح كلام الله، ونتقحم ما ليس لنا به علم، دون نص من الله أو من رسوله فأعتقد أن ذلك محض افتراء على الله تعالى، ومخالفة صريحة لمنهج السلف رحمهم الله تعالى، ووالله وبالله أن هذا المعتقد والوقوف عنده كافياً بأن ننجوا جميعاً من هذه الفتنة ويدخل في ذلك الأشاعرة والإباضية من الخوارج.

لأن هؤلاء جميعاً ومن خلال سبري لكتبهم ومعتقدهم، يؤمنون بأن القرآن كلام الله، ومنزل من الله، ولكنهم زادوا وقالوا: هو كلام الله، ولكنه عبارة عن كلام نفساني دون صوت ولا حرف، يخلقه الله ويخرجه لمن يريد أن يصل إليه من خلقه بواسطة.

وتارة يقولون: جعل الله كلامه في شجرة ثم أخرجه لموسى، فأي عجز أعظم من هذا، لأن الأخرس إذا لم يستطع الكلام أخرج ما يريد في ورقة ليعبر عن مكنون نفسه.

ولست موافقاً لابن خزيمة ـ رحمه الله ـ وهو من أئمة أهل السنة في تكييفه لكلام الله تعالى في كتابه ( التوحيد ) حين بوَّب لكتابه فقال:" باب من صفة تكلم الله عز وجل بالوحي والبيان أن كلام ربنا عز وجل لا يشبه كلام المخلوقين، لأن كلام الله كلام متواصل، لا سكت بينه، ولا سمت، لا ككلام الآدميين الذي يكون بين كلامهم سكت وسمت، لانقطاع النفس أو التذاكر، أو العي، منزه الله مقدس من ذلك أجمع تبارك وتعالى"([[472]](#footnote-472))

نعم، صحيح، أن كلام الله تعالى لا يشبه كلام المخلوقين، ولكن من أين له أنه متواصل، فهل ورد من كتاب الله تعالى أو من سنة رسوله ما يدل على ذلك، أعتقد أن الوقوف والاقتصار على ما جاء عن الله، وما جاء عن رسول الله هو معتقد أهل السنة والجماعة، وهو الأمثل والأسلم، والسلامة لا يعدلها شيء.

لقد قرأت في كتب الرافضة ورسائلهم، والمعتزلة وأقاويلهم، والأشاعرة وتفاسيرهم، والإباضية وكتبهم، ومناظراتهم وسمعت كلامهم، فلم أجد أسلم من الوقوف على ما ورد عليه الدليل، وما وقف عنده سلفنا الصالح، على هذا أحيا وعليه أموت، وبه أقف بين يدي الله سبحانه وتعالى، فإن سألني هل تثبت صفة الكلام؟ وأن القرآن كلامي؟ أقول نعم يا رب!! فما أنزلت من القرآن شاهد على ذلك.

فإن سألني: وهل يشبه كلام المخلوقين؟

أجبته: ﭽ ﭡ ﭢ ﭣﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ الشورى: ١١

فإن سألني: وكيف صفته؟

أجبته: ﭽ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ البقرة: ٣٢

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

ربنا اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

**الفصل الثالث: جهود المفسرين في الرد على الخوارج فيما يتعلق بأفعال المكلفين وتحته أربعة مباحث:**

**المبحث الأول:** جهود المفسرين في الرد علىمذهب الخوارج في خلق العباد لأفعالهم، وما تأولوه من الآيات في ذلك.

**المبحث الثاني:** جهود المفسرين في الرد علىمذهب الخوارج في عدم التفريق بين الإسلام والإيمان وما تأولوه من الآيات في ذلك.

**المبحث الثالث:** جهود المفسرين في الرد علىمذهب الخوارج في تكفير مرتكب الكبيرة، وما تأولوه من الآيات في ذلك.

**المبحث الرابع:** جهود المفسرين في الرد على الخوارج فيما تأولوه من الآيات لإثبات المنزلة بين المنزلتين (عند الإباضية).

**المبحث الأول: جهود المفسرين في الرد على مذهب الخوارج في خلق العباد لأفعالهم، وما تأولوه من الآيات في ذلك.**

ومنه قوله سبحانه وتعالى:

ﭽ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭼ الأنعام: ١٤٨

وقوله تعالى ﭽ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ الزمر: ٧

وآيات النهي عموماً نحو قوله تعالى ﭽ ﮊ ﮋ ﮌﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ الإسراء: ٣٢ قالوا كيف ينهى الله عن أمرٍ ثم يشاؤه سبحانه وتعالى ويخلقه.

وقوله تعالى ﭽ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﭼ البقرة: ٢٠٥ ولو كان الله فاعلاً لأفعال العباد لكان الله فاعلاً للقبيح ومريداً للفساد، لأن أفعال العباد منها ما هو حسن ومنها ما هو قبيح.

وقوله تعالى ﭽ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭼ الملك: ٣ قالوا وأفعال العباد فيها تفاوت.

الإيمان بالقضاء والقدر من الأمور المتفق عليها بين المسلمين، بل هو ركن من أركان الإيمان، ومنكر القضاء والقدر يعتبر كافراً والعياذ بالله يقول الله تعالى ﭽ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﭼ القمر: ٤٩ ويقول ﭽ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭼ الأحزاب: ٣٨ وحديث جبريل الطويل أصل في هذا الباب([[473]](#footnote-473)).

والذي يهمنا في هذا المبحث هو مسألة خلق أفعال العباد، وهي من المسائل القديمة بين أهل السنة وبين مخالفيهم من الفرق المبتدعة, وفي هذه المسألة تاهت عقول، وضلّت قلوب، والله يهدي من يشاء.

والإيمان بالقدر لا يتم حتى يؤمن العبد بمراتبه الأربعة كما قرر ذلك علماء السنة من السلف رحمهم الله تعالى وهي:

1ـ مرتبة العلم:وهي الإيمان بعلم الله المحيط بكل شيء الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة لا في السموات ولا في الأرض، وأن الله قد علم جميع خلقه قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون بعلمه القديم، وأدلة هذا كثيرة منها قوله تعالى ﭽ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﭼ الحشر: ٢٢ وقوله تعالى ﭽ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﭼ الطلاق: ١٢.

وجمهور طوائف المسلمين على هذه المرتبة، فالكل متفقين والحمد لله على أنَّ الله عزّ وجلَّ يعلم ما كان وما سيكون وما هو كائن .

2- مرتبة الكتابة: وهي الإيمان بأن الله كتب مقادير جميع الخلائق في اللوح المحفوظ, ودليل هذا قوله تعالى ﭽ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﭼ الحج: ٧٠ .

وقوله : (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء )([[474]](#footnote-474)).

3- مرتبة الإرادة والمشيئة: وهي الإيمان بأن كل ما يجري في هذا الكون فهو بمشيئة الله سبحانه وتعالى، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يخرج عن إرادته شيء.

والدليل قوله تعالى ﭽ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﭼ الكهف: ٢٣ - ٢٤ وقوله تعالى ﭽ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﭼ التكوير: ٢٩.

وهنا وقع خلاف عقائدي بين أهل السنة من جهة وبين مخالفيهم من جهة أخرى, وكذلك وقع الخلاف بين المخالفين أنفسهم([[475]](#footnote-475)).

4- مرتبة الخلق: وهي الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء، ومن ذلك أفعال العباد، فلا يقع في هذا الكون شيء إلا وهو خالقه، لقوله تعالى ﭽ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﭼ الزمر: ٦٢ وقوله تعالى ﭽ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﭼ الصافات: ٩٦ .

وقوله : ( إن الله يصنع كل صانع وصنعته)([[476]](#footnote-476) )

قال الشيح ابن سعدي ـ رحمه الله ـ :" إن الله كما أنه الذي خلقهم ـ أي الناس ـ فإنه خلق ما به يفعلون من قدرتهم وإرادتهم، ثم هم فعلوا الأفعال المتنوعة، من طاعة ومعصية، بقدرتهم وإرادتهم اللتين خلقها الله "([[477]](#footnote-477) )

ولا خلاف بين جميع طوائف المسلمين على أنّ رب العزّة خالق جميع المخلوقات وخالق صفاتهم, و لكن الخلاف بين أهل السنة من جهة وبين مخالفيهم من جهة أخرى، وكذلك الحال بين المخالفين أنفسهم يقع في مسألة خلق أفعال العباد.

فالجبرية يعتبرون أن الإنسان مسير وليس مخير، ومجبور بأفعاله بقدرة الله، وأنّ الله مسيره كيفما يشاء الله دون أن يكون للإنسان أدنى إرادة, بينما القدرية تقول أن جميع أفعال الإنسان هي نابعة من إرادته وأنه مخير مطلقاً ولا دخل لقدر الله في أفعال الإنسان, والقولان السابقان منكران وشاذان والقول الحق هو قول أهل السنة وهو أن الإنسان مخير ومسير .

أما تخييره فبدليل قوله ﭽ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﭼ التكوير: ٢٨ وقوله ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ البقرة: ٢٨٦

وأما تسييره فبقوله تعالى ﭽ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﭼ التكوير: ٢٩ وحتى نفهم مسألة خلق الله لأفعال العباد، وحتى نعلم الفرق بين قدرة وإرادة الإنسان، ومشيئة و رضى الله عن فعل العبد، لا بدَّ لنا من التمييز بين الإرادة الشرعية وبين الإرادة الكونية لله عزّ وجلَّ.

فالإرادة صفة من صفات الله – عز وجل- وهي نوعان:

(1) إرادة كونية خلقية قدرية.

(2) إرادة دينية شرعية أمرية.

وهذا التقسيم عند أهل السنة والجماعة، وهو الحق الذي دلت عليه النصوص، فالإرادة الكونية الخلقية عامة للمؤمن والكافر، ولا يتخلف مرادها، وكل ما في هذا الكون، وكل ما يكون ويوجد، فإن الله أراده كوناً وقدراً من خير وشر، وصحة وعافية، وعز وإذلال، وكفر وإيمان، وفقر وغنى، ومعصية وطاعة، وسعادة وشقاوة، فكل ما يكون في هذا الكون لا يكون إلا بقدرة الله، كما أن كل شيء خلقه الله.

قال تعالى: ﭽ ﮏ ﮐ ﮑﭼ الزمر: ٦٢، ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﭼ الرعد: ١٦ ﭽ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﭼ الفرقان: ٢.

والإرادة الكونية تعم المؤمن والكافر، أما الإرادة الدينية الشرعية فهي خاصة بالمؤمن، وهي ترادف المحبة والرضا.

فالإرادة الشرعية فيما أراده الله ورضيه من أحكام، وتشريع ما شرعه في الكتاب وعلى لسان نبيه فأمر به ونهى عنه، كقوله: ﭽ ﮩ ﮪ ﭼ هذا أمر ديني شرعي أمر الله بإقامة الصلاة ديناً وشرعاً، ولكن قد يحصل المراد من الإرادة الشرعية وقد لا يحصل، فمن الناس من أطاع الله واستجاب، وأقام الصلاة، ومن الناس من لم يؤمن ولم يستجب.

أما الإرادة الكونية، فإنه لا يتخلف مرادها.

تجتمع الإرادتان في حق المؤمن كأبي بكر فإن الله أراد منه الإيمان قدراً وشرعاً، وتتخلف في حق الكافر، فإن الله أراد الإسلام لأبي لهب ديناً وشرعاً، ولم يرده كوناً وقدراً.

من أمثلة الإرادة الكونية: قوله تعالى ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭼ الأنعام: ١٢٥ ، وقال ﭽ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﭼ المائدة: ١ وقال ﭽ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ هود: ٣٤

والإرادة الكونية مرادفة للمشيئة قال تعالى ﭽ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﭼ التكوير: ٢٨ - ٢٩.

أما الإرادة الشرعية فمن أمثلتها قوله تعالى ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ البقرة: ١٨٥ ﭽ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ الأحزاب: ٣٣ ﭽ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﭼ الأنفال: ٦٧.

ومن المعلوم أن سبب ضلال أهل البدع أنهم لم يقسموا الإرادة إلى قسمين فضلوا وأضلوا.

ولذلك يقول الشنقيطي في تفسيره:" فالكفار زعموا أن الإرادة الكونية القدرية تستلزم الرضى، وهو زعم باطل وهو الذي كذبهم الله فيه في الآيات المذكورة، وقد أشار تعالى إلى هذه الآيات المذكورة، حيث قال في آية الزخرف ٢١ ﭽ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﭼ أي: آتيناهم كتاباً يدل على أنا راضون منهم بذلك الكفر، ثم أضرب عن هذا إضراب إبطال مبيناً أن مستندهم في تلك الدعوى الكاذبة هو تقليد آبائهم التقليد الأعمى، وذلك في قوله: ﭽ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﭼ الزخرف: ٢٢ أي: شريعة وملة، وهي الكفر وعبادة الأوثان، ﭽ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﭼ فقوله عنهم: (ﰄ) وهو مصب التكذيب، لأن الله إنما يرضى بالاهتداء لا بالضلال"([[478]](#footnote-478)).

ويقول الطبري ـ رحمه الله ـ:" وفي هذا أوضح البيان على تكذيب الله الزاعمين أن الله فوَّض الأمور إلى خلقه في أعمالهم، فلا صنع له في أفعالهم، وأنه قد سوَّى بين جميعهم في الأسباب التي بها يصلون إلى الطاعة والمعصية، لأن ذلك لو كان كما قالوا، لكان قد زَيَّن لأنبيائه وأوليائه من الضلالة والكفر، نظيرَ ما زيَّن من ذلك لأعدائه وأهل الكفر به، وزيّن لأهل الكفر به من الإيمان به، نظيرَ الذي زيّن منه لأنبيائه وأوليائه. وفي إخباره جل ثناؤه أنه زين لكل عامل منهم عمله، ما ينبئ عن تزيين الكفر والفسوق والعصيان، وخصّ أعداءه وأهل الكفر، بتزيين الكفر لهم والفسوق والعصيان، وكرّه إليهم الإيمان به والطاعة"([[479]](#footnote-479))

ويقول عند قوله تعالى ﭽ ﭢﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ إبراهيم: ١:" وأضاف تعالى ذكره إخراجَ الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربِّهم لهم بذلك، إلى نبيه ، وهو الهادي خَلْقَه، والموفقُ من أحبَّ منهم للإيمان، إذ كان منه دعاؤهم إليه، وتعريفهُم ما لهم فيه وعليهم. فبيّنٌ بذلك صِحة قولِ أهل الإثبات([[480]](#footnote-480)) الذين أضافوا أفعال العباد إليهم كَسبًا، وإلى الله جل ثناؤه إنشاءً وتدبيرًا، وفسادُ قول أهل القَدر الذين أنكرُوا أن يكون لله في ذلك صُنْعٌ"([[481]](#footnote-481))

ويقول البغوي عند قوله تعالى ﭽ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﭼ:" وفيه دليل على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى"([[482]](#footnote-482))

ويقول ابن عطية عند هذه الآية:" واختلف المتأولون في قوله ﭽ ﯗ ﯘ ﭼ فمذهب جماعة من المفسرين أن ما مصدرية، والمعنى: أن الله خلقكم وأعمالكم، وهذه الآية عندهم قاعدة في خلق أفعال العباد، وذلك موافق لمذهب أهل السنة في ذلك، وقالت ما بمعنى الذي، وقالت فرقة ما استفهام، وقالت فرقة هي نفي بمعنى وأنتم لا تعملون شيئاً في وقت خلقكم ولا قبله، ولا تقدرون على شيء، قال القاضي أبو محمد([[483]](#footnote-483)): والمعتزلة مضطرة إلى الزوال عن أن تجعل ما مصدرية"([[484]](#footnote-484))

ويقول ابن عطية أيضاً عند قوله تعالى ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭼ البقرة: ٣٨:" وفي قوله (مِنِّي) إشارة إلى أن أفعال العباد خلق الله تعالى"([[485]](#footnote-485))

ويقول عند قوله تعالى ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ الأنفال: ١٧ والخلق والاختراع في جميع حالات القاتل إنما هي لله تعالى ليس للقاتل فيها شيء، وإنما يشاركه بتكسبه وقصده، وهذه الألفاظ ترد على من يقول بأن أفعال العباد خلق لهم"([[486]](#footnote-486))

**الخوارج في مسألة القدر ثلاث طوائف:**

إن من تأمل في فرق الخوارج عموماً وجدهم في هذه المسألة متفرقون ومتفاوتون وهم في ذلك طوائف عِدّة:

الطائفة الأولى منهم ذهبت إلى القول بإنكار القدر، والقول بخلق الإنسان لأفعاله الاختيارية، وهم بهذا الرأي يذهبون إلى قول القدرية.   
وتضم هذه الطائفة من فرق الخوارج الميمونية، والحمزية، والحارثية، والشبيبية([[487]](#footnote-487))، وقد ذهبت الميمونية إلى القول بأن الله تعالى لما خلق الخلق أودع فيهم القدرة على اختيار كل ما يريدون من أفعال وأعمال ليس لله مع مشيئتهم مشيئة، فهم الخالقون لأفعالهم خيرها وشرها دون أن يكون لله في ذلك أي أثر.

قال الأشعري عنهم:" والذي تفردوا به القول بالقدر على مذهب المعتزلة، وذلك أنهم يزعمون أن الله سبحانه فوض الأعمال إلى العباد وجعل لهم الاستطاعة إلى كل ما كلفوا، فهم يستطيعون الكفر والإيمان جميعاً، وليس لله سبحانه وتعالى في أعمال العباد مشيئة وليست أعمال العباد مخلوقة لله "([[488]](#footnote-488)) لإسلامية): " يبدوا أنه لا خلاف بين الإباضية وأهل السنة في موضوع القدر" [8445]) ((الإباضية بين الفرق)) (ص ))

ويقول عنهم الشهرستاني:" الميمونية أصحاب ميمون بن خالد([[489]](#footnote-489))، كان من جملة العجاردة، إلا أنه تفرد عنهم بإثبات القدر خيره وشره من العبد، وإثبات الفعل للعبد خلقاً وإبداعاً، وإثبات الاستطاعة قبل الفعل، والقول بان الله تعالى يريد الخير دون الشر وليس له مشيئة في معاصي العباد"([[490]](#footnote-490))

وبمثل قول الميمونية في القدر قالت الحمزية، فصارت هذه الفرقة قدرية، وهم ينسبون إلى زعيمهم حمزة بن أكرك الذي كان في الأصل من العجاردة الخازمية، فلما قال في القدر بقول القدرية أكفرته الخازمية وتبرأت منه، وقد خرجت عن فرقة الإباضية فرقة تسمى الحارثية أتباع حارث الإباضي، هذه الفرقة قد مالت إلى القدرية فقالوا بقولهم مخالفين سائر فرق الإباضية، فيذكر الأشعري عنهم أنهم قالوا في القدر بقول المعتزلة وخالفوا فيه سائر الإباضية([[491]](#footnote-491))، ولكن أكفرهم سائر الإباضية في ذلك.

وممن قال في القدر بقول القدرية من الخوارج أيضاً الشبيبية، وهم أتباع شبيب([[492]](#footnote-492))، فقد قالت هذه الفرقة بقول المعتزلة، فبرئت منهم البيهسية وكانت تقول:" إن الله تعالى فوض إلى العباد، فليس لله في أعمال العباد مشيئة([[493]](#footnote-493)).

الطائفة الثانية: وهم الذين ذهبوا إلى القول بالجبر كما قال جهم بن صفوان، وهم طائفة من الأزارقة زعموا أن العبد مجبر على أفعاله، وأنه لا استطاعة له أصلاً، وقد ذكرهم ابن حزم([[494]](#footnote-494)) ووصفهم بأنهم يوافقون قول جهم بن صفوان في هذا الباب.

ومثل هذه الطائفة من الأزارقة فرقة الشيبانية، فإنها تقول بالجبر أيضاً كالجهم فيما يذكر الشهرستاني عنهم بقوله: "ومن مذهب شيبان أنه قال بالجبر ووافق جهم بن صفوان في مذهبه إلى الجبر"([[495]](#footnote-495))

أما الطائفة الثالثة: فهم المعتدلون الذين قالوا بقول أهل السنة في إثبات القدر خيره وشره، حلوه ومره، ومن الله تعالى، وأن الله خالق كل شيء وأن الإنسان فاعل لأفعاله الاختيارية مكتسب لها محاسب عليها.

وقد ذهب إلى هذا القول بعض فرق الخوارج كالإباضية، وكفرق أخرى مثل الشعيبية أصحاب شعيب الذي انفصل عن الميمونية فأثبت شعيب خلافاً لميمون خلق الله لأعمال العباد وعموم مشيئته، كما قال الأشعري ومثله البغدادي والشهرستاني في حكايتهم لاعتقاده بأنه يقول: " إن الله تعالى خالق أعمال الخلق، والعبد مكتسب لها قدرة وإدارة، مسئول عنها خيراً أو شراً، مجازى عليها ثواباً وعقاباً، ولا يكون شيء في الوجود إلا بمشيئة الله تعالى"([[496]](#footnote-496)).

وعلى مثل هذا الاعتقاد فرقة الخلفية، أصحاب خلف، هذه الفرقة أثبتت القدر والاستطاعة والمشيئة، وقالت في هذه الثلاثة بقول أهل السنة فأضافوا القدر خيره وشره إلى الله تعالى� من فرق الخوارج المجهولية، كما أثبت الأشعري والشهرستاني وغيرهما من علماء الفرق عنهم ذلك الاعتقاد   
أما رأي ال�، وكانت لهم معارك حامية مع الحمزية أتباع حمزة بن أكرك في بلاد كرمان حرباً وجدالاً،   
ومثلها تماماً في الاعتقاد فرقة الخازمية كما نص على ذلك الأشعري([[497]](#footnote-497)) والشهرستاني([[498]](#footnote-498)) فقالوا: لا خالق إلا الله ولا يكون إلا ما شاء الله وإن الاستطاعة مع الفعل، وكفروا الميمونية لميلهم إلى القدرية في هذا الباب.

وممن قال بإثبات القدر وأن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى من فرق الخوارج المجهولية، كما أثبت الأشعري والشهرستاني وغيرهما من علماء الفرق عنهم ذلك الاعتقاد([[499]](#footnote-499)).

أما رأي الإباضية في باب القدر فهم يؤمنون بأن الله خالق كل شيء خلق العبد وفعله، وهم يبتعدون عن مذهبي الجبرية والقدرية فيقولون: أفعالنا خلق من الله ونحن المكتسبون لها، والمجازون عليها ثواباً من الله أو عقاباً([[500]](#footnote-500))، ولم يشذ منهم في ذلك إلا فرقة هم الحارثية منهم هؤلاء اتباع حارث بن مزيد الأباضي وهم الذين قالوا في باب القدر بمثل قول المعتزلة وزعموا ايضاً أن الاستطاعة قبل الفعل وأكفرهم سائر الأباضية في ذلك، لأن جمهورهم على قول أهل السنة فى أن الله تعالى خالق أعمال العباد، وفى أن الاستطاعة مع الفعل([[501]](#footnote-501)).

يقول علي يحيى معمر([[502]](#footnote-502)) في كتابه (الإباضية بين الفرق الإسلامية): " يبدوا أنه لا خلاف بين الإباضية وأهل السنة في موضوع القدر"([[503]](#footnote-503))

ويقول النفوسي([[504]](#footnote-504)) في متن عقيدة التوحيد الإباضية:

فأفعالنا خلق من الله كلها ومنا اكتساب بالتحرك بالبدن([[505]](#footnote-505))

وقال العيزابي([[506]](#footnote-506)) منهم:" الحمد لله الذي أفعالنا خلق منه وكسب منا لا جبر، ولو كانت إجباراً لم يكن عليها مدح ولا ذم، ولا ثواب ولا عقاب، ولا أمر ولا نهي، ولا كتاب ولا رسول، ولا نصب دليلاً"([[507]](#footnote-507))

**مناقشة أدلة الخوارج في إنكارهم لخلق أفعال العباد:**

الخوارج الذين أنكروا أن تكون أفعال العباد مخلوقة استدلوا بأدلة من القرآن، ولكن كعادتهم في ليِّ أعناق النصوص، وتأويلها على غير ما جاءت، وصرفها عن ظواهرها بدون دليل ولا أدنى قرينة.

ومن ذلك: قوله تعالى ﭽ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ الزمر: ٧

ويمكن أن نجيب عن ذلك بجوابين:

أحدهما: أن الرضا غير الإرادة وقد تقدم شيء من ذلك في بداية المبحث فالرضا يكون على الإرادة الشرعية، وأما الإرادة الكونية فلا يلزم فيها رضى الله سبحانه وتعالى.

فالله لا يرضى ولا يحب الكفر، ولكنه سبحانه يريد الكفر من الكافر وبإرادته كفر، كما أنه أراد خلق إبليس ولا يرضاه.

يقول القرطبي في ذلك:" وقيل: لا يرضى الكفر وإن أراده، فالله تعالى يريد الكفر من الكافر وبإرادته كفر لا يرضاه ولا يحبه، فهو يريد كون ما لا يرضاه، وقد أراد الله عز وجل خلق إبليس وهو لا يرضاه، فالإرادة غير الرضا، وهذا مذهب أهل السنة"([[508]](#footnote-508)).

ويقول ابن عطية:" وقالت فرقة: الكلام عموم صحيح، والكفر يقع ممن يقع بإرادة الله، إلا أنه بعد وقوعه لا يرضاه ديناً لهم، فهذا يتركب على الاحتمال الذي تقدمك آنفا، ومعنى: لا يرضاه لا يشكره لهم، ولا يثيبهم به خيراً، فالرضى على هذا هو صفة فعل لمعنى القبول ونحوه، وتأمل الإرادة فإنها حقيقة، إنما هي فيما لم يقع بعد، والرضى، فإنما حقيقة فيما قد وقع، واعتبر هذا في آيات القرآن تجده، وإن كانت العرب قد تستعمل في أشعارها على جهة التجوز هذا بدل هذا"([[509]](#footnote-509)).

ويقول الرازي:" الثاني: أنا نقول الكفر بإرادة الله تعالى ولا نقول إنه برضا الله، لأن الرضا عبارة عن المدح عليه والثناء بفعله، قال الله تعالى: ﭽ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ الفتح: ١٨ أي يمدحهم ويثني عليهم.

الثالث: كان الشيخ الوالد ضياء الدين عمر رحمه الله يقول: الرضا عبارة عن ترك اللوم والاعتراض، وليس عبارة عن الإرادة، والدليل عليه قول ابن دريد:

رضيت قسراً وعلى القسر رضا...من كان ذا سخط على صرف القضا

أثبت الرضا مع القسر وذلك يدل على ما قلناه.

والرابع: هب أن الرضا هو الإرادة إلا أن قوله: ﭽ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ عام، فتخصيصه بالآيات الدالة على أنه تعالى يريد الكفر من الكافر كقوله تعالى: ﭽ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭼ الإنسان: ٣٠ والله أعلم"([[510]](#footnote-510))

والجوابٌ الآخر: أن هذه الآية قد فسرت من جملة من السلف بأن المقصود بالعباد في قوله ﭽ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ أي: المؤمنين.

أو عباد الله الذين اصطفاهم، وهو مروي عن ابن عباس والسدي([[511]](#footnote-511)).

ونظيره قوله تعالى ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭼ الإنسان: ٦ فليس كل عباد الله يشربون منها، بل من اصطفاهم سبحانه وتعالى.

يقول البغوي في ذلك:" ﭽ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ قال ابن عباس والسدي: لا يرضى لعباده المؤمنين الكفر، وهم الذين قال الله تعالى: ﭽ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ الحجر: ٤٢، فيكون عاماً في اللفظ خاصاً في المعنى، كقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭼ ، يريد بعض العباد، وأجراه قوم على العموم، وقالوا: لا يرضى لأحد من عباده الكفر، ومعنى الآية: لا يرضى لعباده الكفر أن يكفروا به، ويروى ذلك عن قتادة، وهو قول السلف، قالوا: كفر الكافر غير مرضي لله عز وجل، وإن كان بإرادته"([[512]](#footnote-512))

ويقول الطبري:" اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﭽ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ فقال بعضهم: ذلك لخاص من الناس، ومعناه: إن تكفروا أيها المشركون بالله، فإن الله غني عنكم، ولا يرضى لعباده المؤمنين الذين أخلصهم لعبادته وطاعته الكفر، عن ابن عباس، قوله: ﭽ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ يعني: الكفار الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم، فيقولوا: لا إله إلا الله، ثم قال: ﭽ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ وهم عباده المخلصون الذين قال فيهم: ﭽ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ فألزمهم شهادة أن لا إله إلا الله وحببها إليهم، عن السدي ﭽ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ قال: لا يرضى لعباده المؤمنين أن يكفروا"([[513]](#footnote-513)).

ويقول ابن عطية في هذا المعنى:" قال ابن عباس: هذه الآية مخاطبة للكفار الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم، وعباده: هم المؤمنون"([[514]](#footnote-514)).

ويقول الرازي في هذا:" ﭽ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ يعني أنه وإن كان لا ينفعه إيمان ولا يضره كفران إلا أنه لا يرضى بالكفر.

واحتج الجبائي([[515]](#footnote-515)) بهذه الآية من وجهين:

الأول: أن المجبرة يقولون إن الله تعالى خلق كفر العباد، وإنه من جهة ما خلقه حق وصواب، قال ولو كان الأمر كذلك لكان قد رضي الكفر من الوجه الذي خلقه، وذلك ضد الآية.

الثاني: لو كان الكفر بقضاء الله تعالى لوجب علينا أن نرضى به لأن الرضا بقضاء الله تعالى واجب، وحيث اجتمعت الأمة على أن الرضا بالكفر كفر ثبت أنه ليس بقضاء الله وليس أيضاً برضاء الله تعالى، وأجاب الأصحاب عن هذا الاستدلال من وجوه الأول: أن عادة القرآن جارية بتخصيص لفظ العباد بالمؤمنين، قال الله تعالى: ﭽ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﭼ الفرقان: ٦٣ وقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭼ وقال: ﭽ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ فعلى هذا التقدير قوله: ﭽ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ ولا يرضى للمؤمنين الكفر، وذلك لا يضرنا"([[516]](#footnote-516)).

ويقول الشوكاني:" وقد اختلف المفسرون في هذه الآية هل هي على عمومها، وإن الكفر غير مرضي لله سبحانه على كل حال كما هو الظاهر، أو هي خاصة؟ والمعنى: لا يرضى لعباده المؤمنين الكفر، وقد ذهب إلى التخصيص حبر الأمة ابن عباس كما سيأتي بيانه آخر البحث، وتابعه على ذلك عكرمة والسدي وغيرهما"([[517]](#footnote-517)).

ومن الأدلة التي استدلوا بها قوله تعالى ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ... ﭼ الأنعام: ١٤٨

قالوا والدليل منها أن الرب سبحانه وتعالى أخبر عنهم وبين أنهم قالوا ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦﭼ ثم وبخهم ورد مقالهم، ولو كانوا ناطقين بحق مفصحين بصدق لما قرعوا.

فيرد عليهم بعدة أمور منها: أنه لا يُسلم لهم بأن الله وبخهم على قولهم ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭼ بل هو على تكذيبهم بدليل قول الله تعالى بعدها ﭽ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ الأنعام: ١٤٨

قال الطبري:" فإن قال قائل: وما برهانك على أن الله تعالى إنما كذب من قيل هؤلاء المشركين قولهم:رضي الله منا عبادة الأوثان، وأراد منا تحريم ما حرمنا من الحروث والأنعام، دون أن يكون تكذيبه إياهم كان على قولهم: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭼ الأنعام: ١٤٨ وعلى وصفهم إياه بأنه قد شاء شركهم وشرك آبائهم، وتحريمهم ما كانوا يحرمون؟

قيل له: الدلالة على ذلك قوله: ﭽ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ ، فأخبر جل ثناؤه عنهم أنهم سلكوا في تكذيبهم نبيهم محمداً فيما آتاهم به من عند الله من النهي عن عبادة شيء غير الله تعالى ذكره، وتحريم غير ما حرم الله في كتابه وعلى لسان رسوله مسلك أسلافهم من الأمم الخالية المكذبة الله ورسوله، والتكذيب منهم إنما كان لمكذب، ولو كان ذلك خبراً من الله عن كذبهم في قيلهم: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ لقال: ( كذلك كَذَبَ الذين من قبلهم )، بتخفيف الذال، وكان ينسبهم في قيلهم ذلك إلى الكذب على الله، لا إلى التكذيب مع علل كثيرة يطول بذكرها الكتاب، وفيما ذكرنا كفاية لمن وفق لفهمه"([[518]](#footnote-518)).

ويقول الإمام البغوي أيضاً:" ويستدل أهل القدر بهذه الآية، يقولون: إنهم لما قالوا لو شاء الله ما أشركنا كذبهم الله ورد عليهم، فقال: ﭽ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ قلنا: التكذيب ليس في قولهم ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ بل ذلك القول صدق، ولكن في قولهم: إن الله تعالى أمرنا بها، ورضي بما نحن عليه، كما أخبر عنهم في سورة الأعراف: ﭽ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﭼ الأعراف: ٢٨ فالرد عليهم في هذا كما قال تعالى: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ الأعراف: ٢٨ والدليل على أن التكذيب ورد فيما قلنا لا في قولهم: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ قوله: ﭽ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ بالتشديد، ولو كان ذلك خبراً من الله عز وجل عن كذبهم في قولهم: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭼ لقال كذلك كذَبَ الذين من قبلهم بالتخفيف، فكان نسبهم إلى الكذب لا إلى التكذيب، وقال الحسن بن الفضل: لو ذكروا هذه المقالة تعظيماً وإجلالاً لله عز وجل، ومعرفة منهم به، لما عابهم بذلك، لأن الله تعالى قال: ﭽ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ الأنعام: ١٠٧

وقال: ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ الأنعام: ١١١ والمؤمنون يقولون ذلك، ولكنهم قالوه تكذيباً وتخرصاً وجدلاً من غير معرفة بالله وبما يقولون، نظيره قوله عز وجل: ﭽ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﭼ الزخرف: ٢٠ قال الله تعالى: ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﭼ الزخرف: ٢٠"([[519]](#footnote-519))

ويقول ابن عطية:" وتعلقت المعتزلة بهذه الآية فقالت: إن الله قد ذم لهم هذه المقالة، وإنما ذمها لأن كفرهم ليس بمشيئة الله تعالى بل هو خلق لهم.

قال القاضي أبو محمد رضي الله عنه: وليس الأمر على ما قالوا، وإنما ذم الله تعالى ظن المشركين أن ما شاء الله لا يقع عليه عقاب، وأما أنه ذم قولهم: لولا المشيئة لم نكفر فلا"([[520]](#footnote-520)).

ويقول القرطبي في رده أيضاً عند هذه الآية:" وتعلقهم بذلك باطل، لأن الله تعالى إنما ذمهم على ترك اجتهادهم في طلب الحق، وإنما قالوا ذلك على جهة الهزء واللعب، نظيره ﭽ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﭼ ولو قالوه على جهة التعظيم والإجلال والمعرفة به لما عابهم، لأن الله تعالى يقول ﭽ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ و ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ و ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭼ النحل: ٩ ومثله كثير، فالمؤمنون يقولونه لعلم منهم بالله تعالى"([[521]](#footnote-521)).

ومن تأمل في كلامهم عرف مدى تلبيس الشيطان عليهم فقد نطقوا بكلمة حق ولكنهم أرادوا بها باطلاً، ولا شك أنهم صادقون في قولهم ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭼ ولكنهم كذبوا في الاحتجاج.

وهذا نظير قولهم ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ يس: ٤٧ وقوله تعالى ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭼ الزمر: ٥٧

ولو كان ما استدل به المشركون صحيحاً لما أذاقهم الله بأسه وعقابه ولذلك يقول ابن كثير:" وهي حجة داحضة باطلة؛ لأنها لو كانت صحيحة لما أذاقهم الله بأسه، ودمر عليهم، وأدال عليهم رسله الكرام، وأذاق المشركين من أليم الانتقام"([[522]](#footnote-522)).

بل قال سبحانه في الآية بعدها مبيناً صدق قول هؤلاء المشركين وبطلان ما استدلوا به وعظيم مشابهتهم في قولهم لمن قال بالقدر ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ الأنعام: ١٤٩ قال ابن كثير:" { قل} لهم يا محمد: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋﮌ ﭼ أي: له الحكمة التامة، والحجة البالغة في هداية من هدى، وإضلال من أضل، ﭽ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ وكل ذلك بقدرته ومشيئته واختياره، وهو مع ذلك يرضى عن المؤمنين ويبغض الكافرين، كما قال تعالى: ﭽ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﭼ الأنعام: ٣٥ ، وقال تعالى: ﭽ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼ يونس: ٩٩ ،

وقوله ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠﭡ ﭢ ﭣﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ هود: ١١٨ - ١١٩.

قال الضحاك: لا حجة لأحد عصى الله، ولكن لله الحجة البالغة على عباده"([[523]](#footnote-523)).

والأمر الآخر وهو على من قال أن الله رد عليهم بما يستوجب التوبيخ فيُقال لهم: أنهم إنما استوجبوا التوبيخ لأنهم كانوا يستهزءون بالدين، ويبغون رد دعوة الأنبياء، وكان قد قرع مسامعهم من شرائع الرسل تفويض الأمر إلى الله سبحانه وتعالى، فلما طولبوا بالإسلام والتزام الأحكام تعللوا بما احتجوا به على النبيين قالوا ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦﭼ وهم في ذلك كمثل فاجر نهي عن فجوره فقال: هذا علي مقدور، مع أنه صادق في قوله هذا، ولكنه تعلل بالقدر مع مخالفته ظاهر الشرع فيوجه عليه الملام والتقريع والردع.

وكذلك يُرد عليهم بالآية الأخرى ﭽ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ الأنعام: ١٠٧ يقول اليافعي:" ولا وجه للاستدلال بالآية التي ذكروا مع وجود هذه الآية فإن الحق سبحانه وتعالى يقول ﭽ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ بالقول الصريح المفصل الذي ليس للتأويل فيه مدخل"([[524]](#footnote-524))

يقول البغوي:" وقيل في معنى الآية: إنهم كانوا يقولون الحق بهذه الكلمة إلا أنهم كانوا يعدونه عذرا لأنفسهم ويجعلونه حجة لأنفسهم في ترك الإيمان، ورد عليهم في هذا لأن أمر الله بمعزل عن مشيئته وإرادته، فإنه مريد لجميع الكائنات غير آمر بجميع ما يريد، وعلى العبد أن يتبع أمره وليس له أن يتعلق بمشيئته، فإن مشيئته لا تكون عذراً لأحد"([[525]](#footnote-525)).

ويقول ابن عطية:" وبين أن المشركين لا حجة لهم فيما ذكروه لأنّا نحن نقول: إن الله عز وجل لو شاء ما أشركوا ولكنه عز وجل شاء إشراكهم وأقدرهم على اكتساب الإشراك والمعاصي ومحبته والاشتغال به ثم علق العقاب والثواب على تلك الأشياء والاكتسابات، وهو الذي يقتضيه ظواهر القرآن في قوله ﭽ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ التوبة: ٨٢ ونحو ذلك، ويلزمهم على احتجاجهم أن تكون كل طريقة وكل نحلة صواباً، إذ كلها لو شاء الله لم تكن([[526]](#footnote-526)).

وقد أبطل الشيخ السعدي في تفسيره حجة من استدل بهذه الآية على معتقده الفاسد بما يقمع كل حجة ويزيل كل لبس فقال:" فأخبر تعالى أن هذه الحجة، لم تزل الأمم المكذبة تدفع بها عنهم دعوة الرسل، ويحتجون بها، فلم تجد فيهم شيئا ولم تنفعهم، فلم يزل هذا دأبهم حتى أهكلهم الله، وأذاقهم بأسه.

فلو كانت حجة صحيحة، لدفعت عنهم العقاب، ولما أحل الله بهم العذاب، لأنه لا يحل بأسه إلا بمن استحقه، فعلم أنها حجة فاسدة، وشبهة كاسدة، من عدة أوجه:

منها: ما ذكر الله من أنها لو كانت صحيحة، لم تحل بهم العقوبة.

ومنها: أن الحجة، لا بد أن تكون حجة مستندة إلى العلم والبرهان، فأما إذا كانت مستندة إلى مجرد الظن والخرص، الذي لا يغني من الحق شيئا، فإنها باطلة، ولهذا قال: ﭽ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭼ فلو كان لهم علم - وهم خصوم ألداء - لأخرجوه، فلما لم يخرجوه علم أنه لا علم عندهم، ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ ومن بنى حججه على الخرص والظن، فهو مبطل خاسر، فكيف إذا بناها على البغي والعناد والشر والفساد؟

ومنها: أن الحجة لله البالغة، التي لم تبق لأحد عذراً، التي اتفقت عليها الأنبياء والمرسلون، والكتب الإلهية، والآثار النبوية، والعقول الصحيحة، والفطر المستقيمة، والأخلاق القويمة، فعلم بذلك أن كل ما خالف هذه الأدلة القاطعة باطل، لأن نقيض الحق، لا يكون إلا باطلاً.

ومنها: أن الله تعالى أعطى كل مخلوق قدرة، وإرادة، يتمكن بها من فعل ما كلف به، فلا أوجب الله على أحد ما لا يقدر على فعله، ولا حرم على أحد ما لا يتمكن من تركه، فالاحتجاج بعد هذا بالقضاء والقدر، ظلم محض وعناد صرف.

ومنها: أن الله تعالى لم يجبر العباد على أفعالهم، بل جعل أفعالهم تبعاً لاختيارهم، فإن شاءوا فعلوا، وإن شاءوا كفوا، وهذا أمر مشاهد لا ينكره إلا من كابر، وأنكر المحسوسات، فإن كل أحد يفرق بين الحركة الاختيارية والحركة القسرية، وإن كان الجميع داخلاً في مشيئة الله، ومندرجاً تحت إرادته.

ومنها: أن المحتجين على المعاصي بالقضاء والقدر يتناقضون في ذلك، فإنهم لا يمكنهم أن يطردوا ذلك، بل لو أساء إليهم مسيء بضرب أو أخذ مال أو نحو ذلك، واحتج بالقضاء والقدر لما قبلوا منه هذا الاحتجاج، ولغضبوا من ذلك أشد الغضب.

فيا عجباً كيف يحتجون به على معاصي الله ومساخطه. ولا يرضون من أحد أن يحتج به في مقابلة مساخطهم؟

ومنها: أن احتجاجهم بالقضاء والقدر ليس مقصوداً، ويعلمون أنه ليس بحجة، وإنما المقصود منه دفع الحق، ويرون أن الحق بمنزلة الصائل، فهم يدفعونه بكل ما يخطر ببالهم من الكلام وإن كانوا يعتقدونه خطأ"([[527]](#footnote-527)) .

وأما ما استدلوا به من أمر عقلي وهو أن الله سبحانه وتعالى كيف ينهى عن أمور ثم يخلقها، وهل يخلق الله الكفر ويأمر عباده أن يجتنبوه فإن هذا لا يُعقل.

فيُقال لهم: إنما ضلَّ من ضل بتحكيم العقل فيما ورد الشرع به، وتظافرت النصوص عليه، ويمكن أن يُردَّ عليهم في ذلك بعدة أمورعقلية أيضاً منها:

أولاً: أن السلطان إذا كان يُتصرف في ملكه بغير إرادته فإن هذا يُعتبر عند كل عاقلٍ عجزٌ ظاهر، وضعفٌ بيِّن، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

ثانياً: إن قلتم أن الله تعالى كيف يؤاخذ عباده بما هم مجبورون عليه من فعل المعاصي.

فنقول: لو كان على زعمكم هذا لكان صحيحاً، ولكن كلامكم هذا ينبني عليه أن العباد لا فعل لهم، بمعنى أنهم مجبورون على ما يكون منهم من تصرفات، وهذا الكلام ظاهر البطلان، وأهل السنة لا يقولون به، بل ويتبرؤن منه.

ومذهب أهل السنة أن الفعل خلق الله وكسب العبد، وبرهان ذلك: إن أموالنا ملك لنا وملك لله عز وجل بإجماع منا أهل السنة والخوارج والمعتزلة، وليس ذلك بموجب أن نكون شركاء فيها، لاختلاف جهات الملك، لأن الله تعالى إنما هو المالك لها؛ لأنها مخلوقة له تعالى، وهي ملك لنا، لأنها كسب لنا وملزمون بأحكامها، ومثل ذلك أفعالنا فهي مخلوقة لله وكسب لنا، فلسنا شركاء له.

ثالثاً: قولكم: إن أفعالنا واقعة على حسب قصدنا، فوجب أن تكون خلقاً لنا؛ فإن الواحد منا إذا أراد أن يقوم قام، وإذا أراد أن يقعد قعد، وإذا أراد أن يتحرك تحرك، وإذا أراد أن يسكن سكن، وغير ذلك، فإذا حصلت أفعاله على حسب قصده دل ذلك على أن أفعاله خلق له.

فيُرد عليهم: بأن هذا الكلام ليس بصحيح على إطلاقه؛ فإنا نرى من يريد شيئاً ويقصده ولا يحصل له ما يريده وما يقصده، فإنه ربما أراد أن ينطق بصواب فيخطئ، وربما أراد أكلاً لقوة وصحة، فيضعف ويمرض، وربما ابتاع سلعة ليربح فيخسر، وربما أراد القيام فيعرض له ما يمنعه منه، إلى غير ذلك، فبطل بهذا استدلالكم وصح أن فعله خلق لغيره.

رابعاً: استدلالكم بقوله تعالى ﭽ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭼ الملك: ٣ وأن فعل العبد لا ينفك عن الاختلاف والتفاوت، إذاً فذلك يقتضي أن فعل العبد لا يكون خلقاً لله.

فيُقال لهم استدلالكم بهذه الآية ناتج عن سوء فهمكم السقيم، وإلا فالآية تتحدث عن خلق السماوات ﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭼ الملك: ٣

يقول البغوي:" ومعناه: ما ترى يا ابن آدم في خلق الرحمن من اعوجاج واختلاف وتناقض، بل هي مستقيمة مستوية وأصله من الفوت وهو أن يفوت بعضها بعضاً لقلة استوائها"([[528]](#footnote-528))

ويقول ابن عطية:" وقال بعض العلماء: ﭽ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ يعني به السماوات فقط، وهي التي تتضمن اللفظ، وإياها أراد بقوله: ﭽ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ، وإياها أراد بقوله: ﭽ ﮁ ﮂ ﮃ ﭼ الآية، قالوا وإلا ففي الأرض فطور"([[529]](#footnote-529))

ويقول الرازي:" المسألة الرابعة: قوله: طباقاً صفة للسموات، وقوله بعد ذلك: ﭽ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭼ صفة أخرى للسماوات، والتقدير: خلق سبع سموات طباقاً ما ترى فيهن من تفاوت، إلا أنه وضع مكان الضمير، قوله: ﭽ ﭱ ﭲﭼ تعظيماً لخلقهن وتنبيهاً على سبب سلامتهن من التفاوت، وهو أنه خلق الرحمن وأنه بباهر قدرته هو الذي يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب"([[530]](#footnote-530)).

ويقول الشوكاني:" ﭽ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭼ هذه الجملة صفة ثانية لسبع سماوات، أو مستأنفة لتقرير ما قبلها، والخطاب لرسول الله ، أو لكل من يصلح له، و( مِنْ ) مزيدة لتأكيد النفي"([[531]](#footnote-531))

ومن الأجوبة على الآية أيضاً: أنه لا تفاوت فيها بالنسبة إليه، من حيث إن الكل يصح منه بحسب القدرة والإرادة والداعية، وإنه لا يقبح منه شيء أصلاً.

يقول الرازي في هذا:" احتج الكعبي بهذه الآية على أن المعاصي ليست من خلق الله تعالى، قال: لأنه تعالى نفى التفاوت في خلقه، وليس المراد نفي التفاوت في الصغر والكبر، والنقص والعيب، فوجب حمله على نفي التفاوت في خلقه من حيث الحكمة، فيدل من هذا الوجه على أن أفعال العباد ليست من خلقه على ما فيها من التفاوت الذي بعضه جهل وبعضه كذب وبعضه سفه، الجواب: بل نحن نحمله على أنه لا تفاوت فيها بالنسبة إليه، من حيث إن الكل يصح منه بحسب القدرة والإرادة والداعية، وإنه لا يقبح منه شيء أصلاً، فلم كان حمل الآية على التفاوت من الوجه الذي ذكرتم أولى من حملها على نفي التفاوت من الوجه الذي ذكرناه، ثم إنه تعالى أكد بيان كونها محكمة متقنة، وقال: ﭽ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ والمعنى أنه لما قال: ﭽ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭼ كأنه قال بعده: ولعلك لا تحكم بمقتضى ذلك بالبصر الواحد، ولا تعتمد عليه بسبب أنه قد يقع الغلط في النظرة الواحدة، ولكن ارجع البصر واردد النظرة مرة أخرى، حتى تتيقن أنه ليس في خلق الرحمن من تفاوت ألبتة"([[532]](#footnote-532)).

إذاً فحججهم داحضة باهتة، وبهذا نخلص إلا أن رأي أهل السنة في أفعال العباد أنها خلق الله وكسب العبد، بمنـزلة الأسباب للمسببات فالعباد لهم قدرة ومشيئة بإرادة، لكنها داخلة تحت قدرة الله ومشيئته وإرادته كما قال تعالى: ﭽ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭼ الإنسان: ٣٠ فالمضاف إلى الله هو خلقها، والمضاف إلى العباد والذي عليه الحمد والذم هو كسبها قال تعالى: ﭽ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ البقرة: ٢٨٦.

ولا منجى من هذه الفتن إلا بالجمع بين الأدلة ورد المتشابه منها إلى المحكم، ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ اللهم لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

**المبحث الثاني:** جهود المفسرين في الرد علىمذهب الخوارج في عدم التفريق بين الإسلام والإيمان وما تأولوه من الآيات في ذلك.

وذلك في نحو قوله تعالى:

ﭽ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ... ﭼ آل عمران: ١٩

ﭽ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ آل عمران: ٨٥

ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭼ

ﭽ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﭼ الحجرات: ١٧

الفرق بين الإسلام والإيمان من المسائل التي أطال العلماء في بيانها في كتب العقائد، وفي ظني أن هذه المسألة من المسائل التي يسوغ الخلاف فيها ولذلك يقول الجرجاني في كتابه:" وقال منهم: إن الإيمان قول وعمل، والإسلام فعل ما فرض على الإنسان أن يفعله، إذا ذكر كل اسم مضمومًا إلى الآخر، فقيل: المؤمنون والمسلمون جميعاً مفردين أريد بأحدهما معنى لم يرد بالآخر، وإن ذكر أحد الاسمين شمل الكل وعمهم.

وكثير منهم([[533]](#footnote-533)) قالوا: الإسلام والإيمان واحد، قال عز وجل: ﭽ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭼ آل عمران: ٨٥ فلو أن الإيمان غيره لم يقبل منه، وقال: ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭼ الذاريات: ٣٥ - ٣٦ "([[534]](#footnote-534))

وحاصل ما يقرره جمهور أهل السنة في هذا: أنه إذا ورد أحد هذين اللفظين مفرداً عن الآخر فالمقصود به دين الإسلام كله، ولا فرق حينئذ بين الإسلام والإيمان .

وأما إذا ورد هذان اللفظان معًا في سياق واحد، فالإيمان يراد به: الأعمال الباطنة، وهي أعمال القلوب كالإيمان بالله تعالى، وحبه وخوفه ورجائه سبحانه وتعالى والإخلاص له .

وأما الإسلام: فيراد به الأعمال الظاهرة التي قد يصحبها الإيمان القلبي، وقد لا يصحبها فيكون صاحبها منافقاً أو مسلماً ضعيف الإيمان .

وبذلك تكون القاعدة المشهورة أنهما إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا.

والإسلام أعم من الإيمان، فكل مؤمن مسلم ولا عكس، وبهذا نكون قد جمعنا بين النصوص الشرعية، وهذا الذي أشار إليه ابن حزم الظاهري في قوله:" ذهب قوم إلى أن الإسلام والإيمان اسمان واقعان على معنيين، وأنه قد يكون مسلم غير مؤمن، واحتجوا بقول الله عز وجل ﭽ ﮍ ﮎ ﮏﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ الحجرات: ١٤ وبالحديث المأثور عن رسول الله إذ قال له سعد: (هل لك يا رسول الله في فلان فإنه مؤمن فقال له رسول الله أو مسلم)([[535]](#footnote-535))انتهى"([[536]](#footnote-536))

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :" اسم الإيمان تارة يذكر مفرداً غير مقرون باسم الإسلام، ولا باسم العمل الصالح، ولا غيرهما، وتارة يذكر مقروناً بالإسلام كقوله في حديث جبرائيل([[537]](#footnote-537)): (ما الإسلام ... وما الإيمان)،  وكقوله تعالى: ﭽ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﭼ الأحزاب: ٣٥ وقوله عز وجل : ﭽ ﮍ ﮎ ﮏﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ ، وقوله تعالى : ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭼ فلما ذكر الإيمان مع الإسلام، جعل الإسلام هو الأعمال الظاهرة ـ الشهادتان والصلاة والزكاة والصيام والحج ـ وجعل الإيمان ما في القلب من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

وإذا ذكر اسم الإيمان مجرداً دخل فيه الإسلام والأعمال الصالحة، كقوله في حديث الشعب: (الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها: قول لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق)([[538]](#footnote-538))  .

وكذلك سائر الأحاديث التي يجعل فيها أعمال البر من الإيمان "([[539]](#footnote-539)) انتهى باختصار.

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:" إذا اقترن أحدهما بالآخر فإن الإسلام يفسر بالاستسلام الظاهر الذي هو قول اللسان، وعمل الجوارح، ويصدر من المؤمن كامل الإيمان، وضعيف الإيمان، قال الله تعالى: ﭽ ﮍ ﮎ ﮏﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ ، ومن المنافق، لكن يسمى مسلماً ظاهراً، ولكنه كافر باطناً.

ويفسر الإيمان بالاستسلام الباطن الذي هو إقرار القلب وعمله، ولا يصدر إلا من المؤمن حقاً كما قال تعالى: ﭽ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﭼ الأنفال: ٢ - ٤

وبهذا المعنى يكون الإيمان أعلى، فكل مؤمن مسلم ولا عكس"([[540]](#footnote-540)) انتهى.

والآية الواردة في السؤال موافقة لهذا المعنى في وصف أهل بيت لوط عليه السلام مرة بالإيمان ومرة أخرى بالإسلام.

فالمراد بالإسلام هنا الإسلام الظاهر، والإيمان هو الإيمان القلبي الحقيقي، فلما وصف الله تعالى أهل البيت جميعاً وصفهم بالإسلام، وذلك لأن امرأة لوط عليه السلام من أهل بيته، وكانت مسلمة في الظاهر، كافرة في حقيقة الأمر، ولما وصف الله تعالى المخرجين الناجين وصفهم بالإيمان ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭼ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" امرأة لوط كانت منافقةَ كافرةً في الباطن، وكانت مسلمة في الظاهر مع زوجها، ولهذا عُذِّبت بعذاب قومِها، فهذه حال المنافقين الذين كانوا مع النبي مستسلمين له فيَ الظاهر، وهم في الباطن غير مؤمنين"([[541]](#footnote-541)).

ولذلك نجد أن الإمام القرطبي رحمه الله يبين هذا الأمر في مواضع مختلفة من تفسيره فيقول عند قوله تعالى ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ...ﭼ البقرة: ١٣١

والإسلام في كلام العرب: الخضوع والانقياد للمستسلم، وليس كل إسلام إيماناً، وكل إيمان إسلام، لأن من آمن بالله فقد استسلم وانقاد لله، وليس كل من أسلم آمن بالله، لأنه قد يتكلم فزعاً من السيف، ولا يكون ذلك إيماناً"(**[[542]](#footnote-542)**)

ويقول عند قوله تعالى ﭽ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ...ﭼ آل عمران: ١٩

الدين في هذه الآية الطاعة والملة، والإسلام بمعنى الإيمان والطاعات، قال أبو العالية، وعليه جمهور المتكلمين، والأصل في مسمى الإيمان والإسلام التغاير، لحديث جبريل([[543]](#footnote-543))، وقد يكون بمعنى المرادفة، فيسمى كل واحد منهما باسم الآخر، كما في حديث وفد عبد القيس([[544]](#footnote-544)) وأنه أمرهم بالإيمان بالله وحده وقال: (هل تدرون ما الإيمان؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان وأن تؤدوا خمساً من المغنم) الحديث، وكذلك قوله : (الإيمان بضع وسبعون بابا فأدناها إماطة الأذى وأرفعها قول لا إله إلا الله) وزاد مسلم (والحياء شعبة من الإيمان)([[545]](#footnote-545)) ، ويكون أيضاً بمعنى التداخل، وهو أن يطلق أحدهما ويراد به مسماه في الأصل ومسمى الآخر، كما في هذه الآية إذ قد دخل فيها التصديق والأعمال، ومنه قول عليه السلام: (الإيمان معرفة بالقلب وقول باللسان وعمل بالأركان)، أخرجه ابن ماجه([[546]](#footnote-546))، وقد تقدم، والحقيقة هو الأول وضعاً وشرعاً، وما عداه من باب التوسع والله أعلم"([[547]](#footnote-547))

بينما نرى الرازي في تفسيره يحتج بقوله تعالى ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭼ الأعراف: ١٢١ مع قوله بعدها ﭽ ﮎ ﮏ ﭼ الأعراف: ١٢٦ على أن الإيمان والإسلام شيء واحد .

يقول:" احتج القاضي بهذه الآية على أن الإيمان والإسلام واحد، فقال: إنهم قالوا أولاً آمنا بآيات ربنا، ثم قالوا ثانياً: وتوفنا مسلمين، فوجب أن يكون هذا الإسلام هو ذلك الإيمان، وذلك يدل على أن أحدهما هو الآخر"([[548]](#footnote-548)).

والرازي لا يُوافق على ذلك لورود ما يُفرِّقُ بينهما من الأدلة الصريحة الصحيحة يقول ابن كثير:" فقوله: ﭽ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﭼ الأحزاب: ٣٥ دليل على أن الإيمان غير الإسلام، وهو أخص منه، لقوله تعالى: ﭽ ﮍ ﮎ ﮏﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ وفي الصحيحين: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)([[549]](#footnote-549))، فيسلبه الإيمان، ولا يلزم من ذلك كفره بإجماع المسلمين، فدل على أنه أخص منه"([[550]](#footnote-550))

ثم الشوكاني ـ رحمه الله ـ يقرر أن الفارق الحقيقي بين الإسلام والإيمان هو ما دلت عليه النصوص الشرعية ومن ذلك حديث جبريل عليه السلام فيقول:" والإسلام: الانقياد والاستسلام لأمر الله سبحانه، فكل مؤمن مسلم، ومن ذلك قوله: ﭽ ﮍ ﮎ ﮏﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ وقد أوضح رسول الله الفرق بين الإسلام والإيمان في الحديث في الصحيحين وغير هما، الثابت من طرق، أنه سئل عن الإسلام فقال: (أن تشهد أن لا إله إلا الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتحج البيت، وتصوم رمضان)، وسئل عن الإيمان فقال: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، والقدر خيره وشره) فالمرجع في الفرق بينهما هو هذا الذي قاله الصادق المصدوق، ولا التفات إلى غيره مما قاله أهل العلم في رسم كل واحد منهما برسوم مضطربة مختلفة متناقضة، وأما ما في الكتاب العزيز من اختلاف مواضع استعمال الإسلام والإيمان فذلك باعتبار المعاني اللغوية والاستعمالات العربية، والواجب تقديم الحقيقة الشرعية على اللغوية، والحقيقة الشرعية هي هذه التي أخبرنا بها رسول الله وإجابة سؤال السائل له عن ذلك بها"([[551]](#footnote-551))

**معتقد الخوارج في الإسلام والإيمان:**

أقول: يجب أن لا نطيل الكلام في هذه المسألة مع مخالفينا من الفرق الأخرى ما دام أنه وقع الخلاف في هذه المسألة بين أئمة أهل السنة والذي يهمنا من هذا أن نبين معتقد الخوارج في هذه المسألة فالخوارج ومن وافقهم يرون أنه لا فرق بين الإسلام والإيمان.

يقول القرطبي:" وليس كل من أسلم آمن بالله، لأنه قد يتكلم فزعاً من السيف، ولا يكون ذلك إيماناً، خلافاً للقدرية والخوارج حيث قالوا: إن الإسلام هو الإيمان، فكل مؤمن مسلم، وكل مسلم مؤمن، لقوله ﭽ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ...ﭼ "([[552]](#footnote-552))

والحاصل أن من جعل الإيمان والإسلام شيئاً واحداً استدل بعدة أدلة منها:

1ـ قوله تعالى ﭽ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ... ﭼ آل عمران: ١٩

2ـ وقوله تعالى ﭽ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ آل عمران: ٨٥

3ـ وقوله تعالى ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭼ

4ـ وقوله تعالى ﭽ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﭼ الحجرات: ١٧

ولا شك أن هذه الأدلة لا تقوى على مجابهة ما استدل به جمهور أهل السنة من التفريق بين مسمى الإيمان والإسلام.

كيف وقد أجاب علماء التفسير ـ رحمهم الله ـ على أدلة الفريق الثاني بما يزيل اللبس ويظهر الحق، ولنستعرض كل دليل استدلوا به وما أجاب عليه المفسرون.

أما قوله تعالى ﭽ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ... ﭼ فلا منافاة في هذه الآية مع رأي جمهور أهل السنة، لإنه في مقررهم أن لفظة الإيمان والإسلام إذا أتت كل واحدة منهما على حدة فإنها شاملة للأخرى، فالإسلام في الآية هو الإيمان والأعمال والإقرار وقل في مثل ذلك في قوله تعالى ﭽ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ.

يقول ابن عطية:" والإسلام في هذه الآية هو الذي في قوله تعالى: ﭽ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ... ﭼ وهو الذي تفسر في سؤال جبريل النبي وهو الإيمان والأعمال والشعب"([[553]](#footnote-553)).

ويقول القرطبي:" والإسلام في هذا الموضع: الإيمان والأعمال جميعاً، ومنه قوله تعالى ﭽ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭼ "([[554]](#footnote-554))

وقد سبق ذكر القاعدة المشهورة في بداية المبحث (إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا).

وأما قوله تعالى ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭼ

فيقول ابن كثير:" ﭽ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭼ احتج بهذه الآية من ذهب إلى رأي المعتزلة، ممن لا يفرق بين مسمى الإيمان والإسلام؛ لأنه أطلق عليهم المؤمنين والمسلمين، وهذا الاستدلال ضعيف؛ لأن هؤلاء كانوا قوماً مؤمنين، وعندنا أن كل مؤمن مسلم لا ينعكس، فاتفق الاسمان هاهنا لخصوصية الحال، ولا يلزم ذلك في كل حال"([[555]](#footnote-555))

ويقول القرطبي:" والمؤمنون والمسلمون ها هنا سواء فجنس اللفظ لئلا يتكرر، كما قال: إنما أشكوا بثي وحزني إلى الله.

وقيل: الإيمان تصديق القلب، والإسلام الانقياد بالظاهر، فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً، فسماهم في الآية الأولى مؤمنين، لأنه ما من مؤمن إلا وهو مسلم"([[556]](#footnote-556))

ويقول البيضاوي:" ﭽ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭼ غير أهل بيت من المسلمين، واستدل به على اتحاد الإيمان والإسلام وهو ضعيف لأن ذلك لا يقتضي إلا من صدق المؤمن والمسلم على من اتبعه، وذلك لا يقتضي اتحاد مفهوميهما لجواز صدق المفهومات المختلفة على ذات واحدة"([[557]](#footnote-557)).

ومما يُستأنس به من الأجوبة في هذه الآية ما نقله ابن إطفيش في تفسيره وهو من التفاسير المعتبرة عند الإباضية عن القاضي رداً على الزمخشري في قوله:" وفيه دليل على أن الايمان والإسلام واحد وأنهما صفتا مدح"([[558]](#footnote-558))

حيث قال:" ذلك لا يقتضي إلاّ صدق المؤمن والمسلم على من اتبع لوطاً وذلك لا يقتضى اتحاد مفهوميهما، لجواز صدق المفهومات المختلفة على ذات واحدة، وقيل الايمان التصديق والاسلام العمل الصالح، فذكرهم أولاً بالإيمان اشعاراً بأنهم أمروا بإخراج كل موحد ولو لم يعمل بالطاعات، ثم ذكرهم بالإسلام اشعاراً بأنهم عملوا الصالحات"([[559]](#footnote-559))

وبهذا نعلم أن ابن أطفيش لا يرى أن الإسلام والإيمان بمعنى واحد.

وأما قوله تعالى ﭽ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﭼ

فالله سبحانه وتعالى استنكر منهم ما فعلوه من مَنِّهِم بإسلامهم، والمِنَّةُ الحقيقية إنما تقع بالهداية إلى الإيمان، وأما الإسلام الذي لا إيمان معه فقد كان الناس يفعلونه خوفاً من السيف فلا مِنَّة لهم بفعله، وإذا لم يَمُنَّ الله عليهم بالإيمان كان ذلك كإسلام المنافقين فلا يقبله الله منهم، فأما إذا كانوا صادقين في قولهم: آمنا، فالله هو المانُّ عليهم بهذا الإيمان وما يدخل فيه من الإسلام، وهو سبحانه نفى عنهم الإيمان أولاً وهنا علق مِنَّةَ الله به على صدقهم فدل على جواز صدقهم، وقد قيل: إنهم صاروا صادقين بعد ذلك([[560]](#footnote-560))، وبهذا نعلم أن الإسلام مختص بإسلام العبد لله والاستسلام له، والخضوع له، والانقياد لحكمه فيما هو مؤمن به، وأما الخضوع والاستسلام من غير إيمان فلا فائدة منه.

وعلى هذا نرجع إلى القاعدة الأولى وهي: أن الإسلام والإيمان إن اجتمعا أُريد بالأول الأعمال الظاهرة، وبالثاني الاعتقادات والأعمال الباطنة، وإن ذكر كل منهما منفرداً أريد به كلا الأمرين.

ثم نختم الكلام عن جميع هذه الآيات بكلام جميل للشيخ الأمين في تفسيره حيث قال:" وقوله في هذه الآية الكريمة:ﭽ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ الزخرف: ٦٩ ظاهره المغايرة بين الإيمان والإسلام.

وقد دلت بعض الآيات على اتحادهما كقوله - تعالى -: ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭼ

ولا منافاة في ذلك، فإن الإيمان يطلق تارة على جميع ما يطلق عليه الإسلام من الاعتقاد والعمل، كما ثبت في الصحيح في حديث وفد عبد القيس، والأحاديث بمثل ذلك كثيرة جدا، ومن أصرحها في ذلك قوله : (الإيمان بضع وسبعون) .

وفي بعض الروايات الثابتة في الصحيح: (وستون شعبة أعلاها شهادة ألا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق) .

فقد سمى (إماطة الأذى عن الطريق) إيماناً.

وقد أطال البيهقي - رحمه الله - في شعب الإيمان، في ذكر الأعمال التي جاء الكتاب والسنة بتسميتها إيماناً، فالإيمان الشرعي التام والإسلام الشرعي التام معناهما واحد.

وقد يطلق الإيمان إطلاقاً آخر على خصوص ركنه الأكبر الذي هو الإيمان بالقلب، كما في حديث جبريل الثابت في الصحيح.

والقلب مضغة في الجسد إذا صلحت صلح الجسد كله، فغيره تابع له، وعلى هذا تحصل المغايرة في الجملة بين الإيمان والإسلام، فالإيمان، على هذا الإطلاق اعتقاد، والإسلام شامل للعمل.

واعلم أن مغايرته - تعالى - بين الإيمان والإسلام في قوله تعالى: ﭽ ﮍ ﮎ ﮏﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ قال بعض العلماء: المراد بالإيمان هنا معناه الشرعي، والمراد بالإسلام معناه اللغوي، لأن إذعان الجوارح وانقيادها دون إيمان القلب - إسلام لغة لا شرعاً.

وقال بعض العلماء: المراد بكل منهما معناه الشرعي، ولكن نفي الإيمان في قوله: ﭽﮗ ﮘ ﮙ ﭼ ، يراد به عند من قال هذا نفي كمال الإيمان، لا نفي أصله، ولكن ظاهر الآية لا يساعد على هذا، لأن قوله: ﭽﮗ ﮘ ﭼ فعل في سياق النفي، وهو صيغة عموم على التحقيق، وإن لم يؤكد بمصدر، ووجهه واضح جداً كما قدمناه مراراً.

وهو أن الفعل الصناعي ينحل عن مصدر وزمن عند النحويين، وعن مصدر وزمن ونسبة عند البلاغيين، كما حرروه في مبحث الاستعارة التبعية، وهو أصوب"([[561]](#footnote-561)).

**المبحث الثالث:** جهود المفسرين في الرد علىمذهب الخوارج في تكفير مرتكب الكبيرة، وما تأولوه من الآيات في ذلك.

ومن ذلك قوله تعالى:

ﭽ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﭼ المائدة: ٢٧

وقوله تعالى ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ آل عمران: ٩٧ حيث يدل على أن ترك الحج كفر مع أنه معدود في جملة المعاصي.

وقوله تعالى ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﭼ النساء: ٩٣

والقتل معصية وكبيرة من الكبائر، ومع ذلك فقد أخبر ربنا أن مرتكبه خالداً في نار جهنم ولا يكون الخلود إلا للكافر.

وكقوله تعالى ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ المائدة: ٤٤

قالوا : إن كلمة (مَنْ) عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله

إلى غير ذلك من نصوص الوعيد.

اختلف الناس في حكم مرتكب الكبيرة ما بين قومٍ تشددوا فأخذوا بنصوص الوعيد وتركوا نصوص الوعد وهم الخوارج ومن سار على نهجهم فأخذوا يكفرون عباد الله، ويتخبطون في دين الله، ويخرجون المسلمين من مسماهم في تخبط وأمر ليس له مثيل.

وما بين المرجئة الذين يزعمون أنه لا يضر مع الإيمان معصية، كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة، وعلى هذا فالعاصي والطائع عندهم سواء.

ولقد أخرج الله أهل السنة والجماعة من بين هؤلاء وهؤلاء لبناً خالصاً سائغاً للشاربين، وذلك بإعمالهم لجميع نصوص الكتاب والسنة وردهم المتشابه من نصوص الوحيين إلى المحكم منها.

وإذا أردنا أن نستعرض شبه القوم من الفريقين، وندمغ كلَ ذلك بآيات الكتاب وصريح السنة، فلا بد أولاً أن نبين ضابط الكبيرة عند العلماء رحمهم الله.

تعريف الكبيرة:

الكبيرة في اللغة: مفرد كبيرات وكبائر، مؤنث الكبير، وهو: الإثم الكبير([[562]](#footnote-562)) ، قال ابن منظور في اللسان:" الكبيرة هي الفعلة القبيحة من الذنوب المنهي عنها شرعاً لعظيم أمرها كالقتل والزنا والفرار من الزحف"([[563]](#footnote-563)).

الكبيرة في الاصطلاح: عرفت بتعاريف كثيرة منها: ما روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: الكبيرة: هي كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب([[564]](#footnote-564)).

وقال القرطبي:" الكبيرة: هي كل ذنب عظم الشارع التوعد عليه بالعقاب وشدده أو عظم ضرره في الوجود"([[565]](#footnote-565)).

وقال ابن أبي العز - في شرحه للطحاوية -: اختلف العلماء في الكبائر على أقوال، فقيل: سبعة، وقيل: سبعة عشر.

وقيل: ما اتفقت الشرائع على تحريمه، وقيل: ما يسد باب المعرفة بالله، وقيل: ذهاب الأموال والأبدان.

وقيل: سميت كبائر بالنسبة والإضافة إلى ما دونها، وقيل: لا تعلم أصلاً، أو أنها أخفيت كليلة القدر، وقيل: إنها إلى السبعين أقرب، وقيل: كل ما نهي عنه فهو كبيرة . وقيل : إنها ما يترتب عليها حد ، أو توعد عليها بالنار أو اللعنة أو الغضب، وهذا أمثل الأقوال . . . ، لأنه يسلم من القوادح الواردة على غيره ، فإنه يدخل فيه كل ما ثبت بالنص أنه كبيرة كالشرك، والقتل، والزنا، وقذف المحصنات وأمثال ذلك([[566]](#footnote-566)).

ثم قال: وترجيح هذا القول من وجوه:

أحدها: أنه هو المأثور عن السلف كابن عباس وابن عيينة وابن حنبل - رضي الله عنهم – وغيرهم.

الثاني: أن الله تعالى قال: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝﭼ النساء: ٣١ فلا يستحق هذا الوعد الكريم من أوعد بغضب الله أو لعنته وناره، وكذلك من استحق أن يقام عليه الحد لم تكن سيئاته مكفرة عنه باجتناب الكبائر.

الثالث: أن هذا الضابط مرجعه إلى ما ذكره الله ورسوله من الذنوب ، فهو حد متلقى من خطاب الشارع.

الرابع: أن هذا الضابط يمكن الفرق به بين الكبائر والصغائر بخلاف تلك الأقوال، فإن من قال: سبعة، أو سبعة عشر، أو إلى السبعين أقرب - مجرد دعوى ومن قال: ما اتفقت الشرائع على تحريمه دون ما اختلفت فيه - يقتضي أن شرب الخمر، والفرار من الزحف، والزواج ببعض المحارم، ونحو ذلك ليس من الكبائر، وأن الحبة من مال اليتيم، والسرقة لها، والكذبة الواحدة الخفيفة، ونحو ذلك: من الكبائر، وهذا فاسد.

ومن قال : ما سد باب المعرفة بالله، أو ذهاب الأموال والأبدان، يقتضي أن شرب الخمر، وأكل الخنزير، والميتة، والدم، وقذف المحصنات - ليس من الكبائر ! وهذا فاسد.

ومن قال: إنها سميت كبائر بالنسبة إلى ما دونها، أو كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة - : يقتضي أن الذنوب في نفسها لا تنقسم إلى صغائر وكبائر، وهذا فاسد أيضاً، لأنه خلاف النصوص الدالة على تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر. ومن قال : إنها لا تعلم أصلاً ، أو إنها مبهمة - : فإنما أخبر عن نفسه أنه لا يعلمها، فلا يمنع أن يكون قد علمها غيره والله أعلم.

أقول: وما اختاره ابن أبي العز ـ رحمه الله ـ هو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وكثير من المحققين من أهل العلم.

**مذهب أهل السنة والجماعة في مرتكب الكبيرة:**

أهل السنة متفقون على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفراً ينقل عن الملة بالكلية، كما قالت الخوارج، إذ لو كفر كفراً ينقل عن الملة لكان مرتداً يقتل على كل حال، ولا يقبل عفو ولي القصاص، ولا تجري الحدود في الزنا والسرقة وشرب الخمر! وهذا القول معلوم بطلانه وفساده بالضرورة من دين الإسلام.

ومتفقون على أنه لا يخرج من الإيمان والإسلام، ولا يدخل في الكفر، ولا يستحق الخلود مع الكافرين، كما قالت المعتزلة فإن قولهم باطل أيضاً، إذ قد جعل الله مرتكب الكبيرة من المؤمنين، ولكنه ناقص الإيمان بحسب ما ارتكب من المعصية فهو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته قال تعالى : ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ البقرة: ١٧٨ إلى أن قال ﭽ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ البقرة: ١٧٨ فلم يخرج القاتل من الذين آمنوا، وجعله أخاً لولي القصاص، والمراد أخوة الدين بلا ريب.

وقال تعالى ﭽ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ الحجرات: ٩ إلى أن قال ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﭼ الحجرات: ١٠

ونصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزاني والسارق والقاذف لا يقتل، بل يقام عليه الحد، فدل على أنه ليس بمرتد.

وقد ثبت في الصحيح عن النبي أنه قال: (من كانت عنده لأخيه اليوم مظلمة من عرض أو شيء فليتحلله منه اليوم، قبل أن لا يكون درهم ولا دينار، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فطرحت عليه، ثم ألقي في النار)([[567]](#footnote-567))

فثبت أن الظالم يكون له حسنات يستوفي المظلوم منها حقه، وكذلك ثبت في الصحيح عن النبي أنه قال (ما تعدون المفلس فيكم؟ قالوا: المفلس فينا من لا له درهم ولا دينار، قال: المفلس من يأتي يوم القيامة وله حسنات أمثال الجبال، قد شتم هذا ، وأخذ مال هذا ، وسفك دم هذا ، وقذف هذا ، وضرب هذا ، فيقتص هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح في النار)([[568]](#footnote-568))

وقد قال تعالى ﭽ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﭼ هود: ١١٤.

فدل ذلك على أنه في حال إساءته يعمل حسنات تمحو سيئاته، وهذا مبسوط في موضعه.

والمعتزلة موافقون للخوارج هنا في حكم الآخرة ، فإنهم وافقوهم على أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار ، لكن قالت الخوارج نسميه كافراً ، وقالت المعتزلة : نسميه فاسقا ، فالخلاف بينهم لفظي فقط .

يقول الطبري في تفسيره عند قوله تعالى ﭽ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﭼ النساء: ٤٨ :" فإن الله لا يغفر الشرك به والكفر، ويغفر ما دون ذلك الشرك لمن يشاء من أهل الذنوب والآثام"([[569]](#footnote-569)).

ويقول القرطبي:" وأجمع أصحابنا على أنه لا تخليد إلا للكافر، وأن الفاسق من أهل القبلة إذا مات غير تائب فإنه إن عذب بالنار فلا محالة أنه يخرج منها بشفاعة الرسول، أو بابتداء رحمة من الله تعالى، وقال الضحاك: إن شيخاً من الأعراب جاء إلى رسول الله فقال: يا رسول الله، إني شيخ منهمك في الذنوب والخطايا، إلا أني لم أشرك بالله شيئاً منذ عرفته وآمنت به، فما حالي عند الله؟ فأنزل الله تعالى: ﭽ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﭼ النساء: ٤٨ الآية([[570]](#footnote-570)).

والمفسرون من أهل السنة جميعهم على ذلك وقد أوردوا من الأحاديث شيئاً كثيراً سبق ذكرها في مبحث الشفاعة([[571]](#footnote-571)).

**رأي الخوارج في مرتكب الكبيرة ومناقشة أدلتهم:**

الخوارج زعموا أن مرتكب الكبيرة كافر واشتهر ذلك عنهم روى الطبري عن قتادة قال حدثنا أنس بن مالك أن رسول الله قال: (يخرج قوم من النار ....)([[572]](#footnote-572)) قال قتادة:" ولا نقول مثل ما يقول أهل حروراء"([[573]](#footnote-573)).

ويقول القرطبي:" في قوله تعالى: ﭽ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨﭼ رد على الخوارج، حيث زعموا أن مرتكب الكبيرة كافر"([[574]](#footnote-574)).

ويقول الأشعري:" إن الخوارج يقولون: أن مرتكبي الكبائر ممن ينتحل الإسلام يعذبون عذاب الكافرين"([[575]](#footnote-575))

ويقول الإسفراييني:" ووافقوا الخوارج أيضاً في أن فساق الملة كفار يخلدون في النار مع الكفار ويقنطون من رحمة الله ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون"([[576]](#footnote-576))

وكما أسلفت فإن هذا من أشهر عقائد الخوارج، وقد استدلوا بأدلة منها: قوله تعالى ﭽ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﭼ المائدة: ٢٧

وجه الدلالة: يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:" وقد احتجت الخوارج والمعتزلة بهذه الآية وقالوا : صاحب الكبيرة ليس من المتقين فلا يتقبل الله منه عملاً ، فلا يكون له حسنة، وأعظم الحسنات الإيمان ، فلا يكون معه إيمان فيستحق الخلود في النار "([[577]](#footnote-577))

وفي الحقيقة أن هذه الآية ليس فيها دليل على ما تعتقده الخوارج لأن المقصود بالمتقين هنا: الذين اتقوا الشرك، وأخلصوا لله في أعمالهم واتبعوا رسول الله .

يقول ابن عطية ـ رحمه الله ـ في تفسيره:" قال القاضي أبو محمد عبد الحق: وإجماع أهل السنة في معنى هذه الألفاظ أنها اتقاء الشرك، فمن اتقاه وهو موحد فأعماله التي تصدق فيها نيته مقبولة، وأما المتقي للشرك والمعاصي فله الدرجة العليا من القبول والحتم بالرحمة، علم ذلك بأخبار الله تعالى، لا أن ذلك يجب على الله تعالى عقلا"(**[[578]](#footnote-578)**)

وقال ابن كثير:" عن ميمون بن أبي حمزة قال: كنت جالساً عند أبي وائل، فدخل علينا رجل يقال له: أبو عفيف، من أصحاب معاذ فقال له شقيق بن سلمة: يا أبا عفيف، ألا تحدثنا عن معاذ بن جبل؟ قال: بلى، سمعته يقول: يحبس الناس في بقيع واحد، فينادي مناد: أين المتقون؟ فيقومون في كنف من الرحمن، لا يحتجب الله منهم ولا يستتر، قلت: من المتقون؟ قال: قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان، وأخلصوا العبادة، فيمرون إلى الجنة"([[579]](#footnote-579)).

ويقول السعدي:" وأصح الأقوال في تفسير المتقين هنا، أي: المتقين لله في ذلك العمل، بأن يكون عملهم خالصاً لوجه الله، متبعين فيه لسنة رسول الله "([[580]](#footnote-580)).

وكذلك استدلت الخوارج بنصوص الوعيد الدالة على كفر العصاة عموماً كقوله تعالى في تارك الحج ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ آل عمران: ٩٧ حيث يدل على أن ترك الحج كفر مع أنه معدود في جملة المعاصي.

وكقوله تعالى ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﭼ النساء: ٩٣

والقتل معصية وكبيرة من الكبائر ومع ذلك فقد أخبر ربنا أن مرتكبه خالدٌ في نار جهنم ولا يكون الخلود إلا للكافر.

وكقوله تعالى ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ المائدة: ٤٤

قالوا : إن كلمة (مَنْ) عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله فيدخل فيه الفاسق المصدق.

فيُرد عليهم بأنه بئسما تأولتم كتاب الله تعالى وإنما كان مذهب السلف ـ رحمهم الله ـ الجمع بين نصوص الوعد والوعيد من الكتاب والسنة ورد المتشابه منها إلى المحكم.

والقاعدة العامة عند أهل السنة والجماعة في نصوص الوعيد إمرارها كما جاءت، فيعملون بمجموع النصوص ويذكرون نصوص الوعد على سبيل الترغيب في الخير والحث عليه، ونصوص الوعيد من باب التحذير والزجر عن مخالفة شرع الله، ولكنهم لا يكفرون بمجرد المعصية وإنما يفسّقون المؤمن ويرونه ناقص الإيمان ويقولون: هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، أو مؤمن ناقص الإيمان، والخوارج ضاقت صدورهم عن الجمع بين الوعد والوعيد، فأخذوا نصوص الوعيد وتجاهلوا نصوص الوعد فحكموا على مرتكب الكبيرة بالكفر، وأخرجوه من الإسلام واستباحوا دمه وماله، والمرجئة غلّبوا جانب الوعد وعطَّلوا جانب الوعيد، وفتحوا باب التساهل والتهاون في محارم الله، وأهل السنة أعملوا نصوص الوعد والوعيد فجاءوا بنصوص الوعد والوعيد ترغيباً وترهيباً ولم يكفّروا بمجرد ارتكاب المعصية وإنما كفّروا بمن أتى بناقض من نواقض الإسلام.

وهم مع ذلك لا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار، ولا يحكمون بالجنة لأحد من الموحدين حتى يكون الله تعالى أنزلهم حيث شاء، ويقولون أمرهم إلى الله، إن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم، ويؤمنون بأن الله تعالى يخرج قوماً من الموحدين من النار على ما جاءت به الروايات عن رسول الله .

وأما قوله تعالى ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ فيقال إنه لم يتأول أحد من سلف الأمة هذا التأويل وهو أن من ترك الحج مع إيمانه بالله واليوم الآخر وإقراره بفرضية الحج أنه كافر خارج عن الملة.

وإنما ورد عنهم عِدّة تأويلات منها:

أولاً: أن قوله ( من كفر ) أي: جحد وجوب الحج.

وهو مروي عن ابن عباس وعطاء والضحاك والحسن ومجاهد([[581]](#footnote-581))

قال أبو جعفر: وأولى التأويلات بالصواب في ذلك قول من قال: معنى ﭽ ﯗ ﯘ ﭼ ومن جحد فرض ذلك وأنكر وجوبه، فإن الله غني عنه وعن حجه وعن العالمين جميعاً، وإنما قلنا ذلك أولى به، لأن قوله ﭽ ﯗ ﯘ ﭼ بعقب قوله ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﭼ آل عمران: ٩٧ بأن يكون خبراً عن الكافر بالحج، أحق منه بأن يكون خبراً عن غيره، مع أن الكافر بفرض الحج على من فرضه الله عليه، بالله كافر وأن الكفر أصله الجحود، ومن كان له جاحداً ولفرضه منكراً، فلا شك إن حج لم يرج بحجه براً، وإن تركه فلم يحج لم يره مأثماً، فهذه التأويلات، وإن اختلفت العبارات بها، فمتقاربات المعاني"([[582]](#footnote-582)).

ويقول البغوي:" قال ابن عباس والحسن وعطاء: جحد فرض الحج، وقال مجاهد: من كفر بالله واليوم الآخر، وقال سعيد بن المسيب: نزلت في اليهود حيث قالوا: الحج إلى مكة غير واجب"([[583]](#footnote-583))

ومن التأويلات: من كفر بالله واليوم الآخر وهذا قريب من الأول وهو مروي عن ابن عمر وجماعة.

ومنها: من كفر بهذه الآيات التي في البيت، وهو مروي عن ابن زيد.

ومنها: من تركه لا يخاف عقوبته، ومن حجه لا يرجو ثوابه، فهو ذلك وهو مروي عن ابن عباس ومجاهد، وفيه خبر ضعفه أهل العلم([[584]](#footnote-584)).

إذاً فلا دليل فيما استدلوا به.

وقد يُقال: أن الغرض من هذا الوعيد استعظام له، وتغليظ في الوعد عليه وكأن مراد الله سبحانه وتعالى أن يفهمنا أن الحج شعار من شعائر الاسلام فلا يجوز للمسلمين أن يتركوه وتركه لا يليق إلا بالكفار.

وأما قوله تعالى ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﭼ النساء: ٩٣

فالجواب: إن هذا أيضاً متروك الظاهر، وذلك للإجماع على عذاب شارب الخمر والزاني، وآكل الربا، وغيرهم مع إنهم غير مكذبين لله تعالى ومذهب أهل السنة كما هو معلوم إمرار نصوص الوعيد على ما جاءت عليه.

ومع ذلك فإنا نقول إن أهل التأويل اختلفوا في قوله ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ إلى عدة أقوال منها:

أولاً: قالوا معناه: فجزاؤه جهنم إن جازاه، روي ذلك عن أبي صالح، وعون بن عبد الله بن عتبة، وعمرو بن دينار، ومحمد بن سيرين، وأبي مجلز مثله([[585]](#footnote-585)) .

ثانياً: عني بذلك رجل بعينه، كان أسلم فارتد عن إسلامه، وقتل رجلاً مؤمناً. قالوا: فمعنى الآية: ومن يقتل مؤمناً متعمداً مستحلاً قتله، فجزاؤه جهنم خالداً فيها، روي ذلك عن عكرمة وروى (أن رجلاً من الأنصار قتل أخا مقيس بن صبابة، فأعطاه النبي الدية فقبلها، ثم وثب على قاتل أخيه فقتله قال ابن جريج: وقال غيره: ضرب النبي ديته على بني النجار، ثم بعث مقيساً، وبعث معه رجلاً من بني فهر في حاجة للنبي ، فاحتمل مقيس الفهري([[586]](#footnote-586)) وكان أيدا([[587]](#footnote-587)) فضرب به الأرض، ورضخ رأسه بين حجرين، ثم ألفى يتغنى:

ثأرت به فهراً، وحملت عقله ... سراة بني النجار أرباب فارع([[588]](#footnote-588))

فقال النبي : أظنه قد أحدث حدثاً! أما والله لئن كان فعل، لا أومنه في حل ولا حرم، ولا سلم ولا حرب، فقتل يوم الفتح، قال ابن جريج: وفيه

نزلت هذه الآية ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ الآية([[589]](#footnote-589)).

ثالثاً: قيل أن معنى ذلك: إلا من تاب وندم على ما فعل.

أقول: وقد وقع خلاف بين أهل العلم هل للقاتل توبة أم لا، وقد صح عن ابن عباس أنه ليست له توبة، وربنا يقول ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ الفرقان: ٦٨ – ٧٠

وعن أبي سعيد الخدري، أن نبي الله قال: ( كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً، فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله، فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرا قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي، فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة" قال قتادة: فقال الحسن ذكر لنا، أنه لما أتاه الموت نأى بصدره)([[590]](#footnote-590))

والقاتل قد تعلقت به ثلاثة حقوق.

1ـ حق الله تعالى، وهو مغفور بهذه الآية.

2ـ وحق الورثة وأولياء الدم، وهو مغفور بالدية أو القصاص.

3ـ وحق المقتول، وهو الذي ورد في حديث ابن عباس أنه يأتي يوم القيامة ودمه يثعب فيقول: يا رب سله فيم قتلني، وهذا حقه باق يستوفيه يوم القيامة لا يسقط بحال من الأحوال ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ الكهف: ٤٩ فإن شاء الله عاقب القاتل، وإن شاء أرضى المقتول بإدخاله الجنة، والله إذا رضي عن عبده يَسَّر له أسباب السعادة.

رابعاً: أنها من المبهمات التي لا يُعلم تأويلها، ولا يستطيع أحد فتح أقفالها، كما روي عن ابن عباس قال: ( هما المبهمتان: الشرك والقتل )([[591]](#footnote-591)).

خامساً: أن العرب لا تعد الإخلاف في الوعيد خلفاً وذماً وإنما تعد إخلاف الوعد خلفاً وذماً، قال البغوي:" حكي أن عمرو بن عبيد جاء إلى أبي عمرو بن العلاء فقال له: هل يخلف الله وعده؟ فقال: لا، فقال: أليس قد قال الله تعالى ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ فقال أبو عمرو بن العلاء: من العجمة أتيت يا أبا عثمان! إن العرب لا تعد الإخلاف في الوعيد خلفاً وذماً وإنما تعد إخلاف الوعد خلفاً وذماً وأنشد:

وإني وإن أوعدته أو وعدته ... لمخلف إيعادي ومنجز موعدي([[592]](#footnote-592)) "([[593]](#footnote-593))

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: معناه: ومن يقتل مؤمناً متعمداً، فجزاؤه إن جزاه جهنم خالداً فيها، ولكنه يعفو ويتفضل على أهل الإيمان به وبرسوله، فلا يجازيهم بالخلود فيها، ولكنه عز ذكره إما أن يعفو بفضله فلا يدخله النار، وإما أن يدخله إياها ثم يخرجه منها بفضل رحمته، لما سلف من وعده عباده المؤمنين بقوله: ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﭼ الزمر: ٥٣

فإن ظن ظان أن القاتل إن وجب أن يكون داخلاً في هذه الآية، فقد يجب أن يكون المشرك داخلاً فيه، لأن الشرك من الذنوب، فإن الله عز ذكره قد أخبر أنه غير غافر الشرك لأحد بقوله: ﭽ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﭼ النساء: ٤٨ ، والقتل دون الشرك"([[594]](#footnote-594)).

ويقول البغوي:" والذي عليه الأكثرون، وهو مذهب أهل السنة أن لقاتل المسلم عمداً توبته مقبولة لقوله تعالى: ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ طه: ٨٢ وقال: ﭽ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﭼ النساء: ٤٨ وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما فهو تشديد ومبالغة في الزجر عن القتل، كما روي عن سفيان بن عيينة أنه قال: إن لم يقتل يقال له لا توبة لك، وإن قتل ثم جاء يقال لك توبة، ويروى مثله عن ابن عباس رضي الله عنهما، وليس في الآية متعلق لمن يقول بالتخليد في النار بارتكاب الكبائر، لأن الآية نزلت في قاتل هو كافر، وهو مقيس بن صبابة، وقيل: إنه وعيد لمن قتل مؤمناً مستحلاً لقتله بسبب إيمانه، ومن استحل قتل أهل الإيمان لإيمانهم كان كافراً مخلداً في النار، وقيل: قوله تعالى ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ النساء: ٩٣ فيها معناه: هي جزاؤه إن جازاه، ولكنه إن شاء عذبه بذنبه، وإن شاء غفر له بكرمه، فإنه وعد أن يغفر لمن يشاء"([[595]](#footnote-595))

أقول: وما اختاره الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ والبغوي هو الصواب في ظني لما فيه من جمعٍ بين الأدلة وكان في قول ابن عباسٍ رضي الله عنهما خير لهذه الأمة، إذ لو أفتى بالتوبة للقاتل لتساهل الناس في هذه الجريمة العظيمة، وقد تعلق بها حق مخلوقٍ لا يمكن أن يسقط، ولا بد أن يُوفى إيَّاه، وليس فيه توبة، لأن صاحب الحق قد مات، فمن هذا الباب يُخرَّج كلام ابن عباس نسأل الله أن يعصمنا من مضلات الفتن.

أما قوله تعالى ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ المائدة: ٤٤

فقد جعلت لهذه الآية مبحثاً خاصاً، يرد الحديث عنه مطولاً في الفصل الآتي وهو الرابع، إن شاء الله تعالى.

**المبحث الرابع:** جهود المفسرين في الرد على الخوارج فيما تأولوه من الآيات لإثبات المنزلة بين المنزلتين (عند الإباضية).

وذلك في نحو قوله تعالى: ﭽ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﭼ المائدة: ٢٧

ﭽﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰﮱ ﯓ ﯔ ﯕﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ التوبة: ٦٧

ﭽ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﭼ التوبة: ٥٤

ﭽ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﭼ التوبة: ٧٩

ﭽ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ التغابن: ٢

ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ هود: ١٠٥

ﭽ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﭼ الأعراف: ٣٠

الإيمان والكفر هما ضدان لا يجتمعان إلا إذا اجتمع السكون والحركة، والحياة والموت، وقد أجمعت الأمة في أصلهم على أن من لم يكن مؤمناً فلا شك أنه كافر لقوله تعالى ﭽ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭼ التغابن: ٢ وقوله: ﭽ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﭼ الإنسان: ٣ وقوله عن سليمان عليه السلام: ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﭼ النمل: ٤٠ وقال: ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ هود: ١٠٥ وقال: ﭽ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﭼ الأعراف: ٢٩ - ٣٠ يعني سعداء وأشقياء، وقال: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﭼ آل عمران: ١٠٦ - ١٠٧ وقال في موضع آخر: ﭽ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﭼ عبس: ٣٨ - ٤٢

وعلى هذا المسلمون حتى جاء المعتزلة بمعتقدهم ووافقهم على ذلك الأباضية من الخوارج.

والأصل في معتقد الخوارج أنهم يرون أن صاحب الكبيرة كافر خارج عن ملة الإسلام، ولكن الأباضية كان اعتقادهم نتيجة تلاقح أفكار نشأ من تلك المعتقدات الفاسدة، فخرجوا بفكرة أن صاحب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر، ولكنه في منزلة بين المنزلتين تسمى عندهم نفاقاً، وكفر نعمة، وعلى هذا فالناس عندهم ثلاثة أقسام:

القسم الأوَّل: هم المؤمنون، وهم الأوفياء بإيمانهم، الملتزمون بجميع ما جاء به الإسلام ــ عملاً وتركاً ــ وبهم يقوم المجتمع المسلم في الدنيا، وبهم تناط الرسالة الإسلامية، وبهم وحدهم تحفظ حرم الله وتقام حدوده، ويوم القيامة هم في دار النعيم جزاء لهم على إيمانهم وعملهم الصالح.

القسم الثاني: وهم المشركون الواضحون في شركهم، سواء كان ذلك بإنكارهم لوجود الله تبارك وتعالى، أو لإشراكهم غيره معه في العبادة وبهؤلاء يقوم المجتمع المشرك في الدنيا، وإليه توجه الدعوة إلى الإسلام والقتال لتأمينها، ويوم القيامة هم في دار الخزي والعذاب الأليم بعدم إيمانهم وسوء عملهم.

أما الفريق الثالث: هم قوم أعلنوا كلمة التوحيد، وأقروا بالإسلام، ولكنهم لم يلتزموا به سلوكًا وعبادة، فهم ليسوا مشركين، لأنـَّهم يقرون بالتوحيد، وهم ليسوا بمؤمنين، لأنـَّهم لا يلتزمون ما يقتضيه الإيمان، فهم مع المسلمين في أحكام الدنيا لإقرارهم بالتوحيد، وهم مع المشركين في أحكام الآخرة لعدم وفائهم بإيمانهم ولمخالفتهم ما يستلزمه التوحيد من عمل أو ترك.

إذاً فقد اتفق الأباضية والخوارج جميعاً على حكم صاحب الكبيرة في الآخرة وأنه في نار جهنم مع الكفار والمشركين.

ولذلك يقول ابن اطفيَّش:" والنفاق لغة: الخروج من غير المدخل، وإخفاء غير ما أظهر، وشرعًا مخالفة الفعل القول، أو السر العلانيَّة، والمنافق عندي من أظهر التوحيد وأخفي الشرك عليه أحمل ما ورد في القرآن، ومن عمل كبيرة دون الشرك، وقصره أصحابنا على الثاني وقومنا على الأول"([[596]](#footnote-596)) وعلق أبو إسحاق على هذا بقوله:" وردت أحاديث كثيرة في إطلاق النفاق على الكبائر الملية، كما وردت في إطلاق الكفر عليها، ولهذا فقد أطلق أصحابنا النفاق عليها كما أطلقوا الكفر فصار النفاق فيها مرادفًا لكفر النعمة، أمـَّا غير أصحابنا فقد تكلفوا تأويلات في تلك الأحاديث فحصروا الكفر والنفاق في الشرك، روى البخاري([[597]](#footnote-597)) ومسلم([[598]](#footnote-598)) وأبو داود([[599]](#footnote-599)) والترمذي([[600]](#footnote-600)) والنسائي([[601]](#footnote-601)) وأحمد([[602]](#footnote-602)) عن ابن عمرو أنَّ رسول الله  قال: (أربع من كنَّ فيه كان منافقًا خالصًا: ومن كانت فيه خصلة منهنَّ كانت فيه خصلة من النفاق حتَّى يدعها: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر)"([[603]](#footnote-603))

يقول ابن حزم:" وقالت الإباضية إن كان الذنب من الكبائر فهو كافر نعمة تحل موارثته ومناكحته وأكل ذبيحته، وليس مؤمناً ولا كافراً على الإطلاق"([[604]](#footnote-604))

**الفرق في المنزلة بين المنزلتين عند المعتزلة وعند الإباضية:**

المعتزلة من خلال كلام أئمتهم يرون أن المنزلة بين المنزلتين هي منزلة الفسق وهي: منزلة بين الكفر والإيمان، هذا في الدنيا وأما في الآخرة فهو الخلود في النار وبئس القرار.

يقول القاضي عبدالجبار([[605]](#footnote-605)): "والأصل في ذلك أن هذه العبارة إنما تستعمل في شيء بين شيئين ينجذب إلى كل واحد منهما بشبه، هذا في أصل اللغة، وأما في اصطلاح المتكلمين، فهو العلم بأن لصاحب الكبيرة اسم بين الاسمين، وحكم بين الحكمين..."([[606]](#footnote-606)).

ويشرح القاضي هذا التعريف، فيقول: "إن صاحب الكبيرة له اسم بين الاسمين، فلا يكون اسمه اسم الكافر، ولا اسم المؤمن، وإنما يسمى فاسقاً، وكذلك صاحب الكبيرة له حكم بين الحكمين، فلا يكون حكمه حكم الكافر، ولا حكم المؤمن بل يفرد له حكم ثالث، وهذا الحكم الذي ذكرناه هو سبب تلقيب المسألة بالمنزلة بين المنزلتين، فإن صاحب الكبيرة له منزلة تتجاذبها هاتان المنزلتان، فليست منزلته منزلة الكافر ولا منزلة المؤمن، بل له منزلة بينهما"([[607]](#footnote-607)).

ويقول ابن المرتضي([[608]](#footnote-608)) ـ وهو يسوق ما أجمعت عليه المعتزلة -:"وأما ما أجمعت عليه المعتزلة، فقد أجمعت... على المنزلة بين المنزلتين، وهو أن الفاسق لا يسمى مؤمناً ولا كافراً..."([[609]](#footnote-609))

ويقول الإسفراييني عن المعتزلة:" يقولون بالمنزلة بين المنزلتين وزعمهم أن الفاسق الملي لا مؤمن ولا كافر، وأن الفساق من أهل الملة خرجوا من الإيمان ولم يبلغوا الكفر وأنهم مع الكفار في النار خالدين مخلدين لا يجوز لله تعالى أن يغفر لهم، وأنه لو غفر لهم لخرج من الحكمة"([[610]](#footnote-610))

وأما الإباضية فيقفون من هذه المسألة بين أمرين، بين النفي من جهة، والإثبات من جهة أخرى، وذلك باعتبارين مختلفين: ـ

فإثباتهم للمنزلة بين المنزلتين يقصدون به النفاق الذي يحكمون به على مرتكب الكبيرة - كما قدمنا - حيث يثبتونه منزلة بين منزلة الإيمان والشرك، ويبدو كذلك أن النفاق عندهم معنى مرادفاً لمعنى كفر النعمة، بل هذا هو ما يؤكده كلام أبي إسحاق الإباضي مثبتاً رأيهم في أنهم يطلقون النفاق على الكبائر المرادفة لكفر النعمة حيث يقول: "ولهذا أطلق أصحابنا النفاق عليها - يعني بها الكبائر - كما أطلقوا الكفر، فصار النفاق فيها مرادفاً لكفر النعمة"([[611]](#footnote-611)).

وكذلك يعتبر تبغورين الإباضي([[612]](#footnote-612)) أن الحكم بالنفاق على مرتكبي الكبائر يتساوى مع الحكم عليهم بكفر النعمة، فهو يقسم الناس إلى ثلاث فرق وقد تقدم ذلك كله في أول المبحث إلا أنه ختم تقسيمه بقوله:" وقد أطلق الإباضية على هذا القسم الثالث اسم المنافقين وكفار النعمة"([[613]](#footnote-613)) .

ويقول الجناوني([[614]](#footnote-614)) أيضاً في هذا المعنى - بالإضافة إلى بيان تبغورين السابق ـ:"وأما المنزلة بين المنزلتين فهي منزلة النفاق بين منزلة الإيمان ومنزلة الشرك"([[615]](#footnote-615))

فالإباضية إذاً يعتبرون المنافق في منزلة بين المنزلتين هما منزلة الشرك والإيمان كما قدمنا، ثم يجعلون المنافق موحداً، فمنزلة التوحيد هذه تقع بين منزلتي الشرك والإيمان، كما قال أبو محمد عبدالله بن سعيد السدويكشي([[616]](#footnote-616)) في حاشيته على متن الديانات لأبي ساكن عامر بن علي الشماخي([[617]](#footnote-617))، شارحاً ما قاله أبو ساكن في هذا الموضوع قال:" قوله: ندين بأن منزلة النفاق بين منزلة الإيمان ومنزلة الشرك: يعني أن المنافق ليس بمشرك ولا بمؤمن بل هو موحد .... ثم يمضي في شرحه إلى أن يقول: "الحاصل أنا نقول بمنزلة النفاق بين منزلة الإيمان والشرك، ونقول بأن لا منزلة بين الإيمان والكفر"([[618]](#footnote-618))

ثم إن الإباضية يرون بعد هذا أن النفاق لا يكون إلا في الأفعال لا في الاعتقاد كما يقول السدويكشي أيضاً: "والذي عليه أصحابنا ومن وافقهم أن النفاق في الأفعال لا في الاعتقاد"([[619]](#footnote-619))

ولذلك إذا قرأت لبعض أئمتهم نفيهم للمنزلة بين المنزلتين وأنهم لا يعترفون بها فاعلم أنهم يقصدون الإيمان والشرك، وأنهم يقصدون ان النفاق فقط في الأفعال دون الاعتقاد وبهذا يخرج كلام بعض أئمتهم من أنه لا يكون إلا إيمان أو شرك، يقول تبغورين الإباضي فيما ينقله عنه علي بن يحيى في كتابه (الإباضية بين الفرق): "الأصل السادس: لا منزلة بين المنزلتين، وذلك أن معناه لا منزلة بين المنزلتين أي بين الإيمان والكفر"([[620]](#footnote-620))

**مناقشة أدلة الإباضية التي يستدلون بها على المنزلة بين المنزلتين:**

من خلال سبري لكتب الإباضية رأيت أن ما يستدلون به من الأدلة على نوعين:

أولهما: ما نزل من الآيات في المنافقين في عهد النبي ، وما وصفوا بسببه من الأعمال الظاهرة بالمنافقين.

وذلك في نحو قوله تعالى ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰﮱ ﯓ ﯔ ﯕﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ التوبة: ٦٧

وكقوله تعالى ﭽ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﭼ التوبة: ٥٤

وقوله ﭽ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﭼ التوبة: ٧٩

ثانياً: يستدلون بما استدل به أهل السنة من أنه لا يوجد منزلة بين المنزلتين بل هو إيمان وكفر، وكما أسلفنا هم يقصدون من وراء ذلك أن الفاسق الذي يعمل الكبائر هو منافق.

ويستدلون بقوله تعالى ﭽ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ التغابن: ٢ وبقوله تعالى ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ هود: ١٠٥ وبقوله ﭽ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﭼ الأعراف: ٣٠

فأقول: أنه لا مخرج من الوقوع في الفتن والنجاة من الضلال إلا باتباع هدي سيد المرسلين، وإمام المتقين، والجمع بين نصوص الكتاب والسنة ورد المتشابه إلى المحكم، وأن نكل عِلمَ ما لا نعلمه إلى الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى ﭽ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﭼ الشورى: ١٠

وأما ما استدلوا به من الأدلة التي أنزلها الله في حق المنافقين وما يعملونه من الأعمال الظاهرة، فليس في ذلك أدنى دليل، لأن الله تعالى بين حال المنافقين في آيات كثيرة من أنهم فاسدوا الاعتقاد، مكذبون لله ورسوله، وما أتى زيادة على ذلك من الأعمال الظاهرة التي هي في جملة المعاصي أو الكبائر، إنما هي زيادة في فضحهم، وهتك سترهم، وبيان أمرهم، قال سبحانه ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭼ محمد: ٣٠ وقال جل وعلا ﭽ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﭼ المنافقون: ١ وقال سبحانه وهو أصدق القائلين ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﭼ التوبة: ٧٥ – ٧٧

فإذاً ليس في ما أنزل الله سبحانه وتعالى في المنافقين من آياتٍ تتلى، من دليل على المنزلة بين المنزلتين، إذ أنهم إنما استحقوا هذا الوصف ليس بالأعمال الظاهرة فحسب، بل لِمَا انطوت عليه نفوسهم من الاعتقاد الفاسد أيضاً، وما ذكره الله من أعمالهم المشينة الظاهرة، إنما هو لكشف أمرهم وفضحهم والتحذير من صنيعهم.

يقول الطبري عند قوله تعالى ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭼ:" ﭽ ﭔ ﭕ ﭼ يقول: فلتعرفهم بعلامات النفاق الظاهرة منهم في فحوى كلامهم وظاهر أفعالهم، ثم إن الله تعالى عرفه إياهم"([[621]](#footnote-621)).

ويقول البغوي عند قوله تعالى ﭽ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚﭛ ﭼ:" والمعنى: إنك تعرفهم فيما يعرضون به من تهجين أمرك وأمر المسلمين والاستهزاء بهم، فكان بعد هذا لا يتكلم منافق عند النبي إلا عرفه بقوله، ويستدل بفحوى كلامه على فساد دخيلته"([[622]](#footnote-622)).

وأما ما استدلوا به من الآيات التي تنفي أن يكون هناك منزلة وسط، وأن النفاق هو أشد من الكفر، فنقول: نعم، وهو صحيح.

ولكن إقحام المسلمين في هذا المعنى، وأن كل من أذنب وعصى أنه يكون في الدرك الأسفل من النار فهذا الذي لا يُوافقون عليه.

فإن قالوا: نحن لسنا كالمعتزلة، لا نحكم عليه بالكفر في الدنيا، بل نرى أنه خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر، أو هو منافق موحد ليس بمشرك.

فنقول لهم: لا شك أنكم أخف حكماً من المعتزلة وعموم الخوارج، ولكنكم بإخراجكم له من مسمى الإيمان خالفتم كلام الله جل وعلا، والقاعدة هي: بقاء ما كان ، على ما كان عليه.

ولا يُخرج الأمر عن أصله إلا بدليل.

والأصل بقاء المؤمن على إيمانه حتى وإن وقع في المعصية، يقول الله جل وعلا ﭽ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ الحجرات: ٩ فالله جل وعلا وصف الطائفتين جميعاً بالإيمان ولا شك أن قتال المؤمنين لبعضهم من أعظم الإجرام.

يقول النبي : (سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر)([[623]](#footnote-623))

ثم في قوله ﭽ ﮡ ﮢ ﭼ دليل على بقاء مسمى الإيمان، مع أن البغي من أعظم الذنوب والآثام.

يقول البغوي:" وفي هاتين الآيتين دليل على أن البغي لا يزيل اسم الإيمان، لأن الله تعالى سماهم إخوة مؤمنين مع كونهم باغين، يدل عليه ما روي عن الحارث الأعور أن علي بن أبي طالب سئل وهو القدوة في قتال أهل البغي عن أهل الجمل وصفين: أمشركون هم؟ فقال: لا، من الشرك فروا، فقيل: أمنافقون هم؟

فقال: لا، إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا، قيل: فما حالهم؟ قال: إخواننا بغوا علينا"([[624]](#footnote-624)).

ويقول الرازي:" واحتج ابن عباس على هذا بقوله تعالى ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ البقرة: ١٧٨ من ثلاثة أوجه:ـ

أحدهما: أن القصاص إنما يجب على القاتل المتعمد، ثم إنه خاطبه بقوله ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ .. ﭼ فدل على أنه مؤمن.

وثانيها: قوله: ﭽ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼ وهذه الأخوة ليست إلا أخوة الإيمان، لقوله تعالى ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ الحجرات: ١٠

وثالثها: قوله: ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﭼ البقرة: ١٧٨ وهذا لا يليق إلا بالمؤمن"([[625]](#footnote-625))

وأمر آخر وهو أنا نجد أن الله تعالى أبقى اسم الإيمان على الذين لم يهاجروا في قوله تعالى ﭽ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﭼ الأنفال: ٧٢ مع عظم الوعيد في ترك الهجرة في قوله تعالى ﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭼ النحل: ٢٨

وقوله: ﭽ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ الأنفال: ٧٢ ومع هذا جعلهم مؤمنين، ولم يسلبهم حقهم في الإيمان وهو الملك العدل المبين.

وقل مثله في قوله تعالى ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭼ الممتحنة: ١ وقوله ﭽ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼ الأنفال: ٢٧ وقوله تعالى ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭼ التحريم: ٨ والأمر بالتوبة لمن لا ذنب له محال وقوله ﭽ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﭼ النور: ٣١

فهذه أدلة من كتاب ربنا، وأما ما ورثناه من سنة نبينا فكثير يصعب حصره ومن ذلك:

ما روي عن عمر بن الخطاب (أن رجلاً على عهد النبي كان اسمه عبد الله، وكان يلقب حماراً، وكان يضحك رسول الله ، وكان النبي قد جلده في الشراب، فأتي به يوماً فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به؟ فقال النبي : لا تلعنوه، فوالله ما علمت إنه يحب الله ورسوله)([[626]](#footnote-626))

فهذا رجلٌ يؤتى به مراراً للنبي فيجلده الحد على شربه الخمر، ولا شك أن شرب الخمر من الكبائر، ومع ذلك غضب النبي عندما سمع أحد الصحابة يلعنه، ولم يكن ذلك إلا لما يعلمه من الإيمان في قلبه.

ومن ذلك أيضاً ما روي عن أنس بن مالك قال: ( كنت عند النبي فجاءه رجل فقال: يا رسول الله، إني أصبت حداً فأقمه علي، قال: ولم يسأله عنه، قال: وحضرت الصلاة، فصلى مع النبي ، فلما قضى النبي الصلاة، قام إليه الرجل فقال: يا رسول الله، إني أصبت حداً، فأقم في كتاب الله، قال: أليس قد صليت معنا؟ قال: نعم، قال: فإن الله قد غفر لك ذنبك، أو قال: حدك )[[627]](#footnote-627)

فهذه بعضٌ من الأدلة تبين وتدل على أنه لا بد من إعمال جميع الأدلة من الكتاب والسنة وأن المؤمن معرضٌ للذنب والخطأ وإيمانه يضعف وينقص تارة، ويزيد ويقوى تارة أخرى، والله أرحم بعباده من خلقه، بل أرحم بهم من أنفسهم.

**الفصل الرابع: جهود المفسرين في الرد على ما تأولت الخوارج فيما يتعلق بالحاكمية وتحته مبحثان:**

**المبحث الأول:** جهود المفسرين في الرد على تأويلات الخوارج للآيات في تكفير من حكم بغير ما أنزل الله .

**المبحث الثاني:** جهود المفسرين في الرد على تأويلات الخوارج بشأن الخروج على الأئمة وتحته مطلبان:

**المطلب الأول:** ما تأولت في تحريم طاعتهم، والرد عليهم.

**المطلب الثاني:** ما تأولوا في وجوب الخروج عليهم، والرد عليهم.

**المبحث الأول:** جهود المفسرين في الرد على تأويلات الخوارج للآيات في تكفير من حكم بغير ما أنزل الله .

هذا المبحث هو الأصل والمنطلق لما بعده، وما ضل من ضل في الخروج على أئمة المسلمين وحكامهم وتكفيرهم واستباحة ذلك إلا بسبب هذا الأمر، والبلية الكبرى أن أولئك القوم أخذوا يتخبطون في تكفيرهم لأئمة المسلمين على أدنى شبهة أو تأويل.

وأعظم ما تعلق به الخوارج في ذلك هو قوله تعالى ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ المائدة: ٤٤

بهذه الآية يرى الخوارج أن من لم يحكم بما أنزل الله فإنه كافر خارج عن ملة الإسلام دون تفصيل أو استثناء.

ورأو أن علياً كافراً بهذه الآية لأنه لم يحكم بما أنزل الله ـ في زعمهم ـ يقول الأشعري :" فقالت الخوارج الحكمان كافران وكفر علي حين حكم واعتلوا بقول الله عز و جل ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ ([[628]](#footnote-628))

ويقول القرطبي:" وقوله ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ يحتج بظاهره من يكفر بالذنوب، وهم الخوارج"([[629]](#footnote-629))

ويقول في تفسيره:" قال القشيري: ومذهب الخوارجأن من ارتشى وحكمبغير حكم الله فهو كافر"([[630]](#footnote-630))

ويقول السمعاني في تفسيره:" واعلم أن الخوارج يستدلون بهذه الآية، ويقولون: من لم يحكم بما أنزل الله؛ فهو كافر، وأهل السنة قالوا: لا يكفر بترك الحكم"([[631]](#footnote-631)).

**مذهب أهل السنة في من حكم بغير ما أنزل الله:**

إن من سبر كلام أئمة أهل السنة والجماعة وهم المقتفون والمتبعون لسلف هذه الأمة وجد أنهم يجمعون بين الأدلة مع الموازنة في ذلك، والحذر على القول على الله بغير علم.

فملخص حكمهم في ذلك هو التفصيل، فمنه ما هو كفر أكبر وهذا هو الأصل، ومنه ما هو دون ذلك من كفر المعصية ونحو ذلك ، والآية الكريمة عامة تشمل هذا وذاك.

أما الحاكم المسلم الذي لا يحكم بشرع الله فإنه إن حكم بغير ما أنزل الله معرضاً عن دين الله عمداً من غير تأويل ولا إكراه، ولا نحوه من العوارض العاذرة فهو كافر كفراً أكبر ـ نسأل الله العافية - أما إن حكم بغير ما أنزل الله عن جهل، أو إكراه، أو تأويل، أو نحو ذلك من العوارض فهو مرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب، وكفره كفر غير مخرج من الملة، وهو ما يسمى بالكفر الأصغر، أو كفر دون كفر، على نحو وصف النبي النياحة والطعن بالأنساب بأنها كفر، ومعلوم أنها لا تخرج من الملة، بل هي من كبائر الذنوب.

وهذا هو المروي عن حبر الأمة وترجمان القرآن، الحجة في تفسير آي القرآن بين الله وخلقه، وهو من دعى له رسول الله بالفقه في الدين وعلم التأويل.

فعن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ قال: "من جحد ما أنزل الله، فقد كفر، ومن أقرّبه، لم يحكم به فهو ظالم فاسق"([[632]](#footnote-632)).

وقال طاووس عن ابن عباس – أيضاً – في قوله: ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ قال: ليس بالكفر الذي يذهبون إليه"([[633]](#footnote-633))  
وفي لفظ: "كفر لا ينقل عن الملة"، وفي لفظ آخر: "كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق"([[634]](#footnote-634)).

ولفظ ثالث: "هو به كفره، وليس كمن كفر بالله، وملائكته، وكتبه ورسله"([[635]](#footnote-635)).   
 وسار بقية علماء أهل السنة على نفس المنهج لا يحيدون عنه.

قال ابن عبد البر:" وأجمع العلماء على أن الجور في الحكم من الكبائر لمن تعمد ذلك عالماً به، رويت في ذلك آثار شديدة عن السلف، وقال الله عز وجل: ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ (الظالمون) (الفاسقون) نزلت في أهل الكتاب، قال حذيفة وابن عباس: وهي عامة فينا، قالوا ليس بكفر ينقل عن الملة إذا فعل ذلك رجل من أهل هذه الأمة حتى يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، روي هذا المعنى عن جماعة من العلماء بتأويل القرآن منهم ابن عباس وطاووس وعطاء"**([[636]](#footnote-636))**.

ويقول ابن الجوزي:" وفصل الخطاب: أن من لم يحكم بما أنزل الله جاحداً له، وهو يعلم أن الله أنزله؛ كما فعلت اليهود؛ فهو كافر، ومن لم يحكم به ميلاً إلى الهوى من غير جحود؛ فهو ظالم فاسق، وقد روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس؛ أنه قال: من جحد ما أنزل الله، فقد كفر، ومن أقرّبه، ولم يحكم به، فهو ظالم فاسق"**([[637]](#footnote-637))**.

ويقول ابن العربي:" وهذا يختلف: إن حكم بما عنده على أنه من عند الله، فهو تبديل له يوجب الكفر، وإن حكم به هوى ومعصية فهو ذنب تدركه المغفرة على أصل أهل السنة في الغفران للمذنبين"([[638]](#footnote-638)).

**أقوال المفسرين في هذه الآية وردهم على من زعم أن من لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر على أي حال:**

المفسرون من أهل السنة يقتفون في تفسيرهم آثار سلف هذه الأمة، لأنهم أعلم بما نزل عن الله من غيرهم فهم عاصروا وقت التنزيل، ولذلك نراهم يقولون في هذه الآية بما قال به حبر الأمة وترجمان القرآن، من دعا له رسول الله بأن يفقه الله في الدين ويعلمه التأويل.

وابن عباس كما ذكرنا آنفاً لا يرى كفر من حكم بغير ما أنزل الله على إطلاقه بل لابد من التفصيل ونُقل ذلك عنه بأسانيد صحاح([[639]](#footnote-639)).

يقول شيخ المفسرين ابن جرير الطبري:" وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب: قول من قال: نزلت هذه الآيات في كفّار أهل الكتاب، لأن ما قبلها وما بعدها من الآيات ففيهم نزلت، وهم المعنيون بها، وهذه الآيات سياق الخبر عنهم، فكونها خبراً عنهم أولى.

فإن قال قائل: فإن الله تعالى قد عمّ بالخبر بذلك عن جميع من لم يحكم بما أنزل الله، فكيف جعلته خاصاً؟

قيل: إن الله تعالى عمّ بالخبر بذلك عن قوم كانوا بحكم الله الذي حكم به في كتابه جاحدين، فأخبر عنهم أنهم بتركهم الحكم على سبيل ما تركوه كافرون، وكذلك القول في كلّ من لم يحكم بما أنزل الله جاحداً به، هو بالله كافر؛ كما قال ابن عباس"([[640]](#footnote-640)).

ونرى ابن كثير ـ رحمه الله ـ ينص على أن كفر من حكم بغير ما أنزل الله لا يكون إلا فيمن فعل ذلك جحوداً وعناداً وقصداً منه.

يقول:" ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ لأنهم جحدوا حكم الله قصداً منهم وعناداً وعمداً، وقال ههنا: ﭽ ﯭ ﯮ ﯯ ﭼ المائدة: ٤٥ لأنهم لم ينصفوا المظلوم من الظالم في الأمر الذي أمر الله بالعدل والتسوية بين الجميع فيه، فخالفوا وظلموا وتعدوا"([[641]](#footnote-641)).

وعلى هذا سار المفسرون من أهل السنة، يقول السعدي :" فالحكم بغير ما أنزل الله من أعمال أهل الكفر، وقد يكون كفرً ينقل عن الملة، وذلك إذا اعتقد حله وجوازه، وقد يكون كبيرة من كبائر الذنوب، ومن أعمال الكفر قد استحق من فعله العذاب الشديد ..... ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ قال ابن عباس: كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق، فهو ظلم أكبر عند استحلاله، وعظيمة كبيرة عند فعله غير مستحل له"([[642]](#footnote-642))

ويقول الأمين الشنقيطي ـ رحمه الله ـ:" واعلم: أن تحرير المقال في هذا البحث: أن الكفر والظلم والفسق، كل واحد منها أطلق في الشرع مراداً به المعصية تارة، والكفر المخرج من الملة أخرى: ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ معارضاً للرسل، وإبطالاً لأحكام الله؛ فظلمه وفسقه وكفره كلها مخرج من الملة، ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﭼ معتقداً أنه مرتكب حراماً، فاعل قبيحاً، فكفره وظلمه وفسقه غير مخرج من الملة"([[643]](#footnote-643))

ويقول القرطبي:" قوله تعالى: ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ و(الظَّالِمُونَ) و(الْفاسِقُونَ) نزلت كلها في الكفار، ثبت ذلك في صحيح مسلم من حديث البراء، وقد تقدم، وعلى هذا المعظم، فأما المسلم فلا يكفر وإن ارتكب كبيرة.

وقيل: فيه إضمار، أي ومن لم يحكم بما أنزل الله ردا للقرآن، وجحداً لقول الرسول فهو كافر، قاله ابن عباس ومجاهد، فالآية عامة على هذا.

قال ابن مسعود والحسن: هي عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله من المسلمين واليهود والكفار أي معتقدا ذلك ومستحلا له، فأما من فعل ذلك وهو معتقد أنه راكب محرم فهو من فساق المسلمين، وأمره إلى الله تعالى إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له"([[644]](#footnote-644)).

ثم إن القرطبي ـ رحمه الله ـ أورد عدة أقوال كلها قد تكون مُحتملة إلا أنه بعد ذلك رجح ما تقدم آنفاً.

قال:" وقال ابن عباس في رواية: ومن لم يحكم بما أنزل الله فقد فعل فعلاً يضاهي أفعال الكفار، وقيل: أي ومن لم يحكم بجميع ما أنزل الله فهو كافر، فأما من حكم بالتوحيد ولم يحكم ببعض الشرائع فلا يدخل في هذه الآية، والصحيح الأول، إلا أن الشعبي قال: هي في اليهود خاصة، واختاره النحاس، قال: ويدل على ذلك ثلاثة أشياء، منها أن اليهود قد ذكروا قبل هذا في قوله:" لِلَّذِينَ هادُوا"، فعاد الضمير عليهم، ومنها أن سياق الكلام يدل على ذلك، ألا ترى أن بعده" وَكَتَبْنا عَلَيْهِمْ" فهذا الضمير لليهود بإجماع، وأيضا فإن اليهود هم الذين أنكروا الرجم والقصاص، فإن قال قائل:" من" إذا كانت للمجازاة فهي عامة إلا أن يقع دليل على تخصيصها؟ قيل له:" فَمَنْ" هنا بمعنى الذي مع ما ذكرناه من الادلة، والتقدير: واليهود الذين لم يحكموا بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون، فهذا من أحسن ما قيل في هذا، ويروى أن حذيفة سئل عن هذه الآيات أهي في بني إسرائيل؟ قال: نعم هي فيهم، ولتسلكن سبيلهم حذو النعل بالنعل. وقيل:" الْكافِرُونَ" للمسلمين، و" الظَّالِمُونَ" لليهود، و" الَفاسِقُونَ" للنصارى، وهذا اختيار أبي بكر بن العربي، قال: لأنه ظاهر الآيات. وهو اختيار ابن عباس وجابر بن زيد وابن أبي زائدة وابن شبرمة والشعب أيضاً.

قال طاوس وغيره: ليس بكفر ينقل عن الملة، ولكنه كفر دون كفر، وهذا يختلف إن حكم بما عنده على أنه من عند الله، فهو تبديل له يوجب الكفر، وإن حكم به هوى ومعصية فهو ذنب تدركه المغفرة على أصل أهل السنة في الغفران للمذنبين"([[645]](#footnote-645))

ونرى الإمام البغوي أيضاً يُخرِّج هذه الآية على ما خرجها عليه أئمة التفسير فيقول:" ﭽ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ المائدة: ٤٤ قال قتادة والضحاك: نزلت هذه الآيات الثلاث في اليهود دون من أساء من هذه الأمة، رُوي عن البراء بن عازب رضي الله عنه في قوله: ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ والظالمون والفاسقون كلها في الكافرين، وقيل: هي على الناس كلهم.

وقال ابن عباس وطاووس: ليس بكفر ينقل عن الملة، بل إذا فعله فهو به كافر وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر.

قال عطاء: هو كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق، وقال عكرمة معناه: ومن لم يحكم بما أنزل الله جاحداً به فقد كفر، ومن أقرّ به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق.

وسئل عبد العزيز بن يحيى الكناني([[646]](#footnote-646)) عن هذه الآيات، فقال: إنها تقع على جميع ما أنزل الله لا على بعضه، فكل من لم يحكم بجميع ما أنزل الله فهو كافر ظالم فاسق، فأما من حكم بما أنزل الله من التوحيد وترك الشرك، ثم لم يحكم بجميع ما أنزل الله من الشرائع لم يستوجب حكم هذه الآيات، وقال العلماء: هذا إذا رد نص حكم الله عياناً عمداً، فأما من خفي عليه أو أخطأ في تأويل فلا"([[647]](#footnote-647)) .

ويقول الشوكاني:" وأخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، عن ابن عباس في قوله : ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﭼ يقول : من جحد الحكم بما أنزل الله فقد كفر ، ومن أقرّ به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق . وأخرج الفريابي وسعيد بن منصور ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والحاكم وصححه ، والبيهقي في سننه ، عن ابن عباس في قوله : ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ قال: إنه ليس بالكفر الذي يذهبون إليه، وإنه ليس كفر ينقل من الملة بل دون كفره، وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عن عطاء ابن أبي رباح في قوله : ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ . . . هُمُ الظالمون . . . هُمُ الفاسقون ﭼ قال: كفر دون كفر وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق، وأخرج سعيد ابن منصور ، وأبو الشيخ ، وابن مردويه عن ابن عباس قال : إنما أنزل الله ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ و ﭽ الظالمون ﭼ و ﭽ الفاسقون ﭼ في اليهود خاصة، وقد روي نحو هذا عن جماعة من السلف وأخرج عبد الرزاق ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، والحاكم وصححه ، عن حذيفة ، أن هذه الآيات ذكرت عنده ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ ﭽ الظالمون ﭼ و ﭽ الفاسقون ﭼ فقال رجل : إن هذا في بني إسرائيل، فقال حذيفة: نعم الإخوة لكم بنو إسرائيل، إن كان لكم كل حلوة ولهم كل مرّة ، كلا والله لتسلكنّ طريقهم قدّ الشراك، وأخرج ابن المنذر نحوه عن ابن عباس"([[648]](#footnote-648))**.**

ولقد أضاف القاسمي ـ رحمه الله ـ في تفسيره زيادة على ما مضى أسباباً في نزول هذه الآيات مما يدل على أنها ليست في كل من حكم بغير ما أنزل الله بل لابد من التفصيل في ذلك قال:" روي سبب آخر في نزول هذه الآيات الكريمات .

أخرج الإمام أحمد عن ابن عباس قال : إن الله أنزل : ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ و ﭽ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﭼ و ﭽ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﭼ في الطائفتين من اليهود، وكانت إحداهما قد قهرت الأخرى في الجاهلية حتى ارتضوا أو اصطلحوا على أن كل قتيل قتله العزيزة من الذليلة فديته خمسين وسقاً ، وكل قتيل قتله الذليلةُ من العزيزة فديته مائة وسق، فكانوا على ذلك حتى قدم النبيّ المدينة ، فذلّت الطائفتان كلتاهما لمقدم رسول الله ، ويومئذٍ لم يظهر ولم يوطئهما عليه وهو في الصلح، فقتلت الذليلة من العزيزة قتيلاً، فأرسلت العزيزة إلى الذليلة: أن ابعثوا لنا بمائة وسق ، فقالت الذليلة : وهل كان في حيين قط ، دينهما واحد ونسبهما واحد وبلدهما واحد ، ديةُ بعضهم نصف دية بعض ؟ إنا إنما أعطيناكم هذا ضمياً منكم لنا وفَرَقاً منكم . فأما إذْ قدم محمد فلا نعطيكم ذلك ، فكادت الحرب تهيج بينهما ، ثم ارتضوا على أن يجعلوا رسول الله بينهم . ثم ذكرت العزيزة فقالت والله ! ما محمد بمعطيكم منهم ضعف ما يعطيهم منهم، ولقد صدقوا ما أعطونا هذا إلا ضيماً منا وقهراً لهم، فدُسّوا إلى محمد من يَخْبُرُ لكم رأيه، إن أعطاكم ما تريدون حكمتوه، وإن لم يعطكم حذرتم فلم تحكموه، فَدَسّوا إلى رسول الله ناساً من المنافين ليخبُروا لهم رأي رسول الله ، فلما جاءوا رسول الله أخبر الله رسوله بأمرهم كلِّه وما أرادوا، فأنزل الله تعالى : ﭽ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ المائدة: ٤١ -إلى قوله - : ﭽ الْفَاسِقُونَ ﭼ ثم قال : فيهما ، والله ! نزلت ، وإياهم عنى الله عز وجلّ.

وروى ابن جرير من طريق أخرى عن ابن عباس قال : إن الآيات في المائدة قوله : ﭽ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ المائدة: ٤٢ -إلى - : ﭽ الْمُقْسِطِينَ ﭼ إنما أنزلت في الدية في بني النضير وقريظة، وذلك أن قتلى بني النضير، وكان لهم شرف يُؤدِّي الدية كاملة، وأن قريظة كانوا يؤدى لهم نصف الدية فتحاكموا في ذلك إلى رسول الله فأنزل الله ذلك فيهم، فحملهم رسول الله على الحق في ذلك، فجعل الدية في ذلك سواء، ورواه أحمد وأبو داود والنسائي بنحوه .

وروى ابن جرير أيضاً عن ابن عباس قال: كانت قريظة والنضير، وكانت النضير أشرف من قريظة، فكان إذا قتل القرظي رجلاً من النضير قُتِل به، وإذا قتل النضيري رجلاً من قريظة، وُدِيَ بمائة وسق من التمر، فلما بُعِثَ رسول الله ، قتل رجلٌ من النضير رجلاً من قريظة، فقالوا: ادفعوا إليه، فقالوا: بيننا وبينكم رسول الله فنزلت : ﭽ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭼ المائدة: ٤٢ ورواه أبو داود والنسائيّ وابن حبان والحاكم في المستدرك بنحوه، وهكذا قال قتادة ومقاتل بن حيان وغير واحد، وقد روى العوفيّ وعليّ بن أبي طلحة الوالبيّ عن ابن عباس: أن هذه الآية نزلت في اليهوديين اللذين زنيا, كما تقدمت الأحاديث, وقد يكون اجتمع هذان السببان في وقت واحد، فنزلت هذه الآيات في ذلك كله, والله أعلم"([[649]](#footnote-649))

وفي نظرة في كلام الرازي نجد أنه لخص الأقوال وما قيل في هذه الآية ورجح في نهاية ذلك كله ما رجحه الإمام ابن جرير الطبري وغيره من أئمة أهل السنة حيث قال:" وذكر المتكلمون والمفسرون أجوبة عن هذه الشبهة الأول: أن هذه الآية نزلت في اليهود فتكون مختصة بهم، وهذا ضعيف لأن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ومنهم من حاول دفع هذا السؤال فقال :

المراد ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﭼ من هؤلاء الذين سبق ذكرهم ﭽ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ وهذا أيضا ضعيف لأن قوله ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﭼ كلام أدخل فيه كلمة (من) في معرض الشرط ، فيكون للعموم. وقول من يقول : المراد ومن لم يحكم بما أنزل اللَّه من الذين سبق ذكرهم فهو زيادة في النص وذلك غير جائز.

الثاني: قال عطاء: هو كفر دون كفر، وقال طاوس: ليس بكفر ينقل عن الملة كمن يكفر باللَّه واليوم الآخر، فكأنهم حملوا الآية على كفر النعمة لا على كفر الدين، وهو أيضاً ضعيف، لأن لفظ الكفر إذا أطلق انصرف إلى الكفر في الدين.

والثالث: قال ابن الأنباري: يجوز أن يكون المعنى: ومن لم يحكم بما أنزل اللَّه فقد فعل فعلا يضاهي أفعال الكفار، ويشبه من أجل ذلك الكافرين، وهذا ضعيف أيضاً لأنه عدول عن الظاهر.

والرابع: قال عبد العزيز بن يحيى الكناني: قوله ﭽ ﮧ ﮨ ﮩ ﭼ صيغة عموم، فقوله ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﭼ معناه من أتى بضد حكم اللَّه تعالى في كل ما أنزل اللَّه ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ ، وهذا حق لأن الكافر هو الذي أتى بضد حكم اللَّه تعالى في كل ما أنزل اللَّه، أما الفاسق فإنه لم يأت بضد حكم اللَّه إلا في القليل، وهو العمل، أما في الاعتقاد والإقرار فهو موافق، وهذا أيضاً ضعيف، لأنه لو كانت هذه الآية وعيدا مخصوصاً بمن خالف حكم اللَّه تعالى في كل ما أنزل اللَّه تعالى لم يتناول هذا الوعيد اليهود بسبب مخالفتهم حكم اللَّه في الرجم، وأجمع المفسرون على أن هذا الوعيد يتناول اليهود بسبب مخالفتهم حكم اللَّه تعالى في واقعة الرجم، فيدل على سقوط هذا الجواب.

والخامس: قال عكرمة: قوله ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﭼ إنما يتناول من أنكر بقلبه وجحد بلسانه، أما من عرف بقلبه كونه حكم اللَّه وأقر بلسانه كونه حكم اللَّه ، إلا أنه أتى بما يضاده فهو حاكم بما أنزل اللَّه تعالى، ولكنه تارك له، فلا يلزم دخوله تحت هذه الآية، وهذا هو الجواب الصحيح واللَّه أعلم"([[650]](#footnote-650)).

إذاً فقد أجاب علماء التفسير بأجوبة كثيرة أجمعوا فيها على أن من حكم بغير ما أنزل الله مستحلاً لذلك أو يرى في ذلك الحكم أنه أفضل وأحكم من حكم الله تعالى فإنه كافر خارج عن ملة الإسلام، وأما من علم أن حكم الله لا يعدله حكم، وأنه في مخالفته لحكم الله تعالى عاصٍ متبع لهواه، فإنه بذلك لا يكفر ولكنه مرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب إن شاء الله عفا عنه برحمته وإن شاء عذبه بعدله.

وقد يرد في عصرنا الحاضر مسألة تكلم فيها العلماء المعاصرون كثيراً، وهي مسألة تحكيم القوانين الوضعية من قبل بعض حكَّام المسلمين.

ولا شك أنه أمرٌ عظيم وخطب جلل، أن تُستبدل أحكامٌ ربانية من لدن حكيم خبير، بأحكام بشرية لا يمكن أن تكون مساوية بل ولا حتى قريبة من أحكام الله تعالى، إذ هو الذي خلق البشر وهو الأدرى بما يُصلِحُ أحوالهم، وقد رأى بعض العلماء ـ رحمهم الله ـ هذا كفراً مخرجاً عن الملة إذ أن ذلك يُعد من قبيل الاستبدال والإعراض، فليس من بدل في حكمٍ أو حكمين كمن استبدل شريعة كاملة وقانوناً وضعه الله تعالى وسنه للبشر بآخر هو من صنع البشر أنفسهم.

ولا يُعتبر هذا موافقاً لرأي الخوارج، بل هي مسألة مستقلة لها زمانها ووقتها، ويقدرها العلماء بقدرها.

يقول الأمين الشنقيطي:" ومن أصرح الأدلة في هذا: أن الله جل وعلا في سورة النساء بين أن من يريدون أن يتحاكموا إلى غير ما شرعه الله يتعجب من زعمهم أنهم مؤمنون، وما ذلك إلا لأن دعواهم الإيمان مع إرادة التحاكم إلى الطاغوت بالغة من الكذب ما يحصل منه العجب; وذلك في قوله تعالى:

**المبحث الثاني: جهود المفسرين في الرد على تأويلات الخوارج بشأن الخروج على الأئمة وتحته مطلبان:**

**المطلب الأول:** ما تأولت في تحريم طاعتهم، والرد عليهم.

**المطلب الثاني:** ما تأولوا في وجوب الخروج عليهم، والرد عليهم.

**مقدمة في المبحث:**

إن مما أجمع عليه العقلاء، وتلقته الفطر السليمة بالقبول، وجود الإمام والحاكم والسلطان، الذي به تهنأ الحياة ، وتنتظم مصالح العباد، ويأمن الناس ، ويستعينون به على إظهار دينهم وطاعة ربهم.

يقول علي بن أبي طالب :" ( لا يصلح الناس إلا أمير بر أو فاجر، قالوا: يا أمير المؤمنين، هذا البر فكيف بالفاجر؟ قال: إن الفاجر يؤمن الله عز وجل به السبل، ويجاهد به العدو، ويجبى به الفيء، وتقام به الحدود، ويحج به البيت، ويعبد الله فيه المسلم آمنا حتى يأتيه أجله )([[651]](#footnote-651))

وعلى هذا أجمعت الأمة قاطبة بما في ذلك الخوارج إلا النجدات منهم وسيأتي تفصيل ذلك.

ومما يدل على عظم أمر السلطان ومكانته في الإسلام، أن الله تعالى أمر بطاعته وعدم الخروج عليه مهما كلف الأمر إلا بشروط معتبرة، وأسس كاملة، يعلمها ويقررها أهل العلم في حينها.

ومما يدل على ذلك قوله تعالى ﭽ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﭼ النساء: ٥٩ فأولوا الأمر في الآية هم الحكام والأمراء، وإن كان العلماء يدخلون في الآية ضمناً، إذ لابد للأمراء من العلماء، فالعلماء عليهم التوجيه والإرشاد، والأمراء عليهم التنفيذ والسياسة.

يقول الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: هم الأمراء والولاة، لصحة الأخبار عن رسول الله بالأمر بطاعة الأئمة والولاة فيما كان لله طاعة، وللمسلمين مصلحة"([[652]](#footnote-652))

والله سبحانه وتعالى أمر بالجماعة ونهى عن الفرقة، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا بإمام يجمع الله به المسلمين.

قال تعالى ﭽ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭼ آل عمران: ١٠٣

وهل يعقل أن يتحقق من الإمام هذا الأمر وهو يأمر ويُعصى، وينهى ولا يُستجاب له، لا شك أن ذلك لن يتحقق إلا بطاعته، وعدم مخالفته، في غير معصية الله تعالى

وهنا أتى التوجيه النبوي بطاعة الأمير والسلطان، ومن ولاه الله شؤون الناس، وحذر من عصيانه أو امتهانه، أو الخروج عليه، لما في ذلك من إحداث الفوضى، وإثارة الفتنة وإراقة الدماء.

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله : (اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي، كأن رأسه زبيبة)([[653]](#footnote-653))

ولا شك أن هذا يدل دلالة واضحة على عِظم الأمر، وشدة المسأولية، بأن يأمر النبي بطاعة الأمير أياً كان جنسه أو لونه أو حتى منزلته في المجتمع، مادام أنه قد نُصِّب تنصيباً شرعياً على الأمة.

وعن ابن عباس يرويه، قال: قال النبي : ( من رأى من أميره شيئاً فكرهه فليصبر، فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً فيموت، إلا مات ميتة جاهلية ([[654]](#footnote-654))

والأحاديث في ذلك كثيرة جداً، كلها توجب طاعة الأمير، وتحذر من مخالفته أو الخروج عليه.

ولكن تلك الطاعة ليست على إطلاقها بل لا بد أن تكون في غير معصية الله تعالى، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق سبحانه.

عن عبد الله عن النبي قال: ( السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة )([[655]](#footnote-655))

وعن علي قال: ( بعث النبي سرية، وأمر عليهم رجلاً من الأنصار، وأمرهم أن يطيعوه، فغضب عليهم، وقال: أليس قد أمر النبي أن تطيعوني؟ قالوا: بلى، قال: قد عزمت عليكم لما جمعتم حطباً، وأوقدتم ناراً، ثم دخلتم فيها، فجمعوا حطباً، فأوقدوا ناراً، فلما هموا بالدخول، فقام ينظر بعضهم إلى بعض، قال بعضهم: إنما تبعنا النبي فراراً من النار أفندخلها؟ فبينما هم كذلك، إذ خمدت النار، وسكن غضبه، فذكر للنبي فقال: لو دخلوها ما خرجوا منها أبداً، إنما الطاعة في المعروف)([[656]](#footnote-656))

وليس الأمر بطاعتهم فحسب، بل يتعدى إلى النصح لهم، والأخذ بأيديهم إلى الخير والهدى.

يقول النبي : (الدين النصيحة قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)([[657]](#footnote-657))

أقول: والأمر في ذلك معلوم، ولسنا بصدد الكلام عن أحكام الإمامة وما يتعلق بها، وإنما أردنا أن نبين معتقد الخوارج في ذلك.

**حكم الإمامة عند الخوارج:**

الخوارج جميعاً يرون أنه لا بد من إمام يسيرون تحت رايته، ويقاتلون معه، على ما يرون ويعتقدون، ولم يخالف منهم أحد في ذلك إلا ما كان من النجدات، فإنهم يرون الاستغناء عن الإمام وعدم الحاجة إليه، إذا عرف كل واحد منهم ما له وما عليه من الحق.

يقول ابن حزم:" اتفق جميع أهل السنة وجميع المرجئة وجميع الشيعة وجميع الخوارج على وجوب الإمامة، وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيهم أحكام الله ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول الله حاشا النجدات من الخوارج، فإنهم قالوا لا يلزم الناس فرض الإمامة وإنما عليهم أن يشاطوا الحق بينهم وهذه فرقة ما نرى بقي منهم أحد وهم المنسوبون إلى نجدة بن عمير الحنفي القائم باليمامة"([[658]](#footnote-658))

ويقول أبو الحسن الأشعري:" وحكى زرقان عن النجدات أنهم يقولون أنهم لا يحتاجون إلى إمام وإنما عليهم أن يعلموا كتاب الله سبحانه فيما بينهم"([[659]](#footnote-659)).

ويقول الشهرستاني عن النجدات رواية عن الكعبي:" وأجمعت النجدات على أنه لا حاجة للناس إلى إمام قط، وإنما عليهم أن يتناصفوا فيما بينهم، فإن هم رأوا أن ذلك لا يتم إلا بإمام يحملهم عليه فأقاموه، جاز"([[660]](#footnote-660)).

وفي الحقيقة أنه لا يثبت عن أحد من الخوارج أن لا حاجة لإمام يقود الأمة، إلا ما حكي عن النجدات، وقولهم ساقط بإجماع الأمة وبالأدلة من الكتاب والسنة والعقل السليم.

يقول ابن حزم بعد أن ساق معتقد النجدات في الإمامة:" وقول هذه الفرقة ساقط يكفي من الرد عليه وإبطاله إجماع كل من ذكرنا على بطلانه والقرآن والسنة قد ورد بإيجاب الإمام من ذلك قول الله تعالى ﭽ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﭼ مع أحاديث كثيرة صحاح في طاعة الأئمة وإيجاب الإمامة وأيضا فإن الله عز وجل يقول ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ البقرة: ٢٨٦ فوجب اليقين بأن الله تعالى لا يكلف الناس ما ليس في بنيتهم واحتمالهم، وقد علمنا بضرورة العقل وبديهته، أن قيام الناس بما أوجبه الله تعالى من الأحكام عليهم، في الأموال والجنايات، والدماء والنكاح والطلاق، وسائر الأحكام كلها، ومنع الظالم، وإنصاف المظلوم، وأخ القصاص على تباعد أقطارهم وشواغلهم، واختلاف آرائهم وامتناع من تحرى في كل ذلك ممتنع غير ممكن، إذ قد يريد واحد أو جماعة أن يحكم عليهم إنسان، ويريد آخر أو جماعة أخرى أن لا يحكم عليهم، إما لأنها ترى في اجتهادها خلاف ما رأى هؤلاء، وإما خلافاً مجرداً عليهم، وهذا الذي لا بد منه ضرورة**"([[661]](#footnote-661))**

**ما تأولوا في تحريم طاعتهم:**

الخوارج يرون أن الإمام هو المثل الأعلى، والقدوة المثلى، ولابد أن يكون متصفاً بالصفات الكاملة قولاً وفعلاً، فخطأه ليس كخطأ بقية الرعية، فإن أخطأ وجبت محاسبته، ولا يلزم طاعته، بل ويجب الخروج عليه، فإما أن يتوب ويستقيم، وإما أن يُعزل ويُقال من منصبه ولو أدى ذلك إلى قتله.

ولا يُتعجب هذا من أقوام يرون كفر الإمام سبباً في كفر رعيته، فإذا كفر الإمام وهو بالمشرق كفرت رعيته بالمغرب.

كما هو اعتقاد العوفية من الخوارج، يقول الأشعري:" وكلا الفريقين من العوفية يقولون: إذا كفر الإمام فقد كفرت الرعية الغائب منهم والشاهد"([[662]](#footnote-662)).

بل ومن غرائبهم ما نقله الملطي حاكياً عن رئيس البيهسية من الخوارج زعم:" أن حكم الإمام بالكوفة حكماً يستحق به الكفر، ففي تلك الساعة يكفر من كان في حكم ذلك الإمام بخراسان والأندلس، وعلى الإمام إذا أبصر كفره فتاب منه، أرسل إلى أهل حكمه كلهم يستتيبهم من الكفر وإن لم يشعروا به، فإن أبى أن يتوب منه، وقال مالي أن أتوب مما لا شك فيه، ولم أعلم به، ضربت عنقه"([[663]](#footnote-663))

ولذلك نرى أن هذه الفرق قد اندثرت ولم يبقى منها، إلا الشتات النادر، فهم كما أخبر النبي (كلما قطع منهم قرن نبت غيره) وذلك لكثرة خروجهم على أئمتهم، وفوضويتهم، وتسرعهم مع جهلٍ مطبق.

ولما كانت الإباضية أكثر رويَّةً منهم، كتب الله لهذه الفرقة أن تبقى وتساير بقية الفرق، فهم ليسوا كبقية الخوارج يرون الخروج على أي حال، ودون تعقلٍ أو تفكير، بل يرون الجواز، مع النظر في العواقب والمآلات، وذلك في أصح ما ثبت عن أئمتهم إذا أردنا الإنصاف معهم.

يقول الوارجلاني:" ونجيز الخروج عليهم ـ يعني: أئمة الجور ـ والكون معهم، فإن خرجنا عليهم قاتلناهم حتى نزيل ظلمهم على العباد والبلاد، وإن لم نخرج عليهم ورضينا بالكون معهم وتحتهم فجائز لنا"([[664]](#footnote-664))

ويقول ابن أطفيش:" ونحن بعد لا نقول بالخروج على سلاطين الجور الموحدين ومن نسب إلينا وجوب الخروج فقد جهل مذهبنا"([[665]](#footnote-665))

ويقول علي يحيى معمر:" يجب على الأمة المسلمة أن تقيم دولة عادلة فإذا كانت الدولة القائمة جائرة جاز البقاء تحت حكمها وتجب طاعتها في جميع ما لا يخالف أحكام الإسلام، على أنه ينبغي للمسلمين أن لا يستنيموا على الظلم وإنما ينبغي لهم أن يحاولوا تغيير الحكم إذا كان ذلك لا يسبب في إحداث أضرار جسيمة بالأمة"([[666]](#footnote-666))

إذاً فالخوارج لا يرون طاعة أئمة الجور، ومن ثمَّ هم يوجبون الخروج عليهم مستدلين بأدلة لا تعدوا أن تكون شبهات، أثاروا بها الفتن في أمة الإسلام، وعليها أشهروا السيوف، واستحلوا الدم الحرام.

ومن أعظم ما استدل به الخوارج في نظرهم قوله تعالى ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ المائدة: ٤٤

ومن ذلك قوله تعالى ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﭼ آل عمران: ١٠٤

ومن تلك الشبهات ما فهموه من قوله تعالى ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ الأنعام: ١٢١

قالوا: فطاعة أئمة الجور مفضية إلى الشرك بنص القرآن.

ومن ذلك أيضاً ما ورد من إيجاب الخروج عليهم، فلا يمكن أن يحل الخروج عليهم ومقاتلتهم، مع بقاء وجوب طاعتهم.

قال تعالى ﭽ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﭼ التوبة: ١٢

والخوارج يرون أن مرتكب الكبيرة كافر، فوجب الخروج عليه.

وقال سبحانه ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰﮱ ﯓ ﯔ ﯕﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ البقرة: ١٢٤

والعهد هو الإمامة، والظالم لا يكون إماماً والفاسق ظالم، فلا تصح إمامته فوجب عزله.

**الرد عليهم من كلام أئمة التفسير:**

أما بالنسبة للآية الأولى وهي قوله تعالىﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ

فقد عرضنا كلام علماء التفسير في ذلك مفصلاً([[667]](#footnote-667)) ، وأن ما ورد عن السلف ـ رحمهم الله ـ في ذلك هو مخالف تماماً لفهم الخوارج من الآية.

فالكفر في الآية ليس على إطلاقه وإنما فيه تفصيل:

فمن حكم بغير ما أنزل الله مستحلاً لذلك، غير جاهلٍ ولا مكرهٍ ولا مُتأولٍ فلا شك في كفره وخروجه عن الملة، وقلَّ من يفعل ذلك من حكّام المسلمين.

وأما إن كان يعلم أنه مخطيء في ذلك ومتبع لهواه، فهو كبيرة من كبائر الذنوب، وكفر دون كفر، لا يَخرُجُ به من ملة الإسلام، وهذا الذي عليه ابن عباس وغيره من سلف الأمة([[668]](#footnote-668)).

وأما قوله تعالى في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﭼ

فهذه الآية أصلٌ عظيم في فرضية وشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يُماري في ذلك مسلم، ولا يُجادل فيه مؤمن.

يقول ابن عطية:" قال أهل العلم: وفرض الله بهذه الآية، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو من فروض الكفاية إذا قام به قائم سقط عن الغير، وللزوم الأمر بالمعروف شروط، منها أن يكون بمعروف لا بتخرق"([[669]](#footnote-669))

ويقول القرطبي في قوله تعالى ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ التوبة: ٧١:" فجعل تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرقاً بين المؤمنين والمنافقين، فدل على أن أخص أوصاف المؤمن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"([[670]](#footnote-670))

وقال أبو حيان:" وظاهر هذا الأمر الفرضية، فالجمهور على أنه فرض كفاية، فإذا قام به بعض سقط عن الباقين، وذهب جماعة، من العلماء إلى أنه فرض عين، فيتعين على كل مسلم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متى قدر على ذلك وتمكن منه"([[671]](#footnote-671)).

ويقول ابن كثير:" والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه، كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله : ( من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)([[672]](#footnote-672)). وفي رواية: (وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل) وروى الإمام أحمد: عن حذيفة بن اليمان، أن النبي قال: ( والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم)([[673]](#footnote-673)).

ثم قال:" والأحاديث في هذا الباب كثيرة مع الآيات الكريمة كما سيأتي تفسيرها في أماكنها"([[674]](#footnote-674)).

ويقول الشوكاني:" وفي الآية دليل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووجوبه ثابت بالكتاب والسنة، وهو من أعظم واجبات الشريعة المطهرة، وأصل عظيم من أصولها، وركن مشيد من أركانها، وبه يكمل نظامها ويرتفع سنامها"([[675]](#footnote-675)).

وقد اتفقت على ذلك جميع الفرق، يقول ابن تيمية:" والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على الكفاية باتفاق المسلمين، وكل واحد من الأمة مخاطب بقدر قدرته، وهو من أعظم العبادات"([[676]](#footnote-676)).

ولكن الخوارج لم يحسنوا تطبيق هذه الشعيرة، وغالوا فيها أيما غلو، حتى ولو كان لأدنى سبب، حتى أنهم من سخافة عقول بعضهم أنهم جوزوا الخروج على الإمام على تركه السنن دون الواجبات.

يقول الشهرستاني:" ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة: حقاً واجبــاً"([[677]](#footnote-677)).

ولقد ذكر من غرائب صنيعهم ما يدل على طيشهم، وعدم حلمهم مع جهل مطبق، نسأل الله العافية والفقه في الدين.

ولو تأملنا في سيرة قادتهم وزعمائهم نجدهم قد حملوهم على هذا الأمر وأورثوهم هذا الصنيع، يقول أول رئيس لهم وهو عبد الله بن وهب الراسبي مخاطباً أتباعه وحاثاً لهم على الخروج:" ما ينبغي لقوم يؤمنون بالرحمن وينسبون إلى حكم القرآن أن تكون هذه الدنيا التي إيثارها عناء، آثر عندهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقول بالحق فاخرجوا بنا"([[678]](#footnote-678))

والخوارج لا شك أنهم لا يُلامون في مناداتهم بهذه الشعيرة، ولكن يُلامون في اندفاعهم وتهورهم، وعدم نظرهم في مآلات الأمور.

ولذلك نجد علماء التفسير من السلف ـ رحمهم الله ـ لم يهملوا هذا الأمر بل كان ديدنهم التحذير والتنبيه عند إيراد شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من التهور والاندفاع والانسياق خلف العاطفة.

ولعلَّ هذا الأمر هو الذي ساق كثيراً من الشباب في هذا الزمان، وقادهم إلى التفجير والقتل الجماعي.

والآية وإن كانت مطلقة في لفظها إلا أن هناك بعض الآيات وضحت المنهج والطريقة التي ينبغي أن يتبعها من أراد أن يقوم بهذا العمل الجليل ألا وهو شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فأول ذلك: قوله تعـــالى ﭽ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ النحل: ١٢٥ يقول الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﭽ ﮦ ﭼ يا محمد من أرسلك إليه ربك بالدعاء إلى طاعته ﭽ ﮧ ﮨ ﮩ ﭼ يقول: إلى شريعة ربك التي شرعها لخلقه، وهو الإسلام ﭽ ﮪ ﭼ يقول بوحي الله الذي يوحيه إليك وكتابه الذي ينزله عليك ﭽ ﮫ ﮬ ﭼ يقول: وبالعبر الجميلة التي جعلها الله حجة عليهم في كتابه، وذكرهم بها في تنزيله، كالتي عدد عليهم في هذه السورة من حججه، وذكرهم فيها ما ذكرهم من آلائه ﭽ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ يقول: وخاصمهم بالخصومة التي هي أحسن من غيرها أن تصفح عما نالوا به عرضك من الأذى، ولا تعصه في القيام بالواجب عليك من تبليغهم رسالة ربك"([[679]](#footnote-679)).

ويقول الرازي:" قوله: ﭽ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ ولا شك أن المراد بقوله بالحكمة أي بالبرهان والحجة، فكانت الدعوة بالحجة والبرهان إلى الله تعالى مأموراً بها"([[680]](#footnote-680))

ويقول القرطبي:" هذه الآية نزلت بمكة في وقت الأمر بمهادنة قريش، وأمره أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطف ولين دون مخاشنة وتعنيف، وهكذا ينبغي أن يوعظ المسلمون إلى يوم القيامة. فهي محكمة في جهة العصاة من الموحدين، ومنسوخة بالقتال في حق الكافرين"([[681]](#footnote-681)).

ويقول البيضاوي:" ادع من بعثت إليهم، إلى سبيل ربك إلى الإسلام، بالحكمة بالمقالة المحكمة، وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة. والموعظة الحسنة الخطابات المقنعة والعبر النافعة، فالأولى لدعوة خواص الأمة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم. وجادلهم وجادل معانديهم. بالتي هي أحسن بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين وإيثار الوجه الأيسر، والمقدمات التي هي أشهر فإن ذلك أنفع في تسكين لهبهم وتبيين شغبهم"([[682]](#footnote-682)).

ثانياً: العلم والبصيرة، واقتفاء النبي قال تعالى ﭽ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ يوسف: ١٠٨

ﭽ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ هذا أمري وسنتي ومنهاجي([[683]](#footnote-683)).

ﭽ ﮇ ﮈ ﭼ على يقين، والبصيرة: هي المعرفة التي يميز بها بين الحق والباطل، أنا ومن اتبعني، أي: ومن آمن بي وصدقني أيضا يدعو إلى الله([[684]](#footnote-684))

وقال الشوكاني:" أي على حجة واضحة، والبصيرة: المعرفة التي يتميز بها الحق من الباطل"([[685]](#footnote-685))

ثالثاً: التفقه في الدين، والتضلع من العلم، فبه يستطيع المسلم أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وإلا كان لقمة سائغة وغنيمة باردة لأهل الأهواء والبدع، وكما يُقال : فإن فاقد الشيء لا يعطيه.

قال تعالى ﭽ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﭼ التوبة: ١٢٢

قال القرطبي:" هذه الآية أصل في وجوب طلب العلم، لأن المعنى: ﭽ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫﯬ ﭼ والنبي مقيم لا ينفر فيتركوه وحده ﭽ ﯭ ﯮ ﭼ بعد ما علموا أن النفير لا يسع جميعهم ﭽ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﭼ وتبقى بقيتها مع النبي ليتحملوا عنه الدين ويتفقهوا، فإذا رجع النافرون إليهم أخبروهم بما سمعوا وعلموه، وفي هذا إيجاب التفقه في الكتاب والسنة، وأنه على الكفاية دون الأعيان، ويدل عليه أيضاً قوله تعالى ﭽ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ النحل: ٤٣ فدخل في هذا من لا يعلم الكتاب والسنن"([[686]](#footnote-686)).

رابعاً: الاستطاعة، فالله سبحانه وتعالى رحيم بعباده، ولنا في رسول الله أسوة حسنة، فقد مرت دعوته بحالين مختلفين:

حال الضعف والخوف.

وحال القوة والغلبة، فكان حكيماً، رحيماً بالمؤمنين، لم يَرْمِ بهم في الهلكات دون تفكير ولا روية كما هو حال الخوارج في قديم عهدهم، ولذلك بُتِرَت ساقهم، وكسرت شوكتهم، وهكذا هم في كل زمان، ما تجتمع منهم شرذمة، ولا تنبت لهم نابتة، إلا ويُلقي بهم أتباعهم في مواطن الردى، ومستنقعات الموت، ظناً منهم أنهم بهؤلاء المساكين سيهزمون دولاً وأمم، فبئست تربيتهم، وبئست توليتهم وقيادتهم.

والأصل في الاستطاعة هو قول الله تعالى ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜﯝ ﭼ البقرة: ٢٨٦ ويقول سبحانه ﭽ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ التغابن: ١٦

واختلف في قوله ﭽ ﯛ ﯜﯝ ﭼ فقيل هو الوسوسة وحديث النفس.

والصحيح أنه عام في كل ما لا يستطيع الإنسان فعله، ولا يسعه ذلك.

يقول الطبري:" يعني بذلك جل ثناؤه: لا يكلف الله نفساً فيتعبدها إلا بما يسعها، فلا يضيق عليها ولا يجهدها"([[687]](#footnote-687)).

ويقول البغوي:" وسئل سفيان بن عيينة عن قوله عز وجل ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜﯝ ﭼ قال: إلا يسرها، ولم يكلفها فوق طاقتها، وهذا قول حسن، لأن الوسع ما دون الطاقة"([[688]](#footnote-688))

ويقول ابن عطية:" قوله تعالى: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜﯝ ﭼ خبر جزم نص، على أنه لا يكلف العباد من وقت نزول الآية عبادة من أعمال القلوب والجوارح إلا وهي في وسع المكلف، وفي مقتضى إدراكه وبنيته"([[689]](#footnote-689))

ولا شك ولا ريب أن الزجَّ بالشباب من أهل الخير والديانة، في وجوه السلاطين من أهل الجور والظلم، وتعريضهم للهلكة، ومقابلة الأسلحة الفتاكة والمتطورة، بأناس عُزَّل، أو هم أشباه العُزَّل من السلاح، في محاولةٍ لتغيير منكر، أو إحياء سنة، لا شك أنه إبادةٌ لهم وقتلٌ ودمار، وأن ذلك فوق الاستطاعة والقدرة.

ثم هناك أمرٌ آخر تميَّز به أهل السنة على غيرهم من أهل البدع والضلال في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا كان مع السلاطين، والأمراء والحكام، ألا وهو المناصحة في السر، والتأدب والتلطف معهم، فإذا كان هذا أمرٌ واجب ومطلوب في حق جميع المسلمين، ففي حقهم أوجب وآكد.

لأن ذلك أبقى لهيبة السلطان، وأبعد عن الاستخفاف به، فمتى استخف الناس بالسلطان، وضاعت هيبته، وتجرأ الناس عليه، تجرؤوا على الحرمات وتهاونوا بالحقوق والحدود، وفي هذا ذهابٌ للحكمة التي من أجلها أوجب الله الإمامة، ولو تأملنا وصية الله سبحانه وتعالى إلى نبيين من أنبيائه عليهم الصلاة والسلام وهما موسى وهارون عندما بعثهما إلى حاكم كافر، ادعى أنه رب لهذا الكون وأنه إله للناس، وهو فرعون، والله تعالى يعلم أن فرعون سوف يموت على كفره، وعلى الرغم من ذلك طلب منهما أن ينهياه عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة، فقال سبحانه وتعالى ﭽ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﭼ طه: ٤٣ - ٤٤

فلننظر، ولنستفيد من القرآن الكريم أسلوب الدعوة، والحكمة فيها، فإذا كانت هذه هي كيفية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الحاكم الكافر، فكيف تكون إذاً مع الحاكم المسلم؟ إنها لا شك يجب أن تكون أكثر ليناً في الكلام، مع استخدام حسن الأدب في الحوار.

يقول النبي (من أراد أن ينصح لسلطان بأمر فلا يُبْدِ لَهُ علانية، ولكن ليأخذ بيده فيخلو به، فإن قبل منه فذاك، وإلا قد أدى الذي عليه له )([[690]](#footnote-690))

ولما اجتمع فقهاء بغداد في ولاية الخليفة الواثق إلى أحمد بن حنبل، وقالوا له: إن الأمر قد تفاقم وفشا، يعنون إظهار القول بخلق القرآن، وغير ذلك، وقالوا: لا نرضى بإمرته ولا سلطانه، فناظرهم في ذلك، وقال: عليكم بالإنكار بقلوبكم، ولا تخلعوا يداً من طاعة، ولا تشقوا عصا المسلمين، ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين معكم، وانظروا في عاقبة أمركم، واصبروا حتى يستريح بر، أو يستراح من فاجر، وقال: ليس هذا صواباً"([[691]](#footnote-691))

ويقول ابن الجوزي - رحمه الله - :" من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع السلاطين، الوعظ والتعريف، فإما تخشين القول نحو: يا ظالم، يا من لا يخاف الله، فإن كان ذلك يحرك فتنة يتعدى شرها إلى الغير، لم يجز، وإن لم يخف على نفسه، فهو جائز عند جميع العلماء، والذي أراه المنع من ذلك، لأن المقصود إزالة المنكر، وحمل السلطان بالانبساط عليه على فعل المنكر أكثر من فعل المنكر الذي قصد إزالته"([[692]](#footnote-692))

وبهذا يتبين لنا أن الأسلوب الأمثل في تغيير المنكر هو اتباع الحكمة في ذلك، وإنزال الناس منازلهم، فالإنكار على الأب، من الابن، ليس كبقية الناس وكذا السلطان والأب في بيته، ومن يقل باتحاد الطريقة والمسلك فقد ضل ضلالاً مبينا.

ومن تلك الشبهات التي ضلَّ بها الخوارج ما فهموه من قوله تعالى ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ الأنعام: ١٢١

قالوا: فطاعة أئمة الجور مفضية إلى الشرك بنص القرآن.

ومن تأمل كلام أئمة التفسير وجد أن هذه الآية ليس لها علاقة إطلاقاً بطاعة الحاكم والسلطان، بل هي في المشركين وأتباعهم، وهو الأظهر لدلالة السياق، وقيل في اليهود، والمقصود: طاعتهم في إباحتهم ما حرم الله، أو تحريمهم ما أحل الله.

ولا يشك مسلم في أن من أطاع أحداً في إباحة ما حرم الله أو تحريم ما أباح الله أنه مشرك، خارج عن ملة الإسلام.

يقول الطبري:" وأما قوله: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ فإنه يعني: وإن أطعتموهم في أكل الميتة وما حرم عليكم ربكم ... عن ابن عباس: ﭽ ﮒ ﮓ ﭼ يقول: وإن أطعتموهم في أكل ما نهيتكم عنه.

وعن السدي: ﭽ ﮒ ﮓ ﭼ فأكلتم الميتة.

وأما قوله: ﭽ ﮔ ﮕ ﭼ يعني: إنكم إذاً مثلهم، إذ كان هؤلاء يأكلون الميتة استحلالاً، فإذا أنتم أكلتموها كذلك، فقد صرتم مثلهم مشركين"([[693]](#footnote-693)).

ويقول البغوي:" قوله: ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ الأنعام: ١٢١ أراد أن الشياطين ليوسوسون إلى أوليائهم من المشركين ليجادلوكم، وذلك أن المشركين قالوا: يا محمد أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها؟ فقال: الله قتلها، قالوا: أفتزعم أن ما قتلت أنت وأصحابك حلال، وما قتله الكلب والصقر حلال، وما قتله الله حرام؟ فأنزل الله هذه الآية، ﭽ ﮒ ﮓ ﭼ في أكل الميتة، ﭽ ﮔ ﮕ ﭼ قال الزجاج: وفيه دليل على أن من أحل شيئاً مما حرم الله، أو حرم ما أحل الله فهو مشرك"([[694]](#footnote-694)).

وقل مثل ذلك في الآية الأخرى وهي قوله تعالى ﭽ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﭼ التوبة: ١٢

وأما استدلالهم بكلام الله تعالى لإبراهيم ـ عليه السلام ـ في قوله ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰﮱ ﯓ ﯔ ﯕﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ البقرة: ١٢٤

وقولهم أن العهد هو الإمامة، والظالم لا يكون إماماً والفاسق ظالم، فلا تصح إمامته فوجب عزله.

فأقول: أن إمامة إبراهيم عليه السلام ليست إمامة سلطة وإمرة، بل هي إمامة دينٍ وتقوى وصلاح واقتداء، وهناك فرق كبير بين الإمامتين.

يقول الطبري:" وإنما أراد جل ثناؤه بقوله لإبراهيم ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰﮱ ﭼ إني مصيرك تؤم من بعدك من أهل الإيمان بي وبرسلي، تتقدمهم أنت، ويتبعون هديك، ويستنون بسنتك التي تعمل بها، بأمري إياك ووحيي إليك"([[695]](#footnote-695)).

ويقول البغوي:" ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰﮱ ﭼ: يقتدى بك في الخير قال إبراهيم: ﭽ ﯔ ﯕ ﭼ أي: ومن أولادي أيضاً فاجعل أئمة يقتدى بهم في الخير قال الله تعالى: ﭽ ﯘ ﯙ ﭼ : لا يصيب عهدي الظالمين"([[696]](#footnote-696))

ويقول القرطبي:" ﭽ ﮮ ﮯ ﮰﮱ ﭼ الإمام: القدوة، ومنه قيل لخيط البناء: إمام، وللطريق: إمام، لأنه يؤم فيه للمسالك، أي يقصد.

فالمعنى: جعلناك للناس إماماً يأتمون بك في هذه الخصال، ويقتدي بك الصالحون، فجعله الله تعالى إماماً لأهل طاعته، فلذلك اجتمعت الأمم على الدعوى فيه - والله أعلم- أنه كان حنيفاً"([[697]](#footnote-697))

فالمعنى يكون قد اتضح من أقوال علماء السلف ـ رحمهم الله ـ ويؤيده مارواه عبد بن حميد عن ابن عباس قال: ﭽ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰﮱ ﭼ يقتدى بدينك، وهديك، وسنتك قال: ﭽ ﯔ ﯕ ﭼ إماماً لغير ذريتي ﭽ ﮬ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ أن يقتدى بدينهم، وهديهم، وسنتهم)([[698]](#footnote-698)).

وإنما أوردته ليتضح معنى العهد فيما يأتي.

وأما قوله تعالى ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛﭼ

فقد اختلف أئمة التفسير في العهد اختلافاً كثيراً يُسقط ما استدل به من زعم أن العهد هو إمامة السلطة والإمرة وملخص ذلك:ـ

قيل أن العهد في الآية هو النبوة، قاله السدي، وقيل: عهدي: رحمتي، وبه قال عطاء بن أبي رباح، وقيل: الإمامة، قاله مجاهد، وقيل: أراد بالعهد الأمان من النار، وبالظالم المشرك، وبه قال أبو عبيد وسعيد بن جبير، وقيل: الإيمان، وقيل: العهد الدين: دين الله تعالى قاله الربيع والضحاك([[699]](#footnote-699))، وكذا روي عن أبي العالية، وعطاء، ومقاتل بن حيان([[700]](#footnote-700)) وقيل: الرحمة، قاله عطاء([[701]](#footnote-701)).

وأولى الأقوال بذلك ما رجحه الإمام الطبري، وقد عُلِم من إيراد ابن كثير لهذا القول في تفسيره دون غيره ترجيحه له أيضاً، وما سقناه من الأثر في ذلك عن ابن عباس يؤيده أيضاً.

يقول الشنقيطي:" فقوله: ﭽ ﯔ ﯕ ﭼ أي: واجعل من ذريتي أئمة يقتدى بهم في الخير، فأجابه الله بقوله: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛﭼ أي: لا ينال الظالمين عهدي بالإمامة، على الأصوب"([[702]](#footnote-702)).

إذاً فالعهد يُقصد به عهد الإمامة، إمامة الدين، والتقوى والصلاح والاقتداء.

يقول السعدي:" ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛﭼ أي: لا ينال الإمامة في الدين، من ظلم نفسه وضرها، وحط قدرها، لمنافاة الظلم لهذا المقام، فإنه مقام آلته الصبر واليقين، ونتيجته أن يكون صاحبه على جانب عظيم من الإيمان والأعمال الصالحة، والأخلاق الجميلة، والشمائل السديدة، والمحبة التامة، والخشية والإنابة، فأين الظلم وهذا المقام؟"([[703]](#footnote-703))

فهل يا تُرى يبقى بعد هذا من دليلٍ يستدل به من سلَّ سيفه على رقاب المؤمنين، يقتل برهم وفاجرهم، ويفرق جمعهم، ويشتت أمرهم، يزعم بذلك أنه يريد أن يبني أمة الإسلام من جديد.

ولقد رأيت من ينادي بالخروج على السلاطين الذين يُرجى منهم الخير وبعضهم مطبقين لأحكام الله تعالى، يؤدون الصلاة ويأمرون بها، وينادون بالدين ويفعلون الخير، بحجة أن عندهم معاصي وذنوب، وأي الناس يخلوا من هذا الأمر، بل ويستدلون على مناداتهم تلك بما ذكرناه من الآيات والتي ربما يكون الاختلاف في تأويلها وصل إلى أقوال عديدة، فأي فقهٍ في الدين، وأي حُجَّةٍ يُقابلون بها رب العالمين.

اللهم اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء على صراط مستقيم.

1. (1) تفسير الطبري 7/94 القرطبي 4/9، ورواه الترمذي 5/226 وقال: حديث حسن، ورواه الطبراني في الكبير 8/268، وأورده الهيثمي في الزوائد وقال: رجاله ثقات، انظر مجمع الزوائد باب منه في الخوارج 6/350 وقال الألباني ـ رحمه الله ـ: حديث حسن صحيح، انظر صحيح وضعيف الترمذي 6/500 [↑](#footnote-ref-1)
2. (2) أحمد في مسنده 5/250 وابن ماجه 1/61 والترمذي 5/226 وابن أبي شيبة 15/304 وصححه الألباني في صحيح وضعيف ابن ماجه 1/245 . [↑](#footnote-ref-2)
3. (3) رواه ابن ماجه 1/59 وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة 4/394 [↑](#footnote-ref-3)
4. [↑](#footnote-ref-4)
5. ()أي حادوا به ، وأداروه انظر لسان العرب 7/88 [↑](#footnote-ref-5)
6. [↑](#footnote-ref-6)
7. ()تفسير الطبري 6/188 القرطبي 4/13 والصنعاني 1/115. [↑](#footnote-ref-7)
8. [↑](#footnote-ref-8)
9. () كما قال النبي : (ينشأ نشء يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما خرج قرن قطع قال ابن عمر سمعت رسول الله يقول: كلما خرج قرن قطع أكثر من عشرين مرة حتى يخرج في عراضهم الدجال)أخرجه ابن ماجه 1/61 باب ذكر الخوارج، والإمام أحمد في مسنده 2/84، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف ابن ماجه 1/246 . [↑](#footnote-ref-9)
10. [↑](#footnote-ref-10)
11. () تاج العروس 5/517 [↑](#footnote-ref-11)
12. (2) أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر، من أئمة العلم والتاريخ، أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة، ولع بالأدب والشعر، ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت له شهرة فقصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره، قال السخاوي: (انتشرت مصنفاته في حياته وتهادتها الملوك وكتبها الأكابر) وكان فصيح اللسان، راوية للشعر، عارفا بأيام المتقدمين وأخبار المتأخرين، صبيح الوجه. وولي قضاء مصر مرات ثم اعتزل. أما تصانيفه فكثيرة جليلة، توفي سنة 852هـ سير أعلام النبلاء 29/278 وانظر الأعلام للزركلي 1/ 178 [↑](#footnote-ref-12)
13. (3) الفتح 12/283 [↑](#footnote-ref-13)
14. [↑](#footnote-ref-14)
15. () هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد، أبو الفتح الشهرستاني، من فلاسفة الإسلام، كان إماما في علم الكلام وأديان الأمم ومذاهب الفلاسفة. يلقب بالأفضل، ولد في شهرستان (بين نيسابور وخوارزم) وانتقل إلى بغداد سنة 510 هـ فأقام ثلاث سنين، وعاد إلى بلده. وتوفي بها.

    قال ياقوت في وصفه: (الفيلسوف المتكلم، صاحب التصانيف، كان وافر الفضل، كامل العقل، ولولا تخبطه في الاعتقاد ومبالغته في نصرة مذاهب الفلاسفة والذب عنهم لكان هو الإمام.) من كتبه (الملل والنحل - ط) ثلاثة أجزاء، و (نهاية الإقدام في علم الكلام - خ) و (الإرشاد إلى عقائد العباد) وغيرها، توفي سنة 548 هـ انظر الأعلام للزركلي 6/215 [↑](#footnote-ref-15)
16. (2) الملل والنحل 1/113 [↑](#footnote-ref-16)
17. [↑](#footnote-ref-17)
18. [↑](#footnote-ref-18)
19. () العلامة، إمام المتكلمين، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى ابن أمير البصرة بلال بن أبي بردة ابن صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبي موسى عبد الله بن قيس بن حضار الأشعري، اليماني، البصري، مولده:سنة ستين ومائتين، وقيل:بل ولد سنة سبعين، لما برع في معرفة الاعتزال، كرهه وتبرأ منه، وصعد للناس، فتاب إلى الله تعالى منه، ثم أخذ يرد على المعتزلة، ويهتك عوارهم، قال الفقيه أبو بكر الصيرفي: كانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم، حتى نشأ الأشعري فحجرهم في أقماع السمسم، وعن ابن الباقلاني قال:أفضل أحوالي أن أفهم كلام الأشعري، قلت:رأيت لأبي الحسن أربعة تواليف في الأصول يذكر فيها قواعد مذهب السلف في الصفات، وقال فيها:تمر كما جاءت، ثم قال:وبذلك أقول، وبه أدين، ولا تؤول، مات ببغداد سنة أربع وعشرين وثلاث مائة انظر سير أعلام النبلاء 29/82 والأعلام للزركلي 4/263 [↑](#footnote-ref-19)
20. () مقالات الإسلاميين 1/5 ـ 128 [↑](#footnote-ref-20)
21. (3) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي الأصل، ثم الأندلسي القرطبي اليزيدي قال أبو حامد الغزالي:وجدت في أسماء الله تعالى كتابا ألفه أبو محمد بن حزم الأندلسي يدل على عظم حفظه وسيلان ذهنه، وقال الإمام أبو القاسم صاعد بن أحمد:كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام، وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان، ووفور حظه من البلاغة والشعر، والمعرفة بالسير والأخبار؛ أخبرني ابنه الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه أبي محمد من تواليفه أربع مائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة، وقال أبو عبد الله الحميدي: كان ابن حزم حافظا للحديث وفقهه، مستنبطا للأحكام من الكتاب والسنة، متفننا في علوم جمة، عاملا بعلمه، ما رأينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء، وسرعة الحفظ، وكرم النفس والتدين، وكان له في الأدب والشعر نفس واسع، وباع طويل، وما رأيت من يقول الشعر على البديه أسرع منه، توفي عشية يوم الأحد لليلتين بقيتا من شعبان، سنة ست وخمسين وأربع مائة، فكان عمره إحدى وسبعين سنة وأشهرا - رحمه الله - انظر سير أعلام النبلاء 35/166 البداية والنهاية 12/112 والأعلام للزركلي 4/254 [↑](#footnote-ref-21)
22. () ونص كلامه ـ رحمه الله ـ: (ومن وافق الخوارج من إنكار التحكيم وتكفير أصحاب الكبائر والقول بالخروج على أئمة الجور وأن أصحاب الكبائر مخلدون في النار وأن الإمامة جائزة في غير قريش فهو خارجي وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون خالفهم فيما ذكرنا فليس خارجيا) الفصل في الملل 2/90 [↑](#footnote-ref-22)
23. (2) هم أتباع عبد الله بن أباض التميمي ، الذي خرج أيام مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، قال: إن مخالفينا من أصل القبلة كفار غير مشركين ، وأباح مناكحتهم، وموارثتهم، وأباح غنيمة أموالهم من السلاح، والكراع عند الحرب لا غير، وحرّم قتلهم ، وسبيهم غيلة، وأباح ذلك بعد إقامة الحجة ، ونصب القتال. وقال: مرتكب الكبيرة موحد لا مؤمن ، وكافر نعمة لا كفرًا يخرج من الملة، وأنه مخلَد في النار، وأفعال العباد مخلوقة للهّ مكتسبة للعبد، وهم فرق كثيرة: منها الحفصية أصحاب حفص بن أبي المقدام، تميز عن الأباضية بجعله الفرق بين الشرك والإيمان، معرفة الله وحده ، فمن عرفه فهو مؤمن ، وإن كفر بالرسل ، وما جاءوا به. ومن ارتكب كبيرة ، فهو كافر غير مشرك، ومنها الحارثية: أصحاب الحارث بن مزيد الأباضي ، خالف الأباضية في القدر ، فقال فيه بقول المعتزلة ، ولذا كرهوه. وقال بالاستطاعة قبل الفعل لا معه، وقال بإثبات طاعة لا يُراد بها وجه الله ، كما قال أبو الهذيل من المعتزلة، انظر مذكرة التوحيد 1/127 وأصول الدين عند الإمام أبي حنيفة 1/171 [↑](#footnote-ref-23)
24. (3) نافع بن الازرق بن قيس الحنفي، البكري الوائلي، الحروري، رأس الازارقة، وإليه نسبتهم. كان أمير قومه وفقيههم. وكان هو وأصحاب له من أنصار الثورة على (عثمان) ووالوا عليا، إلى أن كانت قضية (التحكيم) بين علي ومعاوية، فاجتمعوا في (حروراء) وهى قرية من ضواحي الكوفة، ونادوا بالخروج على علي، كان (نافع) جبارا فتاكا، قاتله المهلب بن أبى صفرة ولقي الاهوال في حربه وقتل يوم (دولاب) على مقربة من الاهواز سنة 65هـ انظر الأعلام للزركلي (7/351 ـ 1/291) والبداية والنهاية لابن كثير 8/286. [↑](#footnote-ref-24)
25. [↑](#footnote-ref-25)
26. () إبراهيم (أو محمد إبراهيم) بن محمد إبراهيم بن يوسف أبو إسحاق أطفيش: أديب من علماء الإباضية. ولد في قرية بني يسجن (بوادي ميزاب في الجزائر) وقرأ الفقه والنحو والتفسير، بعد حفظ لقرآن الكريم، على شيخه عم والده الشيخ محمد يوسف، ولازمه إلى أن توفي (سنة 1332 هـ ) فانتقل إلى تونس وحضر دروسا في جامع الزيتونة. وشارك في الحركة الوطنية فأبعده الفرنسيون، فتوجه إلى القاهرة، (1341 هـ / 1923 م) فأنشأ مجلة (المنهاج) ونشر كتبا علمية لبعض أعلام الاباضية. وصنف كتاب (الدعاية إلى سبيل المؤمنين - ط) وشرع في كتابة (تاريخ الاباضية) وعاجلته المنية قبل إتمامه. وعمل في دار الكتب المصرية، فشارك في تحقيق بعض مطبوعاتها الكبيرة كتفسير القرطبي وأجزاء من (نهاية الارب). ورجع إلى السياسة فكان ممثلا لدولة إمامة عمان في جامعة الدول العربية، ورئيسا لوفدها في هيئة الامم المتحدة (دورة 1960) وأسس أول مكتب سياسي لدولة إمامة عمان في القاهرة سنة 1375 هـ (1956 م) وشهد بعض المؤتمرات الاسلامية في القدس وبغداد. وكان مرجعا للفتوى في المذهب الاباضي عند المشارقة والمغاربة، توفي بالقاهرة سنة 1385هـ، الأعلام للزركلي 1/73 [↑](#footnote-ref-26)
27. (2) فرق معاصرة للعواجي 1/164 [↑](#footnote-ref-27)
28. [↑](#footnote-ref-28)
29. [↑](#footnote-ref-29)
30. () وهو حرقوص بن زهير التميمي، أصل الخوارج كما نعته غير واحد من أهل التراجم صاحب الحديث المتقدم، و يقال أنه هو الذي عناه النبي بقوله ( من يقتل هذا؟) وهو الذي خاصم الزبير فأمر النبي باستيفاء حقه منه، وأمره عمر بن الخطاب بقتال (الهرمزان) فاستولى على سوق الأهواز ونزل بها، ثم شهد صفين مع علي، وبعد الحكمين صار من أشد الخوارج على علي، فقتل فيمن قتل بالنهروان.

    وإياه عنى أحد شعراء الخوارج، بقوله من أبيات رواها المبرد:

    وأسأل الله بيع النفس محتسبا حتى ... ألاقي في الفردوس حرقوصا، انظر أسد الغابة 2/214 والإصابة 2/44. [↑](#footnote-ref-30)
31. [↑](#footnote-ref-31)
32. () صحيح البخاري باب علامات النبوة في الإسلام 3/1321 وفي باب باب من ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه 6/2540 ومسلم باب ذكر الخوارج وصفاتهم 3/112 . [↑](#footnote-ref-32)
33. [↑](#footnote-ref-33)
34. () جمال الدين، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله ابن الفقيه عبد الرحمان ابن الفقيه القاسم بن محمد ابن خليفة رسول الله أبي بكر الصديق، القرشي، التيمي، البكري، البغدادي، الحنبلي، الواعظ، صاحب التصانيف، ولد: سنة تسع أو عشر وخمس مائة، توفي أبوه وله ثلاثة أعوام، فربته عمته، وأقاربه كانوا تجارا في النحاس، فربما كتب اسمه في السماع عبد الرحمان بن علي الصفار، ثم لما ترعرع، حملته عمته إلى ابن ناصر، فأسمعه الكثير، وأحب الوعظ، ولهج به، وهو مراهق، فوعظ الناس وهو صبي، ثم ما زال نافق السوق معظما متغاليا فيه، مزدحما عليه، مضروبا برونق وعظه المثل، كماله في ازدياد واشتهار، إلى أن مات -رحمه الله ـ سنة 597هـ انظر سير أعلام النبلاء 41/340 والبداية والنهاية 13/35 والأعلام للزركلي 3/316 [↑](#footnote-ref-34)
35. [↑](#footnote-ref-35)
36. () الإمام، المحدث، القدوة، شيخ الحرم الشريف، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي الآجري، صاحب التواليف، منها:كتاب (الشريعة في السنة)كبير، وكتاب (الرؤية)، وكتاب (الغرباء)، وكتاب (الأربعين)، وكتاب (الثمانين)، وكتاب (آداب العلماء)، وكتاب (مسألة الطائفين)، وكتاب (التهجد)، وغير ذلك.

    كان صدوقا، خيرا، عابدا، صاحب سنة وأتباع، قال الخطيب:كان دينا ثقة، له تصانيف، مات بمكة في المحرم سنة ستين وثلاث مائة وكان من أبناء الثمانين - رحمه الله ـ انظر سير أعلام النبلاء 31/156 والبداية والنهاية 11/306 والأعلام للزركلي 6/97. [↑](#footnote-ref-36)
37. [↑](#footnote-ref-37)
38. () انظر الفصل، لأبي الحسن الأشعري 1/88 والملل والنحل للشهرستاني 1/120 [↑](#footnote-ref-38)
39. () البداية والنهاية 7/211 [↑](#footnote-ref-39)
40. () انظر هذه الأقوال بتوسع في كتاب مقالات الإسلاميين 1/207 والفصل 4/157 والبداية والنهاية 7/312ـ313 وكتاب تلبيس إبليس ص 90 [↑](#footnote-ref-40)
41. () قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري: مفسر حافظ ضرير أكمه قال الإمام أحمد ابن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة. قال ابن المسيب: ما جاءني عراقي أفضل منه وقال بكر المزني: ما رأيت أحفظ منه وقال محمد بن سيرين: هو من أحفظ الناس، وقال مطر: كان قتادة إذا سمع الحديث يأخذه العويل والزويل حتى يحفظه، وقال الزهري: هو أعلم من مكحول وكان مع علمه بالحديث، رأسا في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب. مات بواسط في الطاعون سنة 118 هـ انظر الأعلام للزركلي 5/189 والبداية والنهاية لابن كثير 9/343 [↑](#footnote-ref-41)
42. [↑](#footnote-ref-42)
43. () نسبة إلى (حروراء) بفتحتين وسكون الواو وراء أخرى وألف ممدودة يجوز أن يكون مشتقا من الريح الحرور وهي الحارة وهي بالليل كالسموم بالنهار كأنه أنث نظرا إلى أنه بقعة قيل هي قرية بظاهر الكوفة وقيل موضع على ميلين منها نزل به الخوارج الذين خالفوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه فنسبوا إليها وقال ابن الأنباري حروراء كورة وقال أبو منصور الحرورية منسوبون إلى موضع بظاهر الكوفة نسبت إليه الحرورية من الخوارج وبها كان أول تحكيمهم واجتماعهم حين خالفوا عليه قال ورأيت بالدهناء رملة وعثة يقال لها رملة حروراء انظر معجم البلدان لياقوت الحموي 2/245 [↑](#footnote-ref-43)
44. [↑](#footnote-ref-44)
45. () (السبائية ) بالمد ، والسبئية بالقصر ، كالعربية ، وكلاهما صحيح ( من الغلاة ) جمع غال، وهو المتعصب الخارج عن الحد في الغلو من المبتدعة، وهذه الطائفة من غلاة الشيعة، وهم يتفرقون على ثماني عشرة فرقة، ونسبتهم إلى عبد الله بن سبأ الذي قال لعلي أنت إله حقاً فنفاه علي إلى المدائن، ومن مزاعمه: أن علياً لم يمت ولم يقتل وإنما قتل ابن ملجم شيطاناً تصور بصورته، وعلي في السحاب والرعد صوته، والبرق سوطه، وأنه ينزل بعد هذا إلى الأرض ويملأها عدلاً، وهؤلاء يقولون عند سماع الرعد: عليك السلام يا أمير المؤمنين، انظر تاج العروس 1/265 وانظر دستور العلماء 2/118 [↑](#footnote-ref-45)
46. () الطبري 6/187 القرطبي 4/13 [↑](#footnote-ref-46)
47. [↑](#footnote-ref-47)
48. () عبد الله بن عبيدالله بن أبي مليكة التيمي المكي: قاض، من رجال الحديث الثقات ولاه ابن الزبير قضاء الطائف توفي سنة 117هـ الأعلام للزركلي 4/102 [↑](#footnote-ref-48)
49. [↑](#footnote-ref-49)
50. () تفسير الطبري 5/208 ـ 2211ـ 214 والدر المثور 3/454 وهو في البخاري (كتاب بدء الوحي) 6/42 ولفظه (فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منهفأولئك الذين سمى الله فاحذروهم) وفي مسلم (باب النهى عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه والنهى عن الاختلاف فى القرآن) 8/56 [↑](#footnote-ref-50)
51. [↑](#footnote-ref-51)
52. () الدر المنثور 3/723 تفسير الطبري 5/665 والقرطبي 4/167 وابن كثير 2/92 [↑](#footnote-ref-52)
53. [↑](#footnote-ref-53)
54. () عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمرو، الليثي الكناني القرشي، أبو الطفيل: شاعر كنانة، وأحد فرسانها، ومن ذوي السيادة ولد يوم وقعة أحد، وروى عن النبي تسعة أحاديث، وحمل راية علي بن أبي طالب، في بعض وقائعه. عاش بعد ذلك إلى أيام عمر بن عبد العزيز، فتوفي بمكة. وهو آخر من مات من الصحابة انظر الأعلام للزركلي 3/255 والبداية والنهاية 9/215 [↑](#footnote-ref-54)
55. [↑](#footnote-ref-55)
56. () هو عبد الله بن الكواء اليشكري أول أمير للخوارج من حين اعتزلوا جيش علي وخرجوا عليه، وكان قبل من أصحاب علي ومن المحرضين على القتال وقد قال شعرا في مدح علي وتحريض جيش صفين انظر الكامل في التأريخ 3/202ـ203 والملل والنحل ص 117 ولسان الميزان 4/406 [↑](#footnote-ref-56)
57. [↑](#footnote-ref-57)
58. () تفسير الطبري 15/426 والدر المنثور 8/548 والصنعاني 2/347 والمستدرك للحاكم 2/383 [↑](#footnote-ref-58)
59. () نافع بن جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل، من قريش: من كبار الرواة للحديث. تابعي ثقة. من أهل المدينة. كان فصيحا، عظيم النخوة، جهير المنطق، يفخم كلامه، وكان ممن يؤخذ عنه ويفتى بفتواه روى عن أبيه وعثمان وعلي والعباس وأبي هريرة وعائشة وغيرهم، وروى عنه جماعة من التابعين وغيرهم، وكان ثقة عابدا يحج ماشيا ومركوبه يقاد معه، قال غير واحد: توفي سنة تسع وتسعين بالمدينة. انظر البداية والنهاية 9/210 والأعلام للزركلي 7/352 [↑](#footnote-ref-59)
60. () الطبري 23/358 [↑](#footnote-ref-60)
61. [↑](#footnote-ref-61)
62. () إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين: حافظ مؤرخ فقيه، ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة 706 هـ ورحل في طلب العلم، تناقل الناس تصانيفه في حياته، من أشهر كتبه (البداية والنهاية) 14 مجلدا في التاريخ على نسق الكامل لابن الأثير انتهى فيه إلى حوداث سنة 767 و (شرح صحيح البخاري) لم يكمله، و (طبقات الفقهاء الشافعيين) و (تفسير القرآن الكريم )، وتوفي بدمشق سنة 774هـ انظر الأعلام للزركلي 1/320 [↑](#footnote-ref-62)
63. [↑](#footnote-ref-63)
64. () انظر تفسير ابن كثير 5/212 [↑](#footnote-ref-64)
65. [↑](#footnote-ref-65)
66. () محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، الإمام العلم المجتهد، عالم العصر، أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف البديعة، من أهل آمل طبرستان، مولده سنة أربع عشرين ومئتين، وطلب العلم بعد الأربعين ومئتين، وأكثر الترحال، ولقي نبلاء الرجال، كان من أفراد الدهر علما، وذكاء، وكثرة تصانيف. وقال الخطيب: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب: كان أحد أئمة العلماء، يحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فكان حافظا لكتاب الله، عارفا بالقراءات، بصيرا بالمعاني، فقيها في أحكام القرآن، عالما بالسنن وطرقها، صحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، عارفا بأقوال الصحابة والتابعين، عارفا بأيام الناس وأخبارهم توفي سنة 310هـ انظر سير أعلام النبلاء 14/267 والبداية والنهاية 11/165 [↑](#footnote-ref-66)
67. [↑](#footnote-ref-67)
68. () انظر تفسير الطبري 15/427 [↑](#footnote-ref-68)
69. [↑](#footnote-ref-69)
70. () سعيد بن جبير الأسدي الوالبي مولاهم أبو محمد، ويقال أبو عبد الله، الكوفي المكي، من أكابر أصحاب ابن عباس، كان من أئمة الإسلام في التفسير والفقه وأنواع العلوم، وكثرة العمل الصالح، رحمه الله، وقد رأى خلقا من الصحابة، قال سفيان الثوري عن عمرو بن ميمون عن أبيه قال: لقد مات سعيد بن جبير وما على وجه الارض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه، توفي سنة 94 وقيل سنة 95هـ انظر البداية والنهاية 9/116 والأعلام للزركلي 3/93 وسير أعلام النبلاء 4/321 [↑](#footnote-ref-70)
71. [↑](#footnote-ref-71)
72. () البغوي 6/413 وانظر زاد المسير 6/475 القرطبي 14/326 [↑](#footnote-ref-72)
73. () القرطبي 4/179 [↑](#footnote-ref-73)
74. [↑](#footnote-ref-74)
75. () القرطبي 20/28 [↑](#footnote-ref-75)
76. () الفتح 12/302 [↑](#footnote-ref-76)
77. [↑](#footnote-ref-77)
78. () سويد بن غفلة ـ بفتح المعجمة والفاء ـ بن عوسجة بن عامر بن وداع بن معاوية بن الحارث الجعفي يكنى أبا بهثة قال نعيم بن ميسرة عن رجل عن سويد بن غفلة: أنا لدة رسول الله قال المزي في ترجمته: يقال أنه صلى مع النبي ولا يصح والأصح أنه قدم المدينة حين نفضت الأيدي من دفنه وشهد اليرموك وروى عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وبلال ومن بعدهم وروى عن زر بن حبيش والصنابحي وهما من أقرانه، وروى عنه الشعبي والنخعي وسلمة بن كهيل ونعيم بن أبي هند وآخرون وكان موصوفا بالزهد والتواضع، وكان يؤم قومه قائماً وهو بن مائة وعشرين سنة، حكاه حسين بن علي الجعفي عن أبيه، وعن عاصم بن كليب بلغ مائة وثلاثين، قال أبو نعيم: مات سنة ثمانين، وقال أبو عبيد: سنة إحدى وثمانين، وقال عمر بن علي: سنة اثنتين وثمانين، انظر الإصابة 3/270 وسير أعلام النبلاء 7/73. [↑](#footnote-ref-78)
79. [↑](#footnote-ref-79)
80. () البخاري كتاب بدء الوحي 4/244 واللفظ له ومسلم باب التحريض على قتل الخوارج 3/113 [↑](#footnote-ref-80)
81. [↑](#footnote-ref-81)
82. () زيد بن وهب الجهني، أبو سليمان، نزيل الكوفة، كان في عهد النبي مسلماً، ولم يره وروى أبو نعيم من طريق الخريبي عن يحيى بن مسلم عن زيد بن وهب قال: خرجت وأنا أريد رسول الله فبلغتني وفاته في الطريق توفي سنة 96هـ انظر الإصابة 2/649 وأسد الغابة [↑](#footnote-ref-82)
83. [↑](#footnote-ref-83)
84. () سلمة بن كهيل بن الحصين بن تمادح أبو يحيى الحضرمي من أهل الكوفة يروى عن أبى جحيفة وجندب روى عنه الثوري والأعمش وناس، قال أبو حاتم: سلمة بن كهيل متقن ثقة وقال أبو زرعة: هو ثقة مأمون ذكي، قال أحمد بن علي بن مسلم: حدثنا أحمد بن سنان القطان، قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: أربعة في الكوفة لا يختلف في حديثهم، فمن اختلف عليهم فهو يخطىء، كبيرهم سلمة بن كهيل وأبو حصين ومنصور وعمرو بن مرة مات سلمة يوم عاشوراء سنة إحدى وعشرين ومائة، انظر التعديل والتجريح للباجي 3/1128 والثقات لابن حبان 4/317، والكنى والأسماء للإمام مسلم 2/906 [↑](#footnote-ref-84)
85. [↑](#footnote-ref-85)
86. () عبد الله بن وهب الراسبي، من بني راسب بن مالك بن ميدعان بن مالك بن نصر بن الأزد، له إدراك، وشهد فتوح العراق مع سعد بن أبي وقاص، وذكر الطبري في التاريخ أن سعداً أرسله مع المضارب العجلي وجماعة، وأمر عليهم ضرار بن الخطاب بأمر عمر الى أناس اجتمعوا من الذين يقاتلونهم، ثم كان مع على في حروبه ولما وقع التحكيم فأنكره الخوارج، واجتمعوا بالنهروان، أمر عليهم عبد الله بن وهب الراسبي، وكان عجباً في كثرة العبادة، حتى لقب ذا الثفنات، كان لكثرة سجوده صار في يديه وركبتيه كثفنات البعير، وقتل الراسبي المذكور مع من قتل بالنهروان، وقصته في ذلك مشهورة، انظر الإصابة 5/100 والأعلام للزركلي 4/143 [↑](#footnote-ref-86)
87. [↑](#footnote-ref-87)
88. () من (وَحَشَ) يقال: وحش الرجل، إذا رمى بثوبه وسلاحه مخافة أن يلحق، انظر الصحاح في اللغة 2/269 وتاج العروس 17/443 والمحيط في اللغة 1/237 [↑](#footnote-ref-88)
89. [↑](#footnote-ref-89)
90. () شجرهم الناس برماحهم: أى مدوها إليهم، وطاعنوهم بها، ومنه: تشاجر القوم بالرماح أي: تطاعنوا، انظر كشف المشكل لابن الجوزي 1/145 وتفسير غريب ما في الصحيحين للحميدي 1/12 [↑](#footnote-ref-90)
91. [↑](#footnote-ref-91)
92. () قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم:" أما المخدج فبضم الميم وإسكان الخاء المعجمة وفتح الدال أي: (ناقص اليد). انظر شرح صحيح مسلم للنووي 1/171 [↑](#footnote-ref-92)
93. [↑](#footnote-ref-93)
94. () عبيدة بن عمرو (أو قيس) السلماني المرادي: تابعي، أسلم باليمن، أيام فتح مكة، ولم ير النبي وكان عريف قومه، وهاجر إلى المدينة فيزمان عمر، وحضر كثيراً من الوقائع، وتفقه، وروى الحديث، وكان يوازي شريحاً في القضاء، توفي سنة 72هـ وقيل 70هـ انظر شذرات الذهب 1/78 والأعلام للزركلي 4/199 [↑](#footnote-ref-94)
95. [↑](#footnote-ref-95)
96. () صحيح مسلم باب التحريض على قتل الخوارج 3/115 [↑](#footnote-ref-96)
97. [↑](#footnote-ref-97)
98. () عاصم بن كليب بن سهل الجرمي، الكوفي: قال أحمد: لا بأس بحديثه، وقال في رواية الميموني: ثقة ، ووثقه ابن معين، والنسائي توفي سنة سبع وثلاثين ومائة انظر طبقات خليفة 1/280 وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال 1/183 [↑](#footnote-ref-98)
99. [↑](#footnote-ref-99)
100. () كليب بن شهاب الجرمي، والد عاصم بن كليب. له ولأبيه شهاب صحبة. قال عاصم: إن أباه كليباً خرج مع أبيه إلى جنازة شهدها رسول الله قال: وأنا غلام أفهم وأعقل، قال: فقال رسول الله : " إن الله عز وجل يحب من العامل إذا عمل عملاً أن يحسنه " ، وقد روى، عن رجل عن النبي روى عن عمر وعلي رضي الله تعالى عنهم، وجزم أبو حاتم الرازي والبخاري وغير واحد بان كليبا تابعي وكذا ذكره أبو زرعة وابن سعد وابن حبان في ثقات التابعين انظر الطبقات الكبرى 6/123 وتهذيب الكمال 24/211 [↑](#footnote-ref-100)
101. [↑](#footnote-ref-101)
102. () رواه أحمد في مسنده 1/160 وابن أبي يعلى 1/256 قال شعيب الأرنؤوط : إسناده جيد ورجاله رجال الصحيح غير كليب بن شهاب والد عاصم فمن رجال أصحاب السنن، قال الألباني: إسناده صحيح ورجاله ثقات رجال مسلم غير كليب وهو ابن شهاب والد عاصم فهو صدوق كما في التقريب انظر ظلال الجنة للألباني 2/148 [↑](#footnote-ref-102)
103. [↑](#footnote-ref-103)
104. () لم أجد من ترجم له. [↑](#footnote-ref-104)
105. [↑](#footnote-ref-105)
106. () عبد الله بن شداد بن الهاد, اسم الهاد أسامة بن عمرو بن عبد الله بن جابر بن بشر بن عتوارة بن عامر بن مالك بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن علي بن كنانة بن خزيمة، فُقِدَ ليلة دجيل مع ابن الأشعث سنة ثلاث وثمانين انظر طبقات خليفة 1/256 وشذرات الذهب 1/90. [↑](#footnote-ref-106)
107. [↑](#footnote-ref-107)
108. () [أخرجه الإمام أحم](http://www.dorar.net/book/13482&ajax=1)د في مسنده 2/66 وقال الشيخ أحمد شاكر معلقاً: إسناده **صحيح**، وأخرجه أبو يعلى 1/367 والبيهقي في السنن الكبرى 8/179وقال: **صحيح**، والحاكم في المستدرك 2/165 وقال: هذا حديث **صحيح** على شرط الشيخين و لم يخرجاه إلا ذكر ذي الثدية، فقد أخرجه مسلم بأسانيد كثيرة، و**صححه** الألباني في الإرواء 8/111 وقال: على شرط مسلم. [↑](#footnote-ref-108)
109. [↑](#footnote-ref-109)
110. () بسر بن سعيد الإمام القدوة المدني، مولى بني الحضرمي، حدث عن عثمان بن عفان، وسعد بن أبي وقاص، وزيد بن ثابت، وأبي هريرة، وطائفة، حدث عنه أبو سلمة بن عبدالرحمن، ومحمد بن إبراهيم التيمي، وسالم أبو النضر، وبكير بن عبد الله بن الاشج، وأخوه يعقوب، وزيد بن أسلم وآخرون، وثقه يحيى بن معين، والنسائي، قال محمد بن سعد: كان من العباد المنقطعين والزهاد، كثير الحديث، ويقال: إن رجلا وشى على بسر عند الوليد بن عبدالملك بأنه يعيبكم، قال: فأحضره وسأله ؟ فقال: لم أقله، اللهم إن كنت صادقا فأرني به آية، فاضطرب الرجل حتى مات، قال مالك: توفي بسر رحمه الله، فما خلف كفناً، توفي سنة مئة، انظر سير أعلام النبلاء 4/594 وصفوة الصفوة 2/103 [↑](#footnote-ref-110)
111. ( [↑](#footnote-ref-111)
112. () طبي شاة: بطاء مهملة مضمومة، ثم باء موحدة ساكنة، ضرع الشاة، وهو فيها استعارة، وأصله للكلبة والسباع، وحلمة الثدي: الناتئة منه، والثدي يؤنث ويذكر وجمعه: ثدي، وثندوة الرجل كثدي المرأة، وهو مهموز إذا ضم أوله، فإن فتح لم يهمز، انظر الديباج على مسلم 3/168 وكشف المشكل لابن الجوزي 1/144 [↑](#footnote-ref-112)
113. [↑](#footnote-ref-113)
114. () أخرجه مسلم في صحيحه باب التحريض على قتل الخوارج 3/116 [↑](#footnote-ref-114)
115. [↑](#footnote-ref-115)
116. () مخدج اليد: بضم الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الدال، ناقص اليد، (مودن اليد) بالهمز وتركه، وإهمال الدال، ناقص خلقها، (مثدون اليد) بفتح الميم وسكون الثاء المثلثة، وفي بعضالأصول: (مثدن اليد) أي: صغيرها مجتمعها، بمنزلة ثندوة الرجل، انظر الديباج على مسلم 3/165 وشرح السنة للبغوي 10/232 [↑](#footnote-ref-116)
117. () أخرجه مسلم في صحيحه باب التحريض على قتل الخوارج 3/114 [↑](#footnote-ref-117)
118. () ومعنى: (لا يجاوز حناجرهم ) أي: لا يفهمونه، ولا يعملون بمعناه، وقال البغوي في شرح السنة أي : لا يقبل ولا يرفع في الأعمال الصالحة، 10/226

     قوله: (نصل السهم): حديدته ، و( رصافه ): مدخل السهم في النصل، و(نضيه ): قدحه ، وهو عوده، و( قذذه ): ريشه، جمع قُذَّة، و( فُوقه ): هو الْحَزّ الذي يدخل فيه الوتر . و( العقبة )، التي تجمع الفوق هي: الأُطْرَة .

     قال ابن قتيبة: الرُّعْظُ: مدخل النصل في السهم، والرصاف: العقب الذي فوق الرُّعظ. قال الهروي: والرَّصَفَةُ: عقبة تلوى على مدخل النصل في السهم.

     ومقصود هذا التمثيل: أن هذه الطائفة خرجت من دين الإسلام، ولم يتعلَّق بها منه شيء، كما خرج هذا السهم من هذه المرمية، الذي لشدَّة النزع، وسرعة السهم، سبق خروجُه خروج الدم، بحيث لا يتعلق به شيء ظاهر، كما قال: سبق الفرث والدم. وبظاهر هذا التشبيه تمسّك من حكم بتكفيرهم من أئمتنا ـ رحمهم الله ـ، انظر إكمال المعلم شرح صحيح مسلم باب ذكر الخوارج وصفاتهم [↑](#footnote-ref-118)
119. () (بضعة) بفتح الموحدة أي: قطعة لحم، وقوله (تدردر) بدالين وراءين مهملات أي: تضطرب، والدردرة: صوت إذا اندفع سمع له اختلاط، الفتح 6/619 [↑](#footnote-ref-119)
120. () صحيح البخاري كتاب بدء الوحي 4/243 ومسلم باب ذكر الخوارج وصفاتهم 3/112 [↑](#footnote-ref-120)
121. () أبو داوود 4/243 والحاكم في المستدرك 2/147 والبيهقي في الكبرى باب ما جاء في قتال أهل البغي 8/171 وحسنه ابن حجر في المشكاة 3/406 وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داوود صحيح 10/265 [↑](#footnote-ref-121)
122. () صحيح مسلم باب ذكر الخوارج وصفاتهم 3/109 [↑](#footnote-ref-122)
123. () ابن ماجة 1/118 والإمام أحمد في مسنده 5/31 وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط معلقاً: إسناده صحيح على شرط مسلم، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه 15/305 وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة 1/242 [↑](#footnote-ref-123)
124. () اسمه: بشير بن عمرو، ولد في عام الهجرة، قال بشير: توفي النبي وأنا بن عشر سنين، وروى أنه كان عريف قومه في زمن الحجاج، توفي سنة خمس وثمانين هكذا ذكره أبو عمر لم يزد على ذلك، وصحف في هذا الاسم وهو بشير بن عمرو وهو الذي يقال له: أسير بن جابر، وقيل هو غيره، وأرخ بن سعد وفاته سنة خمس وثمانين، وقال أبو نعيم: كان عريفاً في زمن الحجاج، ثم روى عن عمرو بن قيس عن أبيه عن جده بشير وقال: قبض النبي وأنا بن عشر سنين، وقد صحف فيه أيضاً بن شاهين فإنه ذكر في الصحابة في الموحدة بشير بن عمرو، ثم ساق حديثاً من طريق عمرو بن قيس بن بشير بن عمرو عن أبيه عن جده، وكان قد أدرك النبي إنه كان إذا أخذ عطاءه أمسك نفقة سنة... الحديث موقوف، وهذا هو يسير بن عمرو، ويقال: أسير بالهمزة، وقال علي بن المديني: أهل البصرة يقولون أسير بن جابر، وأهل الكوفة يقولون أسير بن عمرو، ورجح البخاري الثاني، وأشار إلى تليين قول من قال فيه ابن جابر، وقال غيره: أسير بن عمرو بن جابر والله أعلم .

     انظر الإصابة 1/361 سير أعلام النبلاء 7/19 [↑](#footnote-ref-124)
125. () سهل بن حنيف بن واهب بن العكيم بن ثعلبة بن الحارث بن مجدعة بن عمرو بن حبيش بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن أوس الأنصاري الأوسي، يكنى أبا سعد، وأبا عبد الله، من أهل بدر، كان من السابقين، وشهد بدراً، وثبت يوم أحد حين انكشف الناس، وبايع يومئذ على الموت، وكان ينفح عن رسول الله بالنبل، وشهد أيضاً الخندق والمشاهد كلها، واستخلفه علي على البصرة بعد الجمل، ثم شهد معه صفين، ويقال آخى النبي بينه وبين علي بن أبي طالب، ومات سنة ثمان وثلاثين قال الواقدي: حدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز الأمامي عن محمد بن أبي إمامة بن سهل عن أبيه قال: مات سهلبالكوفة، وصلى عليه علي، وقال المدائني: مات سنة ثمان وثلاثين، وقال عبد الله بن مغفل: صلى عليه علي فكبر ستاً وفي رواية خمساً ثم قال أنه بدري، انظر الإصابة 3/198 وسير أعلام النبلاء 3/286 [↑](#footnote-ref-125)
126. () صحيح البخاري 9/22 مسلم باب الخوارج شر الخلق 3/116. [↑](#footnote-ref-126)
127. () صحيح البخاري كتاب بدء الوحي 9/21 [↑](#footnote-ref-127)
128. () عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو الوليد: من أعاظم الخلفاء ودهاتهم، نشأ في المدينة، فقيهاً واسع العلم، متعبداً، ناسكاً، وشهد يوم الدار مع أبيه، واستعمله معاوية على المدينة وهو ابن 16 سنة، وانتقلت إليه الخلافة بموت أبيه سنة 65 هـ، فضبط أمورها وظهر بمظهر القوة، فكان جباراً على معانديه، قوي الهيبة، واجتمعت عليه كلمة المسلمين بعد مقتل مصعب وعبد الله ابني الزبير في حربهما مع الحجاج الثقفي، **توفي في دمشق** سنة 86هـ انظر الأعلام للزركلي 4/165 [↑](#footnote-ref-128)
129. () الإمام أحمد في مسنده 3|159 وسعيد بن منصور في سننه 2|324 من طريق حسين بن محمد ثنا خلف عن حفص عن أنس بن مالك، وهذا إسناد صحيح، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: فيه خلف بن حفص ولم أجد من ترجم له 2/158. [↑](#footnote-ref-129)
130. () مسند الإمام أحمد 3|183، وأبو يعلى 7|116 من طرق عن سليمان بأسانيد صحيحة، وقال الوادعي في صحيح المسند: صحيح على شرط الشيخين 83 [↑](#footnote-ref-130)
131. () رواه ابن ماجه 1/118 والطيالسي 1|350 وابن أبي شيبة 15/321 وأبو يعلى 4|242 والطبراني في الكبير 11|280 والحديث صححه السيوطي في الجامع الصغير (7715) وقال الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة: إسناده حسن أو جيد، وهو على شرط مسلم 5/200. [↑](#footnote-ref-131)
132. () سعيد بن جمهان: قال في رواية المروذي: ثقة، روى عنه العوام بن حوشب، وروى عنه حماد، انظر بحر الدم لابن المبرد 1/62 [↑](#footnote-ref-132)
133. () عبد الله بن أبي أوفى، واسم أبي أوفى: علقمة بن خالد بن الحارث بن أبي أسيد بن رفاعة بن ثعلبة بن هوزان بن أسلم الأسلمي، يكنى أبا معاوية، وقيل: أبو إبراهيم، وقيل: أبو محمد، شهد الحديبية، وبايع بيعة الرضوان، وشهد خيبر وما بعدها من المشاهد، ولم يزل بالمدينة حتى قُبض رسول الله ، ثم تحول إلى الكوفة، وهو آخر من بقي بالكوفة من أصحاب النبي.

     توفي عبد الله بن أبي أوفى بالكوفة سنة ست وثمانين، وقيل: سبع وثمانين، بعد ما كفّ بصره، انظر أسد الغابة 3/181 والإصابة 5/8 [↑](#footnote-ref-133)
134. () الأزارقة: هم جماعة من الخوارج، ينسبون إلى أبي راشد نافع بن الأزرق، خرج آخر أيام يزيد بن معاوية، ومات 65 هـ، وبايع الأزارقة من بعد موته قطري بن الفجاءة، وسموه بأمير المؤمنين، ومن بدعهم تصويب قاتل عليّ عبد الله بن ملجم، وفي ذلك يقول عمران بن حطان مفتي الخوارج:

     يا ضربة من منيب ما أراد بها ... إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانًا

     إني لأذكره يومًا فأحسبـــه ... أوفى البريــة عند اللّه ميـزانًا

     ومنها تكفير من قعد عن الجهاد معهم، وتكفير من لم يهاجر إليهم، وإسقاط الرجم لعدم وجوده في القرآن، وإسقاط الحد عمن قذف المحصنين دون المحصنات، وعدم جواز التُقية في قول أو عمل، وإباحة قتل أطفال المخالفين لهم ونسائهم، وعدم أداء الأمانة لمن خالفهم، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي 1/46

     وكتاب لوامع الأنوار البهية 1/87 وانظر مذكرة التوحيد للشيخ عبد الرزاق عفيفي 1/123 وعقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام للشيخ ناصر 3/1146 [↑](#footnote-ref-134)
135. () رواه الإمام أحمد 4|382 من طريق أبي النضر ثنا الحشرج بن نباتة العبسي حدثني سعيد بن جمهان قال: أتيت عبد الله بن أبي أوفى، وهذا إسناد حسن وحشرج مقبول، ورواه أبو عمرو في كتاب السنة باب في ذكر مفارق الجماعة 2/438 وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 6|232: رواه الطبراني وأحمد ورجال أحمد ثقات والحديث حسنه الألباني في الظلال 2/143 [↑](#footnote-ref-135)
136. ()عقبة بن وساج الأزدي البصري روى عن: عمران بن حصين، وعبد الله بن عمرو، وأنس، وغيرهم، روى عنه قتادة، ويحيى السيباني، وإبراهيم بن أبي عبلة، وأبو عبيدة حاجب سليمان، ونزل الشام، قال ابن معين: ثقة انظر تاريخ الإسلام للإمام الذهبي 6/430 [↑](#footnote-ref-136)
137. () مسند الشاميين 4/74 والسنة لابن أبي عاصم 2/455 والحديث صححه الألباني في ظلال الجنه 2/162. [↑](#footnote-ref-137)
138. () رواه الترمذي وقال: حديث حسن 5/226 وقال الألباني في صحيح الترمذي: (حسن صحيح) 6/500 [↑](#footnote-ref-138)
139. () يحيى بن يزيد أبي حفصة: شاعر ابن شاعر وجد شاعر، كنيته أبو جميل، وأمه حيا بنت ميمون، يقال إنها من ولد النابغة الجعدي، كان من سكان المدينة، من أب يهودي، أسلم على يد مروان بن الحكم، أو الخليفة عثمان، وأثرى، وتزوج خولة بنت مقاتل (حفيد قيس بن عاصم المنقري) أورد أبو تمام بعض شعره، توفي سنة 90هـ ، انظر الأعلام للزركلي 8/177. [↑](#footnote-ref-139)
140. () همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، أبو فراس، الشهير بالفرزدق: شاعر، من النبلاء، من أهل البصرة، عظيم الأثر في اللغة، كان يقال: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس، يشبه بزهير بن أبي سلمى، وكلاهما من شعراء الطبقة الأولى، زهير في الجاهليين، والفرزدق في الإسلاميين، وهو صاحب الأخبار مع جرير والأخطل، ومهاجاته لهما أشهر من أن تذكر، كان شريفاً في قومه، عزيز الجانب، ولقب بالفرزدق، لجهامة وجهه وغلظه، وتوفي في بادية البصرة، وقد قارب المئة، سنة 110هـ انظر البداية والنهاية 9/293 والأعلام للزركلي 8/93 [↑](#footnote-ref-140)
141. () مالك بن المنذر بن الجارود العبدي، من بني عبد القيس، أمره خالد بن عبد الله القسري على شرطة البصرة، وكتب إليه أن يحبس " الفرزدق " لأبيات قالها، فحبسه، فقال النميري في الفرزدق:

     وكان يجير الناس من سيف مالك فأصبح يبغي نفسه من يجيرها

     وولاه مصعب بن الزبير على بني عبد القيس سنة 67 في حربه مع المختار الثقفي، قال المبرد: وحَكّمَ أي: (قال: لا حكم إلا الله) مالك بن المنذر بن الجارود، وهو بآخر رمق في سجن هشام بن عبد الملك، انظر الأعلام للزركلي 5/266 [↑](#footnote-ref-141)
142. () الطبراني في الأوسط 1|276 وحسن إسناده ابن حجر في الفتح 12|316 وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله ثقات 6/237 [↑](#footnote-ref-142)
143. () رواه مسلم باب الخوارج شر الخلق 3/ 116 [↑](#footnote-ref-143)
144. () رواه أحمد 5|42 من طريق روح ثنا عثمان الشحام ثنا مسلم بن أبي بكرة عن أبيه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: حديث صحيح 6/228 وقال الألباني في السلسلة الصحيحة: إسناده صحيح على شرط مسلم، 5/657 [↑](#footnote-ref-144)
145. () أحمد 3|15 من طريق بكر بن عيسى ثنا جامع بن مطر الحبطي ثنا أبو روبة شداد بن عمران القيسي عن أبي سعيد الخدري.

     والحديث صححه الهيثمي في مجمع الزوائد 6/228 وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة 5/659. [↑](#footnote-ref-145)
146. () ابن حبان في صحيحه 1|281 وابن كثير في تفسيره 3/509 وإسناده جيد، وأشار أحمد شاكر في مقدمة عمدة التفسير إلى صحته 2/76 [↑](#footnote-ref-146)
147. () أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية، الإمام، شيخ الإسلام، ولد في حران، وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر، وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدها، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة، ونقل إلى الإسكندرية، ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة 712 هـ واعتقل بها سنة 720 وأطلق، ثم أعيد، ومات معتقلاً بقلعة دمشق، سنة 728هـ زادت مؤلفاته على الثلاثمائة. انظر سير أعلام النبلاء 22/288 والأعلام للزركلي 1/144 [↑](#footnote-ref-147)
148. () وهذا هو رأي علي بن أبي طالب أعلم الناس بهم، والصحابة معه، فإنهم لم يكفِّروا الخوارج الذين قاتلوهم، بل إن علياً أوَّل ما خرجوا عليه، وتحيَّزوا بحروراء، وخرجوا عن الطاعة والجماعة، قال لهم: إنَّ لكم علينا أن لا نمنعكم مساجدنا، ولا حقكم من الفيء، ثم أرسل إليهم ابن عباس ، فناظرهم فرجع نحو نصفهم، ثم قاتل الباقي وغلبهم.

     ومع هذا لم يسب لهم ذرية، ولا غنم لهم مالاً، ولا سار فيهم سيرة الصحابة في المرتدين كمسيلمة الكذاب وأمثاله.

     بل كانت سيرة علي والصحابة في الخوارج مخالفة لسيرة الصحابة في أهل الردة، ولم ينكر أحد على عليٍّ ذلك، فعلم اتفاق الصحابة على أنهم لم يكونوا مرتدين عن دين الإسلام.

     قال الإمام محمد بن نصر المروزي: وروي عن النبي فيهم ما روي، وسماهم مؤمنين، وحكم فيهم بأحكام المؤمنين، وكذلك عمار بن ياسر.

     وقال محمد بن نصر أيضاً:" حدثنا إسحاق بن راهويه، حدثنا يحيى ين آدم، عن مفضل بن مهلهل، عن الشيباني، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب قال: كنت عند عليٍّ حين فرغ من قتال أهل النهروان، فقيل له: أمشركون هم؟

     قال: من الشرك فرُّوا، فقيل: فمنافقون؟ قال: المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً .

     قيل: فما هم ؟!  
     قال: قوم بغوا علينا فقاتلناهم .

     وقال محمد بن نصر أيضا حدثنا إسحاق حدثنا وكيع عن مسعر عن عامر بن سفيان عن أبي وائل قال: قال رجل من دُعي إلى البغلة الشهباء يوم قتل المشركون؟  
     فقال علي: من الشرك فرُّوا، قال: المنافقون، قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، قال: فما هم ؟

     قال : قوم بغوا علينا فقاتلناهم فنصرنا عليهم.

     وإلى هذا ذهب جمع من أهل العلم، يقول ابن قدامة في المغني 10/46:" الخوارج الذين يكفرون بالذنب، ويكفرون عثمان وعلياً وطلحة والزبير، وكثيراً من الصحابة ويستحلون دماء المسلمين وأموالهم، إلا من خرج معهم، فظاهر قول الفقهاء من أصحابنا المتأخرين أنهم بغاة، حكمهم حكمهم وهذا قول أبي حنيفة و الشافعي وجمهور الفقهاء وكثير من أهل الحديث و مالك يرى استتابتهم فان تابوا وإلا قتلوا على إفسادهم لا على كفرهم". [↑](#footnote-ref-148)
149. () وقد ذكر الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ جملة من العلماء الذين قالوا بتكفير الخوارج كالبخاري حيث قرنهم بالملحدين، وابن العربي حيث يقول: الصَّحِيح أَنَّهُمْ كُفَّار لِقَوْلِهِ : يَمْرُقُونَ مِنْ الإسلام " وَلِقَوْلِهِ: " لأقتلنهم قَتْل عَاد " ،‏ وَفِي لَفْظ " ثمود " ،‏ وَكُلّ مِنْهُمَا إِنَّمَا هَلَكَ بِالْكُفْرِ ،‏ وَبِقَوْلِهِ : " هُمْ شَرُّ الْخَلْق " ولا يُوصَف بِذَلِكَ إِلا الْكُفَّار،‏ وَلِقَوْلِهِ:" إِنَّهُمْ أَبْغَضُ الْخَلْق إِلَى اللَّه تَعَالَى"،‏ وَلِحُكْمِهِمْ عَلَى كُلّ مَنْ خَالَفَ مُعْتَقَدهمْ بِالْكُفْرِ وَالتَّخْلِيد فِي النَّار فَكَانُوا هُمْ أَحَقَّ بِالاسْمِ مِنْهُمْ.

     وممن جنح إلى ذلك من أئمة المتأخرين الشيخ تقي الدين السبكي فقال في فتاويه:" احتج من كفر الخوارج وغلاة الروافض، بتكفيرهم أعلام الصحابة لتضمنه تكذيب النبي في شهادته لهم بالجنة، قال: وهو عندي احتجاج صحيح.ا.هـ.

     وممن ذهب إلى تكفيرهم أيضا الحسن بن محمد بن علي، ورواية عن الإمام الشافعي، ورواية عن الإمام مالك، وطائفة من أهل الحديث.

     (انظر الإبانة الصغرى 152، الشفا 2/1057، المغني 12/239 ( وممن ذهب إلى تكفيرهم من المعاصرين سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله ـ. [↑](#footnote-ref-149)
150. () الفتاوى 28/518 [↑](#footnote-ref-150)
151. () ومن العلماء الذين توقفوا أبو بكر الباقلاني ـ رحمه الله ـ حيث قال:" لم يصرح القوم بالكفر وإنما قالوا أقوالاً تؤدي إلى الكفر" وعندما سئل أبو المعالي اعتذر وقال:" إن إدخال كافر في الملة وإخراج مسلم عنها عظيم في الدين" وقال الغزالي:" والذي ينبغي الاحتراز عن التكفير ما وجد إلى ذلك سبيلا، فإن استباحة دماء المصلين المقرين بالتوحيد خطأ والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك دمٍ لمسلم واحد". [↑](#footnote-ref-151)
152. () نجدة بن عامر الحروري الحنفي، من بني حنيفة، من بكر بن وائل: رأس الفرقة " النجدية " نسبة إليه، من الحرورية، ويعرف أصحابها بالنجدات. من كبار أصحاب الثورات في صدر الاسلام، انفرد عن سائر " الخوارج " بآراء، قال ابن حجر العسقلاني: قدم مكة، وله مقالات معروفة وأتباع انقرضوا، كان أول أمره مع نافع ابن الأزرق، وفارقه لإحداثه في مذهبه، ثم خرج مستقلاً باليمامة (سنة 66 هـ) أيام عبد الله بن الزبير، في جماعة كبيرة، فأتى البحرين واستقر بها وتسمى بأمير المؤمنين، ووجه إليه مصعب ابن الزبير خيلاً بعد خيل، وجيشاً بعد جيش، فهزمهم، وأقام نحو خمس سنين وعماله بالبحرين واليمامة وعمان وهجر وغيرها، توفي سنة 69هـ انظر الأعلام للزركلي 8/10 [↑](#footnote-ref-152)
153. () منهاج السنة 5/168 [↑](#footnote-ref-153)
154. () عمرو بن عبيد بن باب التيمي بالولاء، أبو عثمان البصري: شيخ المعتزلة في عصره، ومفتيها، وأحد الزهاد المشهورين. كان جده من سبي فارس، وأبوه نساجا ثم شرطيا للحجاج في البصرة، واشتهر عمرو بعلمه وزهده وأخباره مع المنصور العباسي وغيره، توفي بمران (بقرب مكة) ورثاه المنصور، ولم يسمع بخليفة رثى من دونه، سواه. وفي العلماء من يراه مبتدعا، قال يحيى بن معين: كان من الدهرية الذين يقولون إنما الناس مثل الزرع. توفي سنة 144هـ انظر سير أعلام النبلاء 6/104 الأعلام للزركلي 5/81. [↑](#footnote-ref-154)
155. () مجموع الفتاوى 17/446 [↑](#footnote-ref-155)
156. () مجموع الفتاوى 7/218 [↑](#footnote-ref-156)
157. () الفتح 12/314 [↑](#footnote-ref-157)
158. () شرح مسلم للنووي 2/50 [↑](#footnote-ref-158)
159. () أقول: أن هذا في مجمل الخوارج عموماً، ولا يدخل في ذلك من اعتقد منهم أموراً كفرية، كإنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة، كاعتقاد مبعث نبي بعد محمد فهذا لا يشك مسلم في كفر قائلة، لإنه مكذب لله ولرسوله قال تعالى ﭽ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﭼ الأحزاب: ٤٠ أو اعتقد أن شريعة محمد تنسخ في آخر الزمان، يقول الأشعري في مقالاته (1/18):" وافترقت الأباضية منها فرقاً: حفصية وحارثية ويزيدية، واصحاب طاعة لا يراد الله بها، واليزيدية منهم اتباع ابن يزيد بن أنيس ليست من فرق الإسلام، لقولها بان شريعة الإسلام تُنسخُ في آخر الزمان بنبي يبعث من العجم، وكذلك في جملة العجاردة فرقة يقال لها الميمونية ليست من فرق الإسلام، لأنها أباحت نكاح بنات البنات، وبنات البنين كما أباحته المجوس" . [↑](#footnote-ref-159)
160. () هم أتباع واصل بن عطاء الغزال تلميذ الحسن البصري، وكان زمنه بين أيام عبد الملك بن مروان وأولاده الثلاثة وعمر بن عبد العزيز، وكان اعتزل الحسن البصري بسبب قوله في مرتكب الكبيرة، وهم في الصفات جهمية ينفونها، وفي القدر قدريَّة يقولون: أعمال العباد مخلوقةٌ لهم، وينكِرون رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، ويوجبون على الله الثواب والعقاب والصلاح والأصلح، ويقولون بالعدل، والمنزلة بين المنزلتين، ويقدمون العقل على النقل، وهم عشرون فرقة، وأصل معتقدهم باقٍ إلى اليوم، متمثل بوجه أو بآخر في كل من الشيعة والزيدية والإباضية، وفيمن يُسمَّوْن بالعقلانيين أو العصرانيين، ويلحق بهم من سُمُّوا زورًا بالتنويريين أو المستنيرين، انظر الانتصار لأبي الحسين 1/68 وشرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل هراس 1/92 [↑](#footnote-ref-160)
161. () انظر مسند الربيع بن حبيب وما وقع فيه من التأويل الباب الثالث والعشرين في اليد، وما بعده من الأبواب (3/159) و تفسير هميان الزاد إلى دار المعاد عند قوله ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ طه: ٥ وقوله ﭽ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭼ الفتح: ١٠ وغير ذلك من آيات الصفات، وكتاب مقالات الإسلاميين للأشعري 1/203 وكتاب التبصير في أمور الدين للأسفراييني 1/45 ـ 46 ـ 47 والملل والنحل 1/133، والفتاوى الكبرى 6/656. [↑](#footnote-ref-161)
162. () محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، الإمام العلامة المفسر من علماء شنقيط (موريتانيا)، ولد وتعلم بها، وحج (1367هـ) واستقر مدرساً في المدينة المنورة ثم الرياض، وأخيراً في الجامعة الإسلامية بالمدينة (1381هـ) وتوفي بمكة سنة 1393هـ انظر الأعلام للزركلي 6/45 [↑](#footnote-ref-162)
163. () أضواء البيان 2/18 [↑](#footnote-ref-163)
164. ()أضواء البيان 2/18 [↑](#footnote-ref-164)
165. ()عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد، شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام، أبو عمرو الأوزاعي، كان يسكن بمحلة الأوزاع، وهي العقيبة الصغيرة، ظاهر باب الفراديس بدمشق، ثم تحول إلى بيروت مرابطاً بها إلى أن مات سنة 157هـ، انظر سير أعلام النبلاء 13/125 والبداية والنهاية 10/123 والأعلام للزركلي 3/320 [↑](#footnote-ref-165)
166. () سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، من بني ثور بن عبد مناة، من مضر، أبو عبد الله، أمير المؤمنين في الحديث، راوده المنصور العباسي على أن يلي الحكم، فأبى، وخرج من الكوفة، سنة 144 هـ فسكن مكة والمدينة، ثم طلبه المهدي، فتوارى، وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفياً سنة 161هـ، انظر سير أعلام النبلاء 13/263 والأعلام للزركلي 3/104. [↑](#footnote-ref-166)
167. () الليث بن سعد عبد الرحمن الفهمي، بالولاء، أبو الحارث: إمام أهل مصر في عصره، حديثاً وفقهاً، قال ابن تغري بردي:" كان كبير الديار المصرية ورئيسها وأمير من بها في عصره، بحيث أن القاضي والنائب من تحت أمره ومشورته "، وقال الإمام الشافعي:" الليث أفقه من مالك، إلا أن أصحابه لم يقوموا به"، أخباره كثيرة، وله تصانيف توفي سنة 175هـ، سير أعلام النبلاء 15/137 الأعلام للزركلي 5/248 [↑](#footnote-ref-167)
168. () أبو يعقوب، إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم بن عبد الله بن مطر بن عبيد الله التميمي، ثم الحنظلي، المروزي، نزيل نيسابور، قال عبد الكريم بن النسائي: أخبرني أبي، قال: إسحاق ثقة، مأمون، انظر سير أعلام النبلاء 21/425 [↑](#footnote-ref-168)
169. () نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي، أبو عبد الله: أول من جمع " المسند " في الحديث، كان من أعلم الناس بالفرائض، ولد في مرو الشاهجان، وأقام مدة في العراق والحجاز يطلب الحديث، ثم سكن مصر، ولم يزل فيها إلى أن حمل إلى العراق في خلافة المعتصم، وسئل عن القرآن: أمخلوق هو؟ فأبى أن يجيب، فحبس في سامرا، ومات في سجنه سنة 228هـ انظر سير أعلام النبلاء 20/103 والأعلام للزركلي 8/40 [↑](#footnote-ref-169)
170. () تفسير ابن كثير 3/427 [↑](#footnote-ref-170)
171. () أخرجه مسلم باب ما يقول وهو راكع برقم (1118) 2/51 [↑](#footnote-ref-171)
172. () أخرجه البخاري باب ذكر النبي وروايته عن ربه برقم (7537) 9/192 وأخرجه مسلم باب فضل الذكر والدعاء برقم (7006) 8/66 [↑](#footnote-ref-172)
173. () أخرجه البخاري باب قول الله تعالى : ﭽ ﯳ ﯴ ﯵﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﭼ وقوله جل ذكره: ﭽ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫﭼ برقم (7404) 9/147 وأخرجه مسلم باب في سعة رحمة الله برقم (7145) 8/95 [↑](#footnote-ref-173)
174. () أخرجه مسلم باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش برقم (7170) 8/100 [↑](#footnote-ref-174)
175. () أخرجه مسلم باب التسبيح أول النهار وعند النوم برقم (7008) 8/83 [↑](#footnote-ref-175)
176. () أخرجه مسلم باب تحريم الظلم برقم (6737) 8/16 [↑](#footnote-ref-176)
177. () أخرجه أحمد بسند صحيح قال عنه شعيب الأرنؤوطي (صحيح على شرط مسلم رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بن سلمة فمن رجال مسلم) رقم (5414) 2/72 وأخرجه ابن حبان في صحيحه برقم (7327) 16/322 والحاكم في المستدرك رقم (2999) 2/252 وقال: ( هذا حديث صحيح الإسناد ). [↑](#footnote-ref-177)
178. () أخرجه البخاري برقم (4736) 6/120 ومسلم باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام الحديث رقم (6915) 8/50. [↑](#footnote-ref-178)
179. () أخرجه أحمد برقم (3712) 1/391 والحاكم في المستدرك برقم (1877) 1/690 وقال الحاكم (هذا حديث صحيح على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه فإنه مختلف في سماعه عن أبيه) وهو سالم من الإرسال كما قال الألباني ـ رحمه الله ـ والحديث أخرجه أيضاً ابن حبان في صحيحه برقم (972) 3/253 وقال شعيب الأرنؤوط: (إسناده صحيح)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة 1/198. [↑](#footnote-ref-179)
180. () أقول: من الضروري أن لا يُكتفى بوصف النفس بالذات الإلهية فقط، بل لا بد من أن يفرق بين الذات التي يقصدها الخوارج والمعتزلة، وهي: الذات المجردة عن صفات الكمال، والذات التي يعنيها ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وأهل السنة عموماً. [↑](#footnote-ref-180)
181. () الفقه الأكبر 1/27 [↑](#footnote-ref-181)
182. ()محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي، أبو بكر، إمام نيسابور في عصره، كان فقيها مجتهدا، عالما بالحديث، مولده ووفاته بنيسابور، رحل إلى العراق والشام والجزيرة ومصر، ولقبه السبكي بإمام الأئمة، تزيد مصنفاته على 140 منها كتاب (التوحيد وإثبات صفة الرب ) و(مختصر المختصر) المسمى (صحيح ابن خزيمة ) توفي سنة 311هـ انظر الأعلام للزركلي 6/29 وسير الأعلام 11/225 [↑](#footnote-ref-182)
183. () كتاب التوحيد لابن خزيمة 1/13 [↑](#footnote-ref-183)
184. () عقيدة المقدسي 1/56 وهو الحفاظ تقي الدين أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور بن رافع بن حسن بن جعفر المقدسي الجماعيلي ثم الدمشقي المنشأ الصالحي الحنبلي، توفي سنة 600هـ انظر سير الأعلام 16/12 والأعلام للزركلي 4/34. [↑](#footnote-ref-184)
185. () درء تعارض العقل والنقل 5/363 [↑](#footnote-ref-185)
186. () تفسير الطبري 5/320 [↑](#footnote-ref-186)
187. () تفسير الطبري 11/238 [↑](#footnote-ref-187)
188. () الإمام العلامة، مفتي خراسان، شيخ الشافعية، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد التميمي، السمعاني، المروزي ألف كثيراً من المؤلفات منها التفسير توفي يوم الجمعة, الثالث والعشرين من ربيع الأول, سنة تسع وثمانين وأربع مائة. عاش ثلاثا وستين سنة رحمه الله، انظر سير أعلام النبلاء 14/155 [↑](#footnote-ref-188)
189. () تفسير السمعاني 1/309 [↑](#footnote-ref-189)
190. () هو الإمام، نحوي زمانه، أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج، البغدادي، مصنف كتاب "معاني القرآن"، وله تآليف جمة، لزم المبرد، فكان يعطيه من عمل الزجاج كل يوم درهما، فنصحه وعلمه، ثم أدب القاسم بن عبيد الله الوزير، فكان سبب غناه، ثم كان من ندماء المعتضد، مات سنة إحدى عشرة وثلاث مائة، وقيل: مات في تاسع عشر جمادى الآخرة، سنة عشرة، السير 11/222 [↑](#footnote-ref-190)
191. () معاني القرآن للزجاج 1/396 [↑](#footnote-ref-191)
192. ()أحمد بن محمد بن علي الشوكاني: قاض، من فضلاء اليمانيين، من أهل صنعاء وهو ابن العلامة (الشوكاني) الكبير، نصب للقضاء في صنعاء زمناً، توفي سنة 1281هـ انظر الأعلام 1/246 [↑](#footnote-ref-192)
193. () فتح القدير للشوكاني 1/452 [↑](#footnote-ref-193)
194. () تفسير البغوي 2/113 [↑](#footnote-ref-194)
195. () تفسير مقاتل بن سليمان 3/28 [↑](#footnote-ref-195)
196. ()الشيخ العلامة المفسر هود بن مُحَكَّم بن هود الهَوَّاري و ( محكم ) بإسكان الحاء وتخفيف الكاف المكسورة أو المفتوحة ( مُحْكَم أو مُحْكِم )، على اختلاف بينهم وذكر بعضهم أن الأرجح هو مُحَكَّم بتشديد الكاف المفتوحة، وهذا ما رجحه كذلك أصحاب المعجم، بلغ الشيخ هود من المنزلة والرفعة شأوا بعيداً، يصفه الشيخ الشماخي قائلاً:" ومنهم هود بن محكم الهواري ... وهو عالم متفنن غائص، وهو صاحب التفسير المعروف، لم تحدد المصادر العام الذي ولد فيه الشيخ هود، ولكن يقدر أنه ولد في العقد الأول أو الثاني من القرن الثالث الهجري ( 200- 220هـ ) انظر كتاب: الإباضية في موكب التاريخ، لعلي يحيى معمر، المجلد الثالث، الحلقة الرابعة. [↑](#footnote-ref-196)
197. ()انظر تفسير الهواري عند قوله تعالى ﭽ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦﮧ ﭼ [↑](#footnote-ref-197)
198. () انظر تفسير ابن أطفيش عند قوله ﭽ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦﮧﭼ [↑](#footnote-ref-198)
199. () المرجع السابق. [↑](#footnote-ref-199)
200. ()الربيع بن حبيب بن عمرو الفراهيدي: عالم بالحديث، إباضي، من أعيان المئة الثانية للهجرة، من أهل البصرة. له كتاب في الحديث، سماه يوسف بن إبراهيم الرجلاني (الجامع الصحيح - ط) مع حاشية عليه لعبد الله بن حميد السالمي، جزءآن من أربعة، الأعلام للزركلي 3/14 [↑](#footnote-ref-200)
201. () مسند الربيع بن حبيب 1/164 [↑](#footnote-ref-201)
202. () مفاتيح الغيب 1/105 [↑](#footnote-ref-202)
203. () انظر بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية 1/38 [↑](#footnote-ref-203)
204. () أخرجه مسلم باب فى قوله عليه السلام (إن الله لا ينام) وفى قوله (حجابه النور لو كشفه لأحرق سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) رقم (463) 1/111 [↑](#footnote-ref-204)
205. () أخرجه البخاري باب ﭽ ﯪ ﯫ ﯬﭼ الرحمن: ٦٢ برقم (4878) 6/181، ومسلم باب إثبات رؤية المؤمنين فى الآخرة ربهم سبحانه وتعالى رقم (466) 1/112 [↑](#footnote-ref-205)
206. () تفسير ابن كثير 7/494 [↑](#footnote-ref-206)
207. () تفسير ابن كثير 6/261 [↑](#footnote-ref-207)
208. () تفسير السعدي 1/63 [↑](#footnote-ref-208)
209. () أضواء البيان 6/154 [↑](#footnote-ref-209)
210. () أخرجه البخاري برقم ( 4628 ) باب قوله تعالى ﭽ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﭼ الأنعام: ٦٥ 6/56. [↑](#footnote-ref-210)
211. () تفسير ابن عثيمين 6/47 [↑](#footnote-ref-211)
212. () تفسير ابن عثيمين 13/9 [↑](#footnote-ref-212)
213. () الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني، أبو القاسم، وهو تابعي جليل روى عن أنس وابن عمر وأبي هريرة، وجماعة من التابعين، وقيل إنه لم يصح له سماع من الصحابة حتى ولا من ابن عباس سماع، وإن كان قد روي أنه جاوره سبع سنين، وكان الضحاك إماماً في التفسير، قال الثوري: خذوا التفسير عن أربعة، مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك، وقال الإمام أحمد: هو ثقة، توفي سنة 105هـ انظر البداية والنهاية 9/249 والأعلام للزركلي 3/215 [↑](#footnote-ref-213)
214. () مسند الربيع بن حبيب 1/264 [↑](#footnote-ref-214)
215. () المرجع السابق. [↑](#footnote-ref-215)
216. () المرجع السابق. [↑](#footnote-ref-216)
217. () شرح العقيدة الواسطية صالح آل الشيخ 1/251 [↑](#footnote-ref-217)
218. () تفسير الطبري 2/460 [↑](#footnote-ref-218)
219. () يعني عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وهي قراءة شاذة كما هو معلوم. [↑](#footnote-ref-219)
220. () تفسير الطبري 22/212 [↑](#footnote-ref-220)
221. () معاني القرآن للفراء 3/116 [↑](#footnote-ref-221)
222. () أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ، شهاب الدين الشهير بالبناء: عالم بالقراآت، ولد ونشأ بدمياط، وأخذ عن علماء القاهرة والحجاز واليمن، وأقام بدمياط، وتوفي بالمدينة حاجا، ودفن في البقيع، سنة 1117هـ انظر الأعلام للزركلي 1/240 [↑](#footnote-ref-222)
223. () اتحاف فضلاء البشر 1/528 وتحبير التيسير في القراءات العشر 1/572 [↑](#footnote-ref-223)
224. () **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية 1/37** [↑](#footnote-ref-224)
225. () بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية 1/38 [↑](#footnote-ref-225)
226. () رواه البخاري باب قوله ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼ هود: ٧ الحديث رقم ( 407) 4/ 1724 [↑](#footnote-ref-226)
227. () أخرجه مسلم في صحيحه باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهى عن إدخال المشقة عليهم رقم (4825) [↑](#footnote-ref-227)
228. () تفسير الطبري 20/145 [↑](#footnote-ref-228)
229. () تفسير الطبري 10/454 [↑](#footnote-ref-229)
230. () تفسير البغوي 2/67 [↑](#footnote-ref-230)
231. () أضواء البيان 7/271 [↑](#footnote-ref-231)
232. **((** جابر بن زيد الأزدي البصري، أبو الشعثاء: تابعي فقيه، من الأئمة، من أهل البصرة، أصله من عُمان، صحب ابن عباس، وكان من بحور العلم، وصفه الشماخي (وهو من علماء الإباضية) بأنه أصل المذهب، وأسه الّذي قامت عليه آطامه، نفاه الحجاج إلى عمان، وفي كتاب الزهد للإمام أحمد: لما مات جابر ابن زيد قال قتادة: اليوم مات أعلم أهل العراق توفي سنة 93هـ انظر الأعلام للزركلي 2/104 [↑](#footnote-ref-232)
233. () مسند الربيع بن حبيب 1/160 [↑](#footnote-ref-233)
234. () تفسير الهواري عند قوله تعالى ﭽ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﭼ [↑](#footnote-ref-234)
235. () تفسير ابن أطفيش عند قوله تعالى ﭽ ﯢ ﯣ ﯤ ﭼ [↑](#footnote-ref-235)
236. () أخرجه البخاري باب تحاج آدم وموسى عند الله 8/126 ومسلم باب حجاج آدم وموسى 4/2042 [↑](#footnote-ref-236)
237. () أخرجه ابن ماجة (199) 1/72 وأحمد في مسنده (17630) 29/178 والنسائي في السنن الكبرى (7691) 7/156 وابن حبان (943) 3/222 والحاكم في المستدرك ( 1926) 1/706 وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وله شاهد بإسناد صحيح عن أنس بن مالك، وقال شعيب الأرنؤطي في تعليقه على صحيح ابن حبان: إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيحين ما خلا أبا ثور- واسمه إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي الفقيه صاحب الشافعي، وهو ثقه والألباني صححه في صحيح الجامع الصغير وزياداته 2/1002 [↑](#footnote-ref-237)
238. () تفسير الطبري 10/455 [↑](#footnote-ref-238)
239. () أضواء البيان 7/273 [↑](#footnote-ref-239)
240. () معاني القرآن وإعرابه للزجاج 4/323 [↑](#footnote-ref-240)
241. () انظر لسان العرب 3/76 [↑](#footnote-ref-241)
242. () أضواء البيان 7/442 [↑](#footnote-ref-242)
243. () تفسير الطبري 22/438 [↑](#footnote-ref-243)
244. () أخرجه البخاري باب كيف يعرض الإسلام على الصبي رقم (3057) 4/70 ومسلم باب ذكر الدجال وصفته 4/2247 [↑](#footnote-ref-244)
245. () أخرجه البخاري باب قول الله تعالى: {ولتصنع على عيني}(7407) 9/121 وأخرجه مسلم باب ذكر الدجال وصفته رقم (100) 4/2247 [↑](#footnote-ref-245)
246. () شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين 1/312 [↑](#footnote-ref-246)
247. () انظر الصواعق المرسلة 1/255 [↑](#footnote-ref-247)
248. () صحيح البخاري باب قوله تعالى ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭼ 9/121 ومسلم باب ذكر الدجال وصفته 4/2247 [↑](#footnote-ref-248)
249. () أخرجه مسلم في صحيحه باب ذكر ابن صياد 4/2245 والترمذي باب ما جاء في علامة الدجال 4/508 وقال حديث صحيح. [↑](#footnote-ref-249)
250. () انظر لوامع الأنوار البهية 1/240 الكشف المبدي 1/404 الصفات الإلهية في الكتاب والسنة 1/317 [↑](#footnote-ref-250)
251. () العلامة إمام المتكلمين، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى ابن أمير البصرة بلال بن أبي بردة ابن صاحب رسول الله أبي موسى عبد الله بن قيس بن حضار الأشعري، اليماني، البصري. قال الفقيه أبو بكر الصيرفي: كانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم، حتى نشأ الأشعري فحجرهم في أقماع السمسم، وعن ابن الباقلاني قال: أفضل أحوالي أن أفهم كلام الأشعري، قلت: رأيت لأبي الحسن أربعة تواليف في الأصول يذكر فيها قواعد مذهب السلف في الصفات، وقال فيها: تمر كما جاءت، ثم قال: وبذلك أقول، وبه أدين، ولا تؤول، توفي سنة 324هـ في بغداد انظر السير 11/392 والأعلام 4/263. [↑](#footnote-ref-251)
252. () هم المعطلة نفاة الصفات، سموا بالجهمية، نسبة إلى جهم بن صفوان، أبي محرز، مولي بني راسب، يلقبه البعض: بالترمذي، والبعض الآخر: بالسمرقندي، واتباعه يعرفون بالجهمية، نسبة إليه، وقد صار لقباً على معطلة الصفات عموما، باعتبار أن الجهمية هي أول من قالت بنفي الصفات، انظر: مقالات الإسلاميين (1/338) ، الفرق بين الفرق، ص (211) ، التبصرة في أصول الدين ص (63) [↑](#footnote-ref-252)
253. () الإبانة 1/22 [↑](#footnote-ref-253)
254. () تفسير الهواري عند قوله تعالى ﭽ ﰆ ﰇ ﰈ ﭼ [↑](#footnote-ref-254)
255. ()عند قوله تعالى ﭽﰆ ﰇ ﰈﭼ [↑](#footnote-ref-255)
256. () تفسير الطبري 19/26 [↑](#footnote-ref-256)
257. () معاني القرآن وإعرابه للزجاج 3/50 [↑](#footnote-ref-257)
258. () وجميع القراءات المتواترة لا تخرج عن هذه القراءة، أعني ضم التاء، وقد روي عن أبي جعفر إسكان اللام، انظر النشر في القراءات العشر 2/320 وتحبير التيسير 1/458. [↑](#footnote-ref-258)
259. () انظر تفسير الطبري 18/304 و الثعلبي 6/244 و البغوي 3/261 [↑](#footnote-ref-259)
260. () تفسير الطبري 22/488، يقول العلامة ابن عثيمين عند قوله تعالى ﭽ ﮋ ﮌ ﭼﭽ ﮋﭼ أي: تسير على هذا الماء العظيم الذي بلغ قمم الجبال، والتقى فيه ماء الأرض وماء السماء، ﭽ ﮌ ﭼ أي: ونحن نراها بأعيننا، ونكلأها ونحفظها، والباء في قوله: ﭽ ﮌ ﭼ للمصاحبة يعني أن عين الله - عز وجل - تصحب هذه السفينة، فيراها الله - عز وجل - ويكلأها ويحفظها، لأنها سفينة بنيت لتقوى الله - عز وجل - وإنجاء أولياءه من الغرق، الذي شمل أعداءه" تفسير ابن عثيمين 1/271 [↑](#footnote-ref-260)
261. () تفسير الطبري 22/581 [↑](#footnote-ref-261)
262. () الإمام الحافظ العلامة، شيخ التفسير، أبو إسحاق، أحمد بن محمد ابن إبراهيم النيسابوري، كان أحد أوعية العلم قال السمعاني: يقال له: الثعلبي والثعالبي، وهو لقب له لا نسب، توفي الثعلبي في المحرم سنة سبع وعشرين وأربع مائة، انظر السير 13/145 [↑](#footnote-ref-262)
263. () محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرٌح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي، من كبار المفسرين، توفي في أسيوط سنة 671هـ انظر الأعلام 5/322 [↑](#footnote-ref-263)
264. () عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد، أو أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي: قاض، مفسر، علامة توفي سنة 685هـ انظر الأعلام 4/110 [↑](#footnote-ref-264)
265. () تفسير الثعلبي 9/133 والقرطبي 17/78 والبيضاوي 5/156 معاني القرآن 5/68 [↑](#footnote-ref-265)
266. () تفسير الطبري 1/436 [↑](#footnote-ref-266)
267. ()مالك بن أنس بن مالك الاصبحي الحميري، أبو عبد الله: إمام دار الهجرة، وأحد الائمة الاربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب المالكية، مولده ووفاته في المدينة، كان صلبا في دينه، بعيدا عن الأمراء والملوك، وشي به فضربه سياطا انخلعت لها كتفه.توفي سنة 179 هـ السير 15/43 والأعلام للزركلي 5/257 [↑](#footnote-ref-267)
268. () تفسير البغوي 2/197 [↑](#footnote-ref-268)
269. () تفسير البغوي 3/5 [↑](#footnote-ref-269)
270. ()هذه المقولة تواترت عن الإمام مالك ـ رحمه الله ـ وهي قاعدة في جميع الصفات انظر التدمرية 1/43 وإعلام الموقعين 4/189. [↑](#footnote-ref-270)
271. () تفسير القرطبي 7/219 [↑](#footnote-ref-271)
272. () فتح القدير للشوكاني 2/240 [↑](#footnote-ref-272)
273. () انظر لسان العرب 8/146 والقاموس المحيط 1/938 [↑](#footnote-ref-273)
274. () ابن أبي عبد الرحمن فروخ الإمام, مفتي المدينة, وعالم الوقت, أبو عثمان. ويقال: أبو عبد الرحمن -القرشي, التيمي مولاهم, المشهور بربيعة الرأي, من موالي آل المنكدر. شيخ الإمام مالك، توفي بالهاشمية من أرض الأنبار سنة 136هـ انظر السير 6/248 والأعلام للزركلي 3/17 [↑](#footnote-ref-274)
275. () أضواء البيان 2/92 [↑](#footnote-ref-275)
276. () تفسير ابن اطفيش عند قوله تعالى ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ طه: ٥ وانظر مسند الجامع الصحيح للربيع بن حبيب 1/167 [↑](#footnote-ref-276)
277. () أبو عبد الله محمد ابن الإمام علي بن أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب وأمه: من سبي اليمامة زمن أبي بكر الصديق، وهي خولة بنت جعفر الحنفية، توفي سنة 80هـ ودفن بالبقيع انظر سير أعلام النبلاء 7/118 [↑](#footnote-ref-277)
278. () مسند الربيع بن حبيب 1/167 [↑](#footnote-ref-278)
279. () أخرجه البخاري كتاب بدء الخلق باب ما جاء في قول الله تعالى: ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ الروم: ٢٧ رقم (3191) 4/129. [↑](#footnote-ref-279)
280. () انظر المقالات لأبي الحسن الأشعري 1/168 [↑](#footnote-ref-280)
281. () محمد بن زياد، المعروف بابن الأعرابي، أبو عبد الله: راوية، ناسب، علامة باللغة. من أهل الكوفة، توفي سنة 231هـ الأعلام للزركلي 6/131 [↑](#footnote-ref-281)
282. () انظر اجتماع الجيوش لابن القيم 9/3 وانظر محاسن التفسير للقاسمي 5/74 [↑](#footnote-ref-282)
283. (( الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي، أبو عبد الرحمن: من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، أخذه من الموسيقى وكان عارفا بها، وهو أستاذ سيبويه النحويّ، ولد ومات في البصرة، سنة 170هـ انظر سير أعلام النبلاء 7/97، والأعلام للزركلي 2/314 . [↑](#footnote-ref-283)
284. () مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام 5/146 [↑](#footnote-ref-284)
285. () انظر زاد المسير في علم التفسير 2/493 [↑](#footnote-ref-285)
286. () انظر اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم 5/8 [↑](#footnote-ref-286)
287. () لم أقف على قائل لهذا البيت، ولم أجده في دواوين الشعر، وهو مشهور ومتداول في كتب العقيدة، وقد استدلت به المعتزلة على بعض معتقداتها. [↑](#footnote-ref-287)
288. () أخرجه ابن أبي يعلى في المسند برقم (2653) 5/61 وابن أبي شيبة في مصنفه (26540) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (مرسل) وضعفه الألباني في تخريج أحاديث شرح الطحاويه 1/315 [↑](#footnote-ref-288)
289. () ذكره عثمان بن سعيد في الرد على الجهمية 10/56 وابن القيم في تهذيبه لسنن أبي داوود 2/399 وذكر البكرجي أنه لا يروى من وجه صحيح يحتج به لأنه منقطع وضعيف انظر كتاب شرح ابن ماجة باب ما جاء في قراءة القرآن 1/758. [↑](#footnote-ref-289)
290. () مفاتيح الغيب 22/9 [↑](#footnote-ref-290)
291. () الحديث أصله في الصحيحين فقد أخرجه البخاري باب قول الله تعالى : ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭼ رقم (7434) 9/156 وأخرجه مسلم باب فضل صلاتى الصبح والعصر والمحافظة عليهما رقم (1464) 2/113. [↑](#footnote-ref-291)
292. () تفسير الطبري 12/20 [↑](#footnote-ref-292)
293. () تفسير البغوي 2/148 [↑](#footnote-ref-293)
294. () أضواء البيان 6/38 [↑](#footnote-ref-294)
295. () تفسير العثيمين 1/100 [↑](#footnote-ref-295)
296. () منهاج السنة 2/315 [↑](#footnote-ref-296)
297. () الكلابية هم: أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان، والكلابية يثبتون الأسماء والصفات لكن على طريقة أهل الكلام، لذلك يعدهم أهل السنة من متكلمة أهل الإثبات، ويوافقون أهل السنة في كثير من مسائل العقيدة، بل إنهم في مسائل القدر والأسماء والأحكام أقرب إلى أهل السنة من الأشاعرة، انظر مجموع الفتاوى 3/103 [↑](#footnote-ref-297)
298. () الأشعرية هم: أتباع أبي الحسن الأشعري الذين هم على مذهبه - قبل أن يرجع إلى معتقد أهل السنة - وهم في الجملة لا يثبتون من الصفات إلا سبعاً، ويؤولون بقية الصفات بتأويلات عقلية بالرغم من ورود النصوص فيها من الكتاب والسنة، كالوجه واليد وغيرهما من الصفات التي ثبتت لله تعالى كما يليق بجلاله، أثبتها لنفسه في كتابه وفي صحيح سنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، والأشاعرة يوافقون أهل السنة في غالب أصول الاعتقاد، عدا الصفات وبعض الأمور التي لا يتسع المقام لذكرها، وعلى الرغم من أن أبا الحسن الأشعري رجع إلى معتقد أهل السنة - كما بين في كتاب الإبانة - إلا أن اعتقاده الأول لا يزال متبوعاً، انظر سير أعلام النبلاء ترجمة الأشعري 15/85 وأقوال الأشعرية في الملل والنحل بهامش الفصل 1/119ـ 137 [↑](#footnote-ref-298)
299. () المرجع السابق [↑](#footnote-ref-299)
300. () الزيدية: أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة رضي الله عنها ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم إلا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمي عالم شجاع سخي خرج بالإمامة أن يكون إماماً واجب الطاعة سواء كان من أولاد الحسن أو من أولاد الحسين رضي الله عنهما، والزيدية إحدى فرق الشيعة، وقد افترقت فرقاً، انظر الملل والنحل 1/154ـ155 [↑](#footnote-ref-300)
301. () مقالات الإسلاميين 1/172 [↑](#footnote-ref-301)
302. () شرح الطحاوية 1/153 [↑](#footnote-ref-302)
303. () تفسير الزمخشري 1/585 وقوله (فتباً للمشبهة ورمياً بالصواعق) يعنى أهل السنة، حيث أجازوا على اللَّه الرؤية. [↑](#footnote-ref-303)
304. () تفسير أبي حيان 4/121 [↑](#footnote-ref-304)
305. () أضواء البيان 6/38 [↑](#footnote-ref-305)
306. () تفسير الطبري 12/14 [↑](#footnote-ref-306)
307. () تفسير الزمخشري 2/ 154 [↑](#footnote-ref-307)
308. () تفسير مقاتل بن سليمان 1/582 [↑](#footnote-ref-308)
309. () تفسير مقاتل بن سليمان 5/116 [↑](#footnote-ref-309)
310. () تفسير البغوي 3/174 [↑](#footnote-ref-310)
311. () الكشاف للزمخشري 2/154 [↑](#footnote-ref-311)
312. () المرجع السابق. [↑](#footnote-ref-312)
313. () التعرف لمذهب أهل التصوف لمحمد بن إسحق الحنفي 1/42 [↑](#footnote-ref-313)
314. () معالم أصول الدين 1/76 [↑](#footnote-ref-314)
315. () تفسير الثعلبي 4/276 [↑](#footnote-ref-315)
316. () تفسير السمعاني 2/212 [↑](#footnote-ref-316)
317. () أخرجه البخاري باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي (1379) 2/99 ومسلم باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه ( 2866 ) 4/2199. [↑](#footnote-ref-317)
318. () تفسير الطبري 21/395 [↑](#footnote-ref-318)
319. () تفسير ابن كثير 7/146 [↑](#footnote-ref-319)
320. () إسماعيل بن عبد الرحمن السدي: تابعي، حجازي الأصل، سكن الكوفة. قال فيه ابن تغري بردي: (صاحب التفسير والمغازي والسير، وكان إماما عارفا بالوقائع وأيام الناس توفي سنة 128هـ انظر سير أعلام النبلاء 17/88 والأعلام للزركلي 1/317 [↑](#footnote-ref-320)
321. ()أبو النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبي المفسر، وكان أيضاً رأساً في الأنساب إلا أنه شيعي, متروك الحديث، يروي عنه: ولده، هشام, وطائفة، أخذ عن: أبي صالح, وجرير, والفرزدق, وجماعة, وكان الثوري يروي عنه, ويدلسه فيقول: حدثنا أبو النضر، توفي سنة ست وأربعين ومائة، انظر السير 6/358 [↑](#footnote-ref-321)
322. () تفسير البغوي 4/113 [↑](#footnote-ref-322)
323. () تفسير السعدي 1/515 [↑](#footnote-ref-323)
324. () أضواء البيان 9/82 [↑](#footnote-ref-324)
325. () أخرجه أحمد في مسنده 41/66، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: صحيح على شرط البخاري 3/236 ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح 3/55، وقال الألباني: حديث صحيح، وهو على شرط الشيخين، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها 3/365 [↑](#footnote-ref-325)
326. () أخرجه مسلم باب استحباب التعوذ من عذاب القبر (584) 1/410 [↑](#footnote-ref-326)
327. () أخرجه البخاري باب ما جاء في عذاب القبر برقم (1372) 2/98. [↑](#footnote-ref-327)
328. () تفسير ابن كثير 7/147 [↑](#footnote-ref-328)
329. () وهذه المسألة محل خلاف بين العلماء ـ رحمهم الله ـ والجمهور على أن وقوعه على الروح والجسد عموماً، وابن حزم وابن هبيرة وبعض العلماء يرى أنه على الروح فقط، والله تعالى أعلم، انظر الفتح 3/235. [↑](#footnote-ref-329)
330. () انظر الفتح 3/235 [↑](#footnote-ref-330)
331. () تفسير الطبري 22/487 والبغوي 4/296 والقرطبي 17/78 [↑](#footnote-ref-331)
332. () تفسير الطبري 22/488 [↑](#footnote-ref-332)
333. () تفسير السعدي 1/818 [↑](#footnote-ref-333)
334. () أضواء البيان 7/461 [↑](#footnote-ref-334)
335. () تفسير ابن سعدي 1/264 وانظر تفسير هذه الآية عند الطبري 11/537 وابن كثير 3/302 [↑](#footnote-ref-335)
336. () تفسير ابن سعدي 1/515 [↑](#footnote-ref-336)
337. () أخرجه البخاري باب ما جاء في عذاب القبر ( 1369) 2/98 [↑](#footnote-ref-337)
338. ()أخرجه مسلم باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه (73) 4/2201 [↑](#footnote-ref-338)
339. () تفسير الطبري 16/589 [↑](#footnote-ref-339)
340. () تفسير السمعاني 3/115 [↑](#footnote-ref-340)
341. () تفسير البغوي 3/38 ـ 40 [↑](#footnote-ref-341)
342. () أخرجه البخاري باب ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ .... ﭼ برقم (4699) 6/80 ومسلم باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه برقم (2871) 4/2201. [↑](#footnote-ref-342)
343. () مفاتيح الغيب 19/94 [↑](#footnote-ref-343)
344. () انظر تفسير ابن كثير 4/494 ـ 505 والشوكاني 3/128 وابن سعدي 1/425. [↑](#footnote-ref-344)
345. () انظر قواعد الترجيح للحربي / [↑](#footnote-ref-345)
346. () أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (34187) 7/58 وأحمد (11334) 17/433 وابن أبي يعلى (6644) 11/521 وابن حبان (3122) 7/392 قال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أبو يعلى وفيه دراج وحديثه حسن واختلف فيه، والحديث حسنه الألباني أيضاً في صحيح الترغيب والترهيب 3/217 وكذلك في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان 5/102. [↑](#footnote-ref-346)
347. () تفسير الطبري 16/196 وابن أبي حاتم 7/2440 والدر المنثور 5/607 قال في إتحاف الخيرة: رواه مسدد، وله شاهد من حديث أبي هريرة رواه ابن حبان في صحيحه 2/515. [↑](#footnote-ref-347)
348. () تقدم تخريجه قريباً. [↑](#footnote-ref-348)
349. () تفسير الطبري 18/394 [↑](#footnote-ref-349)
350. () أخرجه البخاري باب الدعاء قبل السلام رقم (832) 1/166 وأخرجه مسلم باب ما يستعاذ منه في الصلاة رقم(129) 1/412 [↑](#footnote-ref-350)
351. () أخرجه البخاري باب ما جاء في عذاب القبر رقم (1372) 2/98 [↑](#footnote-ref-351)
352. () أخرجه البخاري باب التعوذ من عذاب القبر رقم (1376) 2/99 [↑](#footnote-ref-352)
353. () أخرجه مسلم باب استحباب التعوذ من عذاب القبر (125) 1/411 [↑](#footnote-ref-353)
354. () أخرجه البخاري باب عذاب القبر من الغيبة والبول (1378) 2/99 . [↑](#footnote-ref-354)
355. () انظر مقالات الإسلاميين 1/111 [↑](#footnote-ref-355)
356. () ضرار بن عمرو الغطفانيّ، قاض من كبار المعتزلة، طمع برياستهم في بلده، فلم يدركها، فخالفهم، فكفروه وطردوه، وصنف نحو ثلاثين كتابا، بعضها في الرد عليهم وعلى الخوارج، وفيها ما هو مقالات خبيثة، وشهد عليه الإمام أحمد بن حنبل عند القاضي سعيد بن عبد الرحمن الجمحيّ فأفتى بضرب عنقه، فهرب توفي سنة 190هـ انظر السير 8/531 والأعلام للزركلي 3/215 [↑](#footnote-ref-356)
357. () انظر الفصل 4/56 [↑](#footnote-ref-357)
358. () الفتح 3/233 [↑](#footnote-ref-358)
359. () وقليل منهم من ينفي ذلك يقول النفوسي في متن النونية ص (27):  
     وأما عذاب القبر ثبت جابر \*\*\* وضعفه بعض الأئمة بالوهن [↑](#footnote-ref-359)
360. () أخرجه ابن حبان في صحيحه (7034) 15/506 و الطحاوي في شرح مشكل الآثار (273) 1/248 وقال الهيثمي: فيه ابن لهيعة وفيه كلام 3/46 . [↑](#footnote-ref-360)
361. () لم أقف له على حديث بهذا اللفظ، ولكن روي من طريق المقدام بن معد كرب بسند صحيح كما عند الترمذي (1663) 4/187 وابن ماجة (2799) 2/935 وعبد الرزاق (9559) 5/265 وأحمد (17182) 28/419 وصححه الألباني في مشكاة المصابيح 2/1127 وفي صحيح الترغيب والترهيب 2/67. [↑](#footnote-ref-361)
362. () تفسير الهواري عند قوله تعالى ﭽ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢﭼ [↑](#footnote-ref-362)
363. () تفسير ابن أطفيش عند قوله تعالى ﭽ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢﭼ [↑](#footnote-ref-363)
364. () أخرجه البخاري برقم ( 4730 ) باب قوله ( وأنذرهم يوم الحسرة ) 6/93 ومسلم برقم ( 2849 ) باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء 4/2188 [↑](#footnote-ref-364)
365. () تفسير ابن كثير 7/261 [↑](#footnote-ref-365)
366. () تفسير الشوكاني 4/664 وانظر أضواء البيان 3/466 [↑](#footnote-ref-366)
367. () تفسير السمعاني 4/112 [↑](#footnote-ref-367)
368. () تفسير البغوي 3/513 [↑](#footnote-ref-368)
369. () تفسير القرطبي 13/232 [↑](#footnote-ref-369)
370. () أضواء البيان 2/177 [↑](#footnote-ref-370)
371. () أخرجه مسلم باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه (2867) 4/2199 . [↑](#footnote-ref-371)
372. () يقول ابن حزم في الفصل:" قول من يؤمن بالشفاعة أنه لا يجوز الاقتصار على بعض القرآن دون بعض، ولا على بعض السنن دون بعض، ولا على القرآن دون بيان رسول الله الذي قال له ربه عز وجل ﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭼ النحل: ٤٤ وقد نص الله تعالى على صحة الشفاعة في القرآن فقال تعالى ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ مريم: ٨٧ فأوجب عز وجل الشفاعة إلا من اتخذ عنده عهداً بالشفاعة وصحت بذلك الأخبار المتواترة المتناصرة بنقل الكواف لها قال تعالى ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ طه: ١٠٩ وقال تعالى ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭼ سبأ: ٢٣ فنص تعالى على أن الشفاعة يوم القيامة تنفع عنده عز وجل ممن أذن له فيها ورضي قوله" الفصل لابن حزم 4/53 [↑](#footnote-ref-372)
373. () أخرجه أبو داوود باب في الشفاعة (4739) 4/236 والترمذي (2435) 4/625 وأحمد (13222) 20/439 وابن حبان (6467) 14/386 والحاكم (228) 1/139 وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب 3/241 وكذا الجامع الصغير 1/691. [↑](#footnote-ref-373)
374. () أخرجه مسلم باب اختباء النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الشفاعة لأمته (338) 1/189 . [↑](#footnote-ref-374)
375. () تفسير الطبري 1/33 [↑](#footnote-ref-375)
376. () تفسير الطبري 5/384 [↑](#footnote-ref-376)
377. () تفسير البغوي 3/275 [↑](#footnote-ref-377)
378. () تفسير الرازي 22/102 [↑](#footnote-ref-378)
379. () تفسير الطبري 18/429 [↑](#footnote-ref-379)
380. () انظر تفسير الطبري 18/429 والسمعاني 3/376 والبغوي 3/286 والرازي 22/135 والقرطبي 11/281. [↑](#footnote-ref-380)
381. () الفتاوى الكبرى 3/48 [↑](#footnote-ref-381)
382. () الفصل في الملل 4/53 [↑](#footnote-ref-382)
383. () إعلام الموقعين 2/211 [↑](#footnote-ref-383)
384. (( جميع الأحاديث السالفة لم أقف لها على تخريج، ولا يخفى ما فيها من الإنقطاع ويكفي في هذا الحديث قول الإمام الألباني ـ رحمه الله ـ:" حديث (ليست الشفاعةُ لأهلِ الكبائرِ من أمتي)، باطل، من أحاديث الإباضية الواردة في (الجزء الرابع) من مسند الربيع بن حبيب (ص 279/1004) هكذا: جابر بن زيد عن النبي قال: ... فذكره، وزاد:" يحلف جابر عند ذلك: ما لأهل الكبائر شفاعة، لأن الله قد أوعد أهل الكبائر النار في كتابه، وإن جاء الحديث عن أنس بن مالك: أن الشفاعة لأهل الكبائر، فوالله ما عنى القتل، والزنى، والسحر، وما أوعد الله عليه النار) قلت: وهذا حديث باطل، لا أصل له عن رسول الله بل ولا نطق به جابر بن زيد التابعي الجليل، بل هو من أباطيل الإباضية الذين ليس عندهم من كتب الحديث - فضلاً عن الآثار - ما عند أهل السنة؛ التي يهتدي المسلم بها إلى معرفة إسلامه على الوجه الصحيح، وهذا هو المثال بين يديك - أيها القارئ! فإنه وحده يكفي كل منصف - ولو كان إباضياً - أن مذهبهم ليس على شيء؛ لأنه قائم على الاحتجاج بالأحاديث الباطلة، ورد الأحاديث الصحيحة؛ بل وعلى رد دلالات الآيات القرآنية بتعطيل معانيها الصريحة؛ بتأويلها وتحوير معانيها إلى ما يوافق أهواءهم، والأدلة على ذلك من الكثرة بحيث لا يمكن إحصاؤها، انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة 13/657 [↑](#footnote-ref-384)
385. () أخرجه البخاري برقم ( 6492 ) باب ما يتقى من محقرات الذنوب 8/103 [↑](#footnote-ref-385)
386. () تفسير ابن أطفيش عند قوله تعالى ﭽ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﭼ البقرة: ٤٨ [↑](#footnote-ref-386)
387. () تفسير الهواري عند قوله تعالى ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﭼ. [↑](#footnote-ref-387)
388. () سبق تخريج الحديثين ص ( 158 ). [↑](#footnote-ref-388)
389. () تفسير الطبري 1/33 [↑](#footnote-ref-389)
390. () أضواء البيان 1/35 [↑](#footnote-ref-390)
391. () تفسير الطبري 24/37 [↑](#footnote-ref-391)
392. () قال الزمخشري في أساس البلاغة (1/123 ):" جحرت الضباب، وانجحرت: دخلت في جحرتها، قال: ولا ترى الضب بها ينجحر، وأجحرها المطر. [↑](#footnote-ref-392)
393. () تفسير الرازي 27/503 [↑](#footnote-ref-393)
394. ( )تفسير الطبري 7/477 [↑](#footnote-ref-394)
395. () تفسير البغوي 2/152 [↑](#footnote-ref-395)
396. () تفسير القرطبي 4/316 [↑](#footnote-ref-396)
397. () تفسير البيضاوي 2/55 [↑](#footnote-ref-397)
398. () الفصل في الملل 4/68 [↑](#footnote-ref-398)
399. () تفسير الخليلي عند قوله تعالى ﭽ ﯹ ﯺ ﭼ [↑](#footnote-ref-399)
400. () تفسير ابن أطفيش عند قوله تعالى ﭽ ﭛ ﭜ ﭼ [↑](#footnote-ref-400)
401. () تفسير الطبري 12/346 [↑](#footnote-ref-401)
402. () أخرجه البخاري ( 3409 ) باب قول الله تعالى ﭽ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﭼ طه: ٩ 4/192 ومسلم (6912) باب حجاج آدم وموسى 8/49 [↑](#footnote-ref-402)
403. () تفسير السمعاني 1/68 [↑](#footnote-ref-403)
404. () تفسير القرطبي 1/299 [↑](#footnote-ref-404)
405. () تفسير الرازي 3/452 [↑](#footnote-ref-405)
406. () تفسير البيضاوي 1/72 [↑](#footnote-ref-406)
407. () ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، ويقال له أعشى بكر بن وائل، والأعشى الكبير، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات، عاش عمرا طويلا، وأدرك الإسلام ولم يسلم. ولقب بالأعشى لضعف بصره، وعمي في أواخر عمره، توفي سنة 7هـ انظر الأعلام للزركلي 7/341 [↑](#footnote-ref-407)
408. () وعجزه: كما استعان بريح عشرق زجل، والعشرق: شجر له حب صغار إذا جف صوت بمر الريح، انظر لسان العرب 6/254 والصحاح 3/988 [↑](#footnote-ref-408)
409. () انظر تفسير ابن كثير 3/397 وتفسير البيضاوي 1/72 وتفسير الشوكاني 2/221 [↑](#footnote-ref-409)
410. () تفسير ابن كثير 1/202 [↑](#footnote-ref-410)
411. () تفسير السمعاني 1/59 [↑](#footnote-ref-411)
412. () تفسير الرازي 2/356 [↑](#footnote-ref-412)
413. () مفاتيح الغيب 10/11 [↑](#footnote-ref-413)
414. () الذي في مسلم عن أبي هريرة قال: كنا مع رسول الله ، إذ سمع وجبة، فقال النبي : تدرون ماهذا؟ قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفا، فهو يهوي في النار الآن، حتى انتهى إلى قعرها) رقم (2844) باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين 4/2184 [↑](#footnote-ref-414)
415. () برقم ( 4850 ) باب قوله: ﭽ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﭼ 6/138 [↑](#footnote-ref-415)
416. () تفسير القرطبي 1/236 [↑](#footnote-ref-416)
417. () تفسير البيضاوي 1/59 [↑](#footnote-ref-417)
418. () تفسير ابن سعدي 1/45 [↑](#footnote-ref-418)
419. () أخرجه مسلم في صحيحه (904) باب ما عرض على النبي في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار 2/622 [↑](#footnote-ref-419)
420. () أخرجه البخاري برقم (304) باب ترك الحائض الصوم 1/68 ومسلم (79 ) باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات 1/86 [↑](#footnote-ref-420)
421. () أخرجه مسلم برقم ( 2843 ) باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين 4/2184 [↑](#footnote-ref-421)
422. () أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل 1/59 [↑](#footnote-ref-422)
423. () أخرجه البخاري برقم (5226) باب الغيرة 7/36 ومسلم برقم ( 2394 ) باب من فضائل عمر 4/1862 [↑](#footnote-ref-423)
424. () أخرجه البخاري برقم ( 6581 ) باب في الحوض 8/120 [↑](#footnote-ref-424)
425. () أخرجه مسلم عن عبد الله بن عمر برقم ( 1887 ) باب باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة، وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون 3/1502 [↑](#footnote-ref-425)
426. () أخرجه البخاري برقم ( 1379 ) باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي 2/99 ومسلم برقم (2866 ) باب اب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه 4/2199 [↑](#footnote-ref-426)
427. ()وهذا ما قاله عبد العزيز الكناني ـ رحمه الله ـ في مناظرته مع بشر المريسي أمام المأمون قال:" وكذلك أقول لبشر: أتل قرآنا بما قلت، وإلاّ فإن إمساك القرآن عما تدعيه مكذب لك مبطل لدعواك، وكذلك ننظر في سنة الرسول عليه السلام فإن كان معه سنة من رسول الله بها قال، وإلاّ فإمساك السنة مكذب لقوله مبطل لدعواه وهما الأصل الذي أصلناه بيننا وأشهدنا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه على أنفسنا به وشرطنا على أنفسنا إسقاط كل ما لم يوجد في كتاب الله وسنة رسوله " انظر الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن ص (58 ). [↑](#footnote-ref-427)
428. () القول بخلق القرآن كفر، لأن القرآن كلام الله وهو صفة من صفاته، وصفاته من ذاته، ولكن علماء السلف يفرقون بين القول والقائل، فالقول قد يكون كفراً، أما القائل المعين فلا يحكم بكفره إلا بعد قيام الحجة عليه، وإزالة الشبهة عنه، ومن هنا نجد إن العلماء حكموا على الجهم بن صفوان بالكفر لقيام الحجة عليه، وكذلك الحكم على غيره ممن قامت عليهم الحجة، وانظر هذه القاعدة العظيمة في هذا الباب من قول شيخ الإسلام ابن تيمية. الفتاوى 12/ 466. [↑](#footnote-ref-428)
429. () انظر الصفدية لشيخ الإسلام ابن تيمية 2/55 [↑](#footnote-ref-429)
430. () الجعد بن درهم مؤدب مروان الحمار وهو أول من ابتدع بأن الله ما اتخذ إبراهيم خليلا, ولا كلم موسى, وأن ذلك لا يجوز على الله، قال المدائني: كان زنديقاً وقد قال له وهب: إني لأظنك من الهالكين, لو لم يخبرنا الله أن له يداً, وأن له عيناً ما قلنا ذلك ثم لم يلبث الجعد أن صلب، قتله خالد القسري سنة 118هـ انظر السير 6/151 والأعلام 2/120. [↑](#footnote-ref-430)
431. () انظر البداية والنهاية 10/21 وتاريخ دمشق لابن عساكر 72/99 والعقود الدرية 1/102 والوافي بالوفيات 11/68 وطبقات الشافعية للسبكي 9/72. [↑](#footnote-ref-431)
432. () بشر بن غياث بن أبي كريمة أبو عبد الرحمن المريسي المتكلم شيخ المعتزلة، وأحد من أضل المأمون، وقد كان هذا الرجل ينظر أولا في شئ من الفقه، وأخذ عن أبي يوسف القاضي، وروى الحديث عنه وعن حماد بن سلمة وسفيان بن عيينة وغيرهم، ثم غلب عليه علم الكلام، وقد نهاه الشافعي عن تعلمه وتعاطيه فلم يقبل منه، ت 218هـ انظر البداية والنهاية 10/308. [↑](#footnote-ref-432)
433. () مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية 3/20 [↑](#footnote-ref-433)
434. () لمعة الاعتقاد 17 [↑](#footnote-ref-434)
435. () تفسير الطبري 11/459 [↑](#footnote-ref-435)
436. () تفسير البغوي 3/161 [↑](#footnote-ref-436)
437. () تفسير القرطبي 1/4 [↑](#footnote-ref-437)
438. () تفسير ابن عطية 5/223 [↑](#footnote-ref-438)
439. () أخرجه الطبراني في الأوسط برقم ( 7574 ) 7/307 والبيهقي في الشعب (2097 ) 3/549، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: فيه نهشل وهو متروك 7/163 وقال الألباني في السلسلة الضعيفة: موضوع 5/370. [↑](#footnote-ref-439)
440. () تفسير القاسمي 3/451 [↑](#footnote-ref-440)
441. () انظر مقالات الإسلاميين 203 [↑](#footnote-ref-441)
442. () عمرو بن جميع، أبو حفص من فقهاء الإباضية، من أهل جزيرة (جربة) في المغرب، توفي بها، ودفن بمقبرة جامع تفروجين بجهة والغ القديمة، من الجزيرة سنة قام بترجمة «عقيدة التوحيد« المنسوبة إليه – من البربريـَّة إلى العربيـَّة التي ألــِّفت في أواخر القرن الثاني من الهجرة، وهي أولى المتون التي كان يحفظها التلاميذ في جميع قصور وادي ميزاب،انظر الأعلام للزركلي 2/137 [↑](#footnote-ref-442)
443. () مقدمة التوحيد 19 [↑](#footnote-ref-443)
444. () يوسف بن إبراهيم السدراتي والوارجلاني من أهل وارجلان، هو الذي قام بترتيب مسند الربيع ,اضاف عليه أحاديث، وكان متهماً بالسحر والتنجيم والله أعلم توفي عام 570هـ انظر مسند الربيع 1/12 [↑](#footnote-ref-444)
445. () الدليل لأهل العقول ص (50 ) ثم انظر ص (68 ) و ص ( 72 ) [↑](#footnote-ref-445)
446. () العقود الفضية ص 287 [↑](#footnote-ref-446)
447. () تفسير ابن عطية 3/90 [↑](#footnote-ref-447)
448. () تفسير السعدي 1/728 [↑](#footnote-ref-448)
449. () تفسير الطبري 11/459 [↑](#footnote-ref-449)
450. () تفسير القرطبي 7/222 [↑](#footnote-ref-450)
451. () تفسير القاسمي 3/465 [↑](#footnote-ref-451)
452. () انظر الفتاوى الكبرى 6/381 والحيدة 69 [↑](#footnote-ref-452)
453. () مجموع الفتاوى 12/126 [↑](#footnote-ref-453)
454. () تفسير الطبري 22/8 والسعدي 1/771 والشنقيطي 7/172 [↑](#footnote-ref-454)
455. () تفسير ابن عطية 5/ 68 [↑](#footnote-ref-455)
456. () انظر تفسير ابن كثير 1/501 والطبري 22/7 والبغوي 1/217 والرازي (5/252ـ 27/652) والقرطبي (2/297 ـ 16/126) والبيضاوي 5/99 [↑](#footnote-ref-456)
457. () برقم (7937 ) باب كم بين نزول أول القرآن وبين آخره 7/247. [↑](#footnote-ref-457)
458. () برقم (2881 ) 2/242 وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. [↑](#footnote-ref-458)
459. () تفسير القرطبي 2/297 [↑](#footnote-ref-459)
460. () تفسير الشوكاني 5/41 [↑](#footnote-ref-460)
461. () تفسير البغوي 5/306 [↑](#footnote-ref-461)
462. () تفسير القرطبي 15/249 [↑](#footnote-ref-462)
463. () تفسير ابن كثير 5/332 [↑](#footnote-ref-463)
464. () تفسير القرطبي 11/268 [↑](#footnote-ref-464)
465. () انظر تفسير البغوي 5/306 [↑](#footnote-ref-465)
466. () تفسير القرطبي 11/268 [↑](#footnote-ref-466)
467. () انظر تفسير القرطبي 11/268 [↑](#footnote-ref-467)
468. () أخرجه البخاري (6539) باب من نوقش الحساب فقد عذب 8/112 وأخرجه مسلم برقم (1016) باب باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار 2/703 . [↑](#footnote-ref-468)
469. () أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم ( 37 ) ذكر وصف أهل السماوات عند نزول الوحي 1/224 تحقيق شعيب الأرنؤوط وقال: إسناده صحيح، علي بن الحسين: صدوق، ثقة، روى له أبو داود، وابن ماجة، وباقي السند على شرطهما، وأبو معاوية: هو محمد بن خازم الضرير الكوفي، وكان أحفظ الناس لحديث الأعمش، ومسلم: هو ابن صبيح الهمداني أبو الضحى، ومسروق: هو ابن الأجدع بن مالك الهمداني، والحديث أخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد 1/351 باب من صفة تكلم الله بالوحي، والبيهقي في الأسماء والصفات 1/506 والدارمي في الرد على الجهمية 1/173 وقال الألباني في التعليقات الحسان: ( صحيح ) 1/167. [↑](#footnote-ref-469)
470. () في قولته: " الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عن الكيفية بدعة" انظر التدمرية 1/43 والفتاوى الكبرى 6/468 واجتماع الجيوش 2/263 . [↑](#footnote-ref-470)
471. () انظر الصواعق المرسلة 3/924 ومجموع الفتاوى 17/374 [↑](#footnote-ref-471)
472. () كتاب التوحيد لابن خزيمة 1/349 [↑](#footnote-ref-472)
473. () أخرجه مسلم برقم (8) باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر 1/36 وفيه ( وأن تؤمن بالقدر خيره وشره ) [↑](#footnote-ref-473)
474. () رواه مسلم ( 2653 ) باب حجاج آدم وموسى 4/2044 [↑](#footnote-ref-474)
475. () وهذا الخلاف معلوم ومشهور، وهو ما وقع بين الجبرية الذين يرون أن العبد مجبور على فعله، وبين القدرية الذين يرون أن الله لا يعلم بفعل العبد إلا بعد وقوعه منه، ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ، وأما أهل السنة فكعادتهم في جمع أدلة الكتاب والسنة ورد المتشابه من الكتاب إلى المحكم، فهم يرون أن العبد مسير مخير، له الخيار في طريق الخير والشر، ولكنه في سلوك أحدهما لن يكون خارجاً عن مشيئة الله وإذنه وتوفيقه. انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية 16/235 [↑](#footnote-ref-475)
476. () أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ( 25 ) وابن أبي عاصم في السنة (257و 358 ) وصححه الألباني في الصحيحة ( 1637). [↑](#footnote-ref-476)
477. () انظر الدرة البهية شرح القصيدة التائية ص 18 [↑](#footnote-ref-477)
478. () تفسير الشنقيطي 7/95 [↑](#footnote-ref-478)
479. () تفسير الطبري 12/93 [↑](#footnote-ref-479)
480. () يقصد بأهل الإثبات أهل السنة والجماعة الذين أثبتوا الصفات. [↑](#footnote-ref-480)
481. () تفسير الطبري 16/512 [↑](#footnote-ref-481)
482. () تفسير البغوي 4/35 [↑](#footnote-ref-482)
483. () القاضي، أبو محمد يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم الأزدي مولاهم، البصري الأصل، البغدادي، ت 297 انظر السير 11/54 [↑](#footnote-ref-483)
484. () تفسير ابن عطية 4/479 [↑](#footnote-ref-484)
485. () تفسير ابن عطية 1/131 [↑](#footnote-ref-485)
486. () تفسير ابن عطية 2/511 [↑](#footnote-ref-486)
487. () سيأتي معنا قريباً أن الميمونية هم أتباع ميمون بن خالد، والحمزية أتباع حمزة بن أكرك، والحارثية أتباع حارث بن مزيد الإباضي، والشيبانية أتباع شبيب بن أبي نعيم الشيباني. [↑](#footnote-ref-487)
488. () مقالات الإسلاميين 1/89 [↑](#footnote-ref-488)
489. () ويقال: (ميمون بن عمران): رأس الفرقة (الميمونية) وهي من فرق (العجاردة) وهؤلاء من (العطوية) أصحاب عطية ابن الأسود، من الخوارج، تنسب إليه أقوال شنيعة، منها أن سورة (يوسف) ليست من القرآن توفي سنة 100 هـ انظر الأعلام للزركلي 7/341 [↑](#footnote-ref-489)
490. () الملل والنحل 1/129 [↑](#footnote-ref-490)
491. () مقالات الإسلاميين 1/97 [↑](#footnote-ref-491)
492. () شبيب ابن أبي نعيم الشيباني، رأس الخوارج بالجزيرة, وفارس زمانه، بعث لحربه الحجاج خمسة قواد، فقتلهم واحداً بعد واحد، ثم سار إلى الكوفة، وحاصر الحجاج، غرق شبيب, في القتال بدجيل، سنة سبع وسبعين، وله إحدى وخمسون سنة.انظر السير 5/77 والأعلام 3/156 [↑](#footnote-ref-492)
493. () وجميع هذه الأقوال ذكرها الأشعري في مقالاته 1/127 [↑](#footnote-ref-493)
494. () الفصل لابن حزم 3/14 [↑](#footnote-ref-494)
495. () الملل والنحل 1/133 [↑](#footnote-ref-495)
496. () انظر الملل والنحل 1/131 وانظر مقالات الإسلاميين 1/89 وكتاب الفرق بين الفرق 1/74 [↑](#footnote-ref-496)
497. () المقالات 1/89 [↑](#footnote-ref-497)
498. () الملل 1/130 [↑](#footnote-ref-498)
499. () انظر المقالات 1/91 والملل 1/134 [↑](#footnote-ref-499)
500. () انظر مقالات الإسلاميين 1/99 [↑](#footnote-ref-500)
501. () انظر الفرق بين الفرق للبغدادي 1/84 [↑](#footnote-ref-501)
502. ()علي يحي معمر ولد بقرية (تكويت) من إقليم نالوت من الجبل الغربي بطرابلس سنة 1337 هـ الموافق لـ1919 م له العديد من المؤلفات توفي في 27صفر1400ه في موكب التاريخ ح1ـ4 ومن (موقع مكتبة إزكي الإلكترونية). [↑](#footnote-ref-502)
503. () الإباضية بين الفرق ص ( 248 ) [↑](#footnote-ref-503)
504. () مهدي النفوسي الويغوي، لم تذكر المصادر نسبه كاملاً، عاش في القرن الهجري الثاني، ويظهر من نسبه أنه من أهل قرية (ويغو) الواقعة بجبل نفوسة، وتحديداً بجبل شروس الواقع بجبل نفوسة، يُقال أنه كان بارعاً في مناظراته واشتهر بذلك، وقد قتل في حصار الإمام عبد الوهاب لمدينة طرابلس سنة 196هـ، من موقع أشعة من الفكر الإباضي. [↑](#footnote-ref-504)
505. () متن النونية ص ( 12 ) [↑](#footnote-ref-505)
506. () لم أقف له على ترجمة. [↑](#footnote-ref-506)
507. ( )الحجة في بيان المحجة ص ( 23 ) [↑](#footnote-ref-507)
508. () تفسير القرطبي 15/236 [↑](#footnote-ref-508)
509. () تفسير ابن عطية 4/521 [↑](#footnote-ref-509)
510. ()تفسير الرازي 26/426 [↑](#footnote-ref-510)
511. () انظر تفسير الطبري 21/260 [↑](#footnote-ref-511)
512. () تفسير البغوي 4/80 [↑](#footnote-ref-512)
513. () تفسير الطبري 21/260 [↑](#footnote-ref-513)
514. () تفسير ابن عطية 4/520 [↑](#footnote-ref-514)
515. () محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي أبو علي: من أئمة المعتزلة، ورئيس علماء الكلام في عصره، وإليه نسبة الطائفة (الجبائية)، له مقالات وآراء انفرد بها في المذهب، نسبته إلى جبى (من قرى البصرة) اشتهر في البصرة، ودفن بجبى، له (تفسير) حافل مطول، ردّ عليه الأشعري توفي سنة 303هـ انظر السير 11/113 الأعلام للزركلي 6/256 . [↑](#footnote-ref-515)
516. () تفسير الرازي 26/425 [↑](#footnote-ref-516)
517. () تفسير الشوكاني 4/518 [↑](#footnote-ref-517)
518. () تفسير الطبري 12/210 [↑](#footnote-ref-518)
519. () تفسير البغوي 2/169 [↑](#footnote-ref-519)
520. () تفسير ابن عطية 2/359 [↑](#footnote-ref-520)
521. () تفسير القرطبي 7/129 والبيضاوي 2/187 والبحر المحيط 4/681 [↑](#footnote-ref-521)
522. () تفسير ابن كثير 3/358 [↑](#footnote-ref-522)
523. () تفسير ابن كثير 3/358 [↑](#footnote-ref-523)
524. () مرهم العلل 1/114 [↑](#footnote-ref-524)
525. () تفسير البغوي 2/169 [↑](#footnote-ref-525)
526. () تفسير ابن عطية 2/359 [↑](#footnote-ref-526)
527. () تفسير السعدي 1/278 [↑](#footnote-ref-527)
528. () تفسير البغوي 5/125 [↑](#footnote-ref-528)
529. () تفسير ابن عطية 338 [↑](#footnote-ref-529)
530. () تفسير الرازي 30/582 [↑](#footnote-ref-530)
531. () تفسير الشوكاني 5/309 وانظر تفسير القرطبي 18/208 والبيضاوي 5/228 [↑](#footnote-ref-531)
532. () تفسير الرازي 30/582 [↑](#footnote-ref-532)
533. () ومنهم محمد بن نصر المروزي، وسفيان الثوري، والبخاري، والمزني، وابن عبد البر، انظر جامع العلوم والحكم ص170، وروي عن الشافعي، انظر فتح الباري (1/114-115). [↑](#footnote-ref-533)
534. () انظر اعتقاد أئمة الحديث 1/67 . [↑](#footnote-ref-534)
535. () الحديث أخرجه مسلم برقم (150) باب تألف قلب من يخاف على إيمانه 1/132ونصه (قسم رسول الله قسماً، فقلت: يا رسول الله، أعط فلانا فإنه مؤمن، فقال النبي : أو مسلم أقولها ثلاثا، ويرددها علي ثلاثا أو مسلم ). [↑](#footnote-ref-535)
536. () الملل لابن حزم 3/125 [↑](#footnote-ref-536)
537. () أخرجه البخاري برقم (50) باب سؤال جبريل 1/19 ومسلم برقم (8) باب معرفة الإيمان والإسلام 1/36 [↑](#footnote-ref-537)
538. () أخرجه مسلم برقم ( 35 ) باب شعب الإيمان 1/63 [↑](#footnote-ref-538)
539. () مجموع الفتاوى 7/13-15 . [↑](#footnote-ref-539)
540. () مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين 4/92. [↑](#footnote-ref-540)
541. () جامع المسائل 6/221 [↑](#footnote-ref-541)
542. () تفسير القرطبي 2/134 [↑](#footnote-ref-542)
543. () تقدم تخريجه ص [↑](#footnote-ref-543)
544. () وقد أخرجه البخاري في مواضع من كتابه برقم (3510) باب وفد عبد القيس 4/181 ومسلم برقم (17) باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله 1/46 [↑](#footnote-ref-544)
545. () تقدم تخريجه. [↑](#footnote-ref-545)
546. () برقم ( 65 ) باب في الإيمان 1/25 قال الألباني ( موضوع ) سلسلة ألأحاديث الضعيفة والموضوعة 5/295 [↑](#footnote-ref-546)
547. () تفسير القرطبي 4/44 [↑](#footnote-ref-547)
548. () تفسير الرازي 14/340 [↑](#footnote-ref-548)
549. () أخرجه البخاري برقم (2475) باب النهبى بغير إذن صاحبه 3/135 ومسلم برقم (57) باب أن الدين النصيحة 1/76 . [↑](#footnote-ref-549)
550. () تفسير ابن كثير 6/418 [↑](#footnote-ref-550)
551. () تفسير الشوكاني 5/107 [↑](#footnote-ref-551)
552. () تفسير القرطبي 2/134 [↑](#footnote-ref-552)
553. () تفسير ابن عطية 2/155 [↑](#footnote-ref-553)
554. () تفسير القرطبي 2/126 [↑](#footnote-ref-554)
555. () تفسير ابن كثير 7/422 والقرطبي 2/134 [↑](#footnote-ref-555)
556. () تفسير القرطبي 17/48 [↑](#footnote-ref-556)
557. () تفسير البيضاوي 5/149 [↑](#footnote-ref-557)
558. () تفسير الزمخشري 4/402 [↑](#footnote-ref-558)
559. () تفسير ابن إطفيش عند قوله تعالى ﭽ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭼ [↑](#footnote-ref-559)
560. () من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية بتصرف يسير كتاب الإيمان 1/295 [↑](#footnote-ref-560)
561. () تفسير الشنقيطي 7/141 [↑](#footnote-ref-561)
562. () انظر: القاموس المحيط 2 / 124 ، ولسان العرب 3 / 212 . [↑](#footnote-ref-562)
563. () انظر: لسان العرب 3 /212 ، وانظر القاموس المحيط 2 / 124 [↑](#footnote-ref-563)
564. () تفسير الطبري 5 / 27 ، وتفسير القرطبي 5 / 159 ، شرح صحيح مسلم للنووي 2 / 58 [↑](#footnote-ref-564)
565. () تفسير القرطبي 3 / 160 - 161   
      [↑](#footnote-ref-565)
566. () شرح الطحاوية 4/221 [↑](#footnote-ref-566)
567. () أخرجه البخاري برقم (2449 ) باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له، هل يبين مظلمته 3/129 [↑](#footnote-ref-567)
568. () أخرجه مسلم برقم (2581) باب تحريم الظلم 4/1997 [↑](#footnote-ref-568)
569. () تفسير الطبري 8/448 [↑](#footnote-ref-569)
570. () تفسير القرطبي 5/386 [↑](#footnote-ref-570)
571. () المبحث الثاني، الفصل الثاني، من الباب الأول ص (155). [↑](#footnote-ref-571)
572. () الحديث أخرجه البخاري برقم 6559 باب صفة الجنة والنار 8/115 [↑](#footnote-ref-572)
573. () تفسير الطبري 15/482 [↑](#footnote-ref-573)
574. () تفسير القرطبي 5/386 [↑](#footnote-ref-574)
575. () مقالات الإسلاميين 1/109 [↑](#footnote-ref-575)
576. () التبصير في الدين 1/29 [↑](#footnote-ref-576)
577. () الفتاوى 7/ 494 ـ 495 [↑](#footnote-ref-577)
578. () تفسير ابن عطية 2/179 [↑](#footnote-ref-578)
579. () تفسير ابن كثير 3/85 [↑](#footnote-ref-579)
580. () تفسير السعدي 1/228 [↑](#footnote-ref-580)
581. () انظر تفسير الطبري 6/47 [↑](#footnote-ref-581)
582. () تفسير الطبري 6/51 [↑](#footnote-ref-582)
583. () تفسير البغوي 1/476 [↑](#footnote-ref-583)
584. () وهو ما روي عن النبي أنه قال: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ فقام رجل من هذيل، فقال: يا رسول الله، من تركه كفر؟ قال: من تركه ولا يخاف عقوبته، ومن حج ولا يرجو ثوابه، فهو ذاك) قال أحمد شاكر:" وفيه نفيع بن الحارث، أبو داود الأعمى الهمداني القاص، روى عن عمران بن حصين ومعقل بن يسار وابن عباس وابن عمر، وروى عنه أبو إسحاق والأعمش والثوري. قال أبو حاتم: "منكر الحديث ضعيف الحديث". وقال النسائي: "ليس بثقة، ولا يكتب حديثه"، وقال ابن حبان: "يروى عن الثقات الموضوعات توهماً، لا يجوز الاحتجاج به" وقال ابن عبد البر: "أجمعوا على ضعفه، وكذبه بعضهم، وأجمعوا على ترك الرواية عنه". انظر تفسير الطبري 6/49 [↑](#footnote-ref-584)
585. () تفسير الطبري 9/61 وشرح أصول اعتقاد أهل السنة 6/1125 [↑](#footnote-ref-585)
586. () مقيس الفهري، والأشهر السهمي، وهو واحد، لأنه من بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر. [↑](#footnote-ref-586)
587. () من الأيد وهو القوة، ومنه قوله تعالى ﭽ ﯰ ﯱ ﯲ ﭼ الذاريات: ٤٧ [↑](#footnote-ref-587)
588. () سيرة ابن هشام (3 / 305، 306) تاريخ الطبري3 / 66 معجم البلدان (فارع) ، وهو آخر أبيات أربعة هي:

     شفى النفس أن قد بات بالقاع مسندا ... تضرج ثوبيه دماء الأخادع

     وكانت هموم النفس من قبل قتلـه ... تلم فتحميني وطاء المضاجع

     حللت به وتري، وأدركت ثؤرتي ... وكنت إلى الأوثان أول راجع

     ثأرت به فهرا .................، والصواب: أنه إنما قتل قاتل أخيه هشام بن صبابة، قالوا: اسمه"أوس"، لا"فهر"، أما "فهر" في قوله: "ثأرت به فهرا" فإنه يعني أبناء فهر، وهم رهطه، أدرك ثأرهم بقتله الأنصاري، وفي مطبوعة تاريخ الطبري"قهرا" بالقاف، والصواب بالفاء، و"فارع" أطم بالمدينة لبني النجار، كان لحسان بن ثابت ، ذكره في شعره. [↑](#footnote-ref-588)
589. () تفسير الطبري 9/61 والبيهقي في شعب الإيمان 1/468 والواحدي في أسباب النزول 1/174 وقد ذكره الطبري عن عكرمة بدون إسناد، والبيهقي والواحدي رووه عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، والكلبي متروك ومتهم فالحديث واهٍ وضعيف. [↑](#footnote-ref-589)
590. () أخرجه البخاري برقم (3470) باب حديث الغار 4/174 ومسلم برقم (2766) باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله 4/2118 واللفظ له. [↑](#footnote-ref-590)
591. () تفسير الطبري 9/67 [↑](#footnote-ref-591)
592. () البيت لعامر بن الطفيل كما في اللسان 14/223 وتاج العروس 1/207 [↑](#footnote-ref-592)
593. () تفسير البغوي 1/679 [↑](#footnote-ref-593)
594. () تفسير الطبري 9/69 [↑](#footnote-ref-594)
595. () تفسير البغوي 1/679 [↑](#footnote-ref-595)
596. () شامل الأصل والفرع ص25 [↑](#footnote-ref-596)
597. () برقم (34) باب علامة المنافق 1/16 [↑](#footnote-ref-597)
598. () برقم (106) باب بيان خصال المنافق 1/78 [↑](#footnote-ref-598)
599. () برقم (4688) باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه 4/221 [↑](#footnote-ref-599)
600. () برقم (2632) باب ما جاء في علامة المنافق 5/19 [↑](#footnote-ref-600)
601. () برقم (5020) علامة المنافق 8/116 [↑](#footnote-ref-601)
602. () برقم (6768) 11/380 [↑](#footnote-ref-602)
603. () الإباضية بين الفرق 322 [↑](#footnote-ref-603)
604. () الفصل 3/128 [↑](#footnote-ref-604)
605. () عبد الجبار ابن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن خليل، العلامة المتكلم، شيخ المعتزلة، أبو الحسن الهمذاني، صاحب التصانيف، من كبار فقهاء الشافعية. مات في ذي القعدة سنة 415هـ، انظر سير أعلام النبلاء 13/42 [↑](#footnote-ref-605)
606. () شرح الأصول الخمسة 137 [↑](#footnote-ref-606)
607. () شرح الأصول الخمسة 697 [↑](#footnote-ref-607)
608. () الحسن ابن الأمير السيد علي ابن المرتضى أبي الحسين ابن علي العلوي، الحسني، البغدادي، توفي في شعبان، سنة 630هـ وله ست وثمانون سنة، انظر سير أعلام النبلاء 16/251. [↑](#footnote-ref-608)
609. () المنية والأمل لابن المرتضى ص (6) [↑](#footnote-ref-609)
610. () الفصل في الملل 1/22 [↑](#footnote-ref-610)
611. ()الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها للدكتور غالب العواجي ص (352 ) [↑](#footnote-ref-611)
612. ()هو الشّيخ تبغورين بن عيسى بن داوود الملشوطي نسبة إلى بلدة يُقال لها ملشوطة وهو من علماء الإباضية في القرن الخامس الهجري عاش الشّيخ تبغورين في النّصف الثّاني من القرن الخامس الهجري في الجنوب الجزائري, متنقّلا بين ورجلان وبلاد سوف ودرجين بنفطة من بلاد تونس وقرى تلك المدن التي حوت فرقا عديدة ذكرها المؤرّخون من أهل السنّة وكتب السّير من الإباضيّة الشّمّاخي: السّير (ص: 432 و440). [↑](#footnote-ref-612)
613. () الإباضية بين الفرق ص (320 ) [↑](#footnote-ref-613)
614. ()الفقيه أبو زكريا يحى بن الخير الجناوني (نسبة إلى مدينة صغيرة في جبل نفوسة وهي في ضواحي جادو الحالية) عاش في أوائل القرن الهجري, من العلماء الأعلام بجبل نفوسة بليبيا، من قرية إجناون. كان أهل نفوسة يعتمدون على كتبه حفظا وفتيا، لسلاسة أسلوبه، انظر الإباضية في موكب، (ح2/ق2/ص93-95). [↑](#footnote-ref-614)
615. () كتاب الوضع [↑](#footnote-ref-615)
616. ()عبد الله بن سعيد بن أحمد بن عبد الملك السدويكشي، عاش في النصف الثاني من القرن الحادي عشر هجري حفظ القرآن في كتّاب قريته، قام السدويكشي برحلة إلى سلطنة عمان وأقام فيها مكرماً مدة ثم رجع إلى مكة المكرمة فوفاه الأجل وعمره خمسة وستون عاماً هناك سنة (1068هـ) (من موقع المكتبة البارونية) [↑](#footnote-ref-616)
617. ()هو أبو ساكن عامر بن علي بن عامر بن يسفاو الشماخي، من مشاهير علماء ليبيا. له مؤلفات عديده، وذو مكانة عالية بين علماء الإباضية ولد عام (700 هـ وتوفي 792هـ ) معجم علماء الإباضية / [↑](#footnote-ref-617)
618. () نقلا عن الإباضية بين الفرق عن كتاب المقالات ص ( 315 ) [↑](#footnote-ref-618)
619. () الإباضية بين الفرق 315 [↑](#footnote-ref-619)
620. () ص 318 [↑](#footnote-ref-620)
621. () تفسير الطبري 22/184 [↑](#footnote-ref-621)
622. () تفسير البغوي 7/289 [↑](#footnote-ref-622)
623. () أخرجه البخاري برقم ( 48 ) باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا شعر 1/19 ومسلم (64) باب بيان قول النبي ( سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) 1/81 [↑](#footnote-ref-623)
624. () تفسير البغوي 4/259 [↑](#footnote-ref-624)
625. () تفسير الرازي 2/272 [↑](#footnote-ref-625)
626. () أخرجه البخاري برقم (6780) باب ما يكره من لعن شارب الخمر 8/158 [↑](#footnote-ref-626)
627. () أخرجه البخاري برقم (6823) اب إذا أقر بالحد ولم يبين هل للإمام أن يستر عليه 8/166 ومسلم برقم (2763) باب قوله تعالى ﭽ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﭼ هود: ١١٤ 4/2116 [↑](#footnote-ref-627)
628. () مقالات الإسلاميين 1/452 [↑](#footnote-ref-628)
629. () المفهم 5/117 [↑](#footnote-ref-629)
630. () تفسير القرطبي 6/191 [↑](#footnote-ref-630)
631. () تفسير السمعاني 2/42 [↑](#footnote-ref-631)
632. () أخرجه الطبري في تفسيره (6/166) بإسناد حسن، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للإلباني(6/114) [↑](#footnote-ref-632)
633. () أخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (2/522/574) بإسناد صحيح، سلسلة الأحاديث الصحيحة للإلباني (6/114) [↑](#footnote-ref-633)
634. () أخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (2/522/575) سلسلة الأحاديث الصحيحة للإلباني (6/114) [↑](#footnote-ref-634)
635. () أخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (2/521/570) وإسناده صحيح. [↑](#footnote-ref-635)
636. () التمهيد 5/74 [↑](#footnote-ref-636)
637. () تفسير ابن الجوزي 2/366 [↑](#footnote-ref-637)
638. () أحكام القرآن لابن العربي 2/624 [↑](#footnote-ref-638)
639. () وقد صحح ما روي عن ابن عباس مجموعة من العلماء منهم ابن تيمية في الفتاوى الكبرى 7/312 وابن القيم في مدارج السالكين 1/335 والحاكم في المستدرك 2/393 وابن كثير في تفسيره 2/64 وقال صحيح على شرط الشيخين والبغوي في تفسيره 3/61 والقرطبي في تفسيره 6/190 ثم الألباني في الصحيحه 6/109 [↑](#footnote-ref-639)
640. () تفسير الطبري [↑](#footnote-ref-640)
641. () تفسير ابن كثير 3/120 [↑](#footnote-ref-641)
642. () تفسير السعدي 1/233 [↑](#footnote-ref-642)
643. () تفسير الشنقيطي 1/408 [↑](#footnote-ref-643)
644. () تفسير القرطبي 6/190 [↑](#footnote-ref-644)
645. () تفسير القرطبي 6/190 [↑](#footnote-ref-645)
646. () عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز الكناني المكيّ: فقيه مناظر، كان من تلاميذ الإمام الشافعيّ، وقدم بغداد في أيام المأمون، فجرت بينه وبين بشر المريسي مناظرة في القرآن، له تصانيف عديدة، قيل: منها (الحيدة – ط) رسالة في مناظرة لبشر المريسي توفي سنة 240هـ انظر الأعلام للزركلي 4/29. [↑](#footnote-ref-646)
647. () تفسير البغوي 3/61 [↑](#footnote-ref-647)
648. () تفسير الشوكاني 2/315 [↑](#footnote-ref-648)
649. () تفسير ابن جرير 10/339 والقاسمي 4/149 وابن كثير3/119 [↑](#footnote-ref-649)
650. () تفسير الرازي 12/368 [↑](#footnote-ref-650)
651. () رواه البيهقي في شعب الإيمان 10/15 وانظر كتاب كنز العمال 5/751 [↑](#footnote-ref-651)
652. () تفسير الطبري 8/502 [↑](#footnote-ref-652)
653. () أخرجه البخاري ( 7142 ) باب السمع والطاعة للإمام 9/62 [↑](#footnote-ref-653)
654. () أخرجه البخاري (7143 ) الباب المتقدم 9/62 [↑](#footnote-ref-654)
655. () أخرجه البخاري ( 7144 ) الباب المتقدم 9/63 [↑](#footnote-ref-655)
656. () أخرجه البخاري ( 7145 ) الباب المتقدم 9/63 [↑](#footnote-ref-656)
657. () أخرجه مسلم (55) باب بيان أن الدين النصيحة 1/74 [↑](#footnote-ref-657)
658. () الفصل في الملل 4/72 [↑](#footnote-ref-658)
659. () المقالات 1/109 [↑](#footnote-ref-659)
660. () الملل والنحل 1/124 [↑](#footnote-ref-660)
661. () الفصل 4/72 [↑](#footnote-ref-661)
662. () المقالات 1/103 والفرق بين الفرق 1/88 والملل والنحل 1/126 [↑](#footnote-ref-662)
663. () التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع 1/180 [↑](#footnote-ref-663)
664. () من كتاب الإباضية بين الفرق 289 [↑](#footnote-ref-664)
665. () المصدر السابق ص 291 [↑](#footnote-ref-665)
666. () الإباضية بين الفرق ص 292 [↑](#footnote-ref-666)
667. () في المبحث السابق من هذا الفصل. [↑](#footnote-ref-667)
668. () انظر تفسير ابن جرير 10/339 والقاسمي 4/149 وابن كثير3/119 [↑](#footnote-ref-668)
669. () تفسير ابن عطية 1/486 [↑](#footnote-ref-669)
670. () تفسير القرطبي 4/47 [↑](#footnote-ref-670)
671. () تفسير أبي حيان 3/289 [↑](#footnote-ref-671)
672. () أخرجه مسلم (49) باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان 1/69 [↑](#footnote-ref-672)
673. () أخرجه الترمذي (2169) باب ما جاء في الأمر بالمعروف 4/468 وأحمد (23301) 38/332 والحديث حسنه الألباني في صحيح الجامع 2/1189 [↑](#footnote-ref-673)
674. () تفسير ابن كثير 2/91 [↑](#footnote-ref-674)
675. () تفسير الشوكاني 1/423 [↑](#footnote-ref-675)
676. () المستدرك على مجموع الفتاوى 3/203 [↑](#footnote-ref-676)
677. () الملل والنحل 1/115 [↑](#footnote-ref-677)
678. () تلبيس إبليس 1/84 [↑](#footnote-ref-678)
679. () تفسير الطبري 17/321 [↑](#footnote-ref-679)
680. () تفسير الرازي 2/326 [↑](#footnote-ref-680)
681. () تفسير القرطبي 10/200 [↑](#footnote-ref-681)
682. () تفسير البيضاوي 3/245 [↑](#footnote-ref-682)
683. () الطبري 16/292 والبغوي 2/518 وابن عطية 3/285 [↑](#footnote-ref-683)
684. () البغوي 2/518 [↑](#footnote-ref-684)
685. () تفسير الشوكاني 3/71 [↑](#footnote-ref-685)
686. () تفسير القرطبي 8/294 [↑](#footnote-ref-686)
687. () تفسير الطبري 6/129 [↑](#footnote-ref-687)
688. () تفسير البغوي 1/402 [↑](#footnote-ref-688)
689. () تفسير ابن عطية 1/392 [↑](#footnote-ref-689)
690. () أخرجه أحمد (15333) 24/49 وأبو عاصم في السنة باب كيف نصيحة الرعية للولاة قال الألباني معلقاً في الظلال: إسناده صحيح ورجاله ثقات (2/521) و قال في مجمع الزوائد: رجاله ثقات 5/229 [↑](#footnote-ref-690)
691. () الآداب الشرعية 1/175 [↑](#footnote-ref-691)
692. () المرجع السابق 1/176 [↑](#footnote-ref-692)
693. () تفسير الطبري 12/87 [↑](#footnote-ref-693)
694. () تفسير البغوي 2/156 وانظر تفسير ابن عطية 2/340 والقاسمي 4/483 [↑](#footnote-ref-694)
695. () تفسير الطبري 2/19 [↑](#footnote-ref-695)
696. () تفسير البغوي 1/162 وابن عطية 1/206 [↑](#footnote-ref-696)
697. () تفسير القرطبي 2/107 [↑](#footnote-ref-697)
698. () تفسير الشوكاني 1/163 [↑](#footnote-ref-698)
699. () تفسير الطبري 2/20 وتفسير البغوي 1/162 تفسير ابن عطية 1/207 والقرطبي 2/108 [↑](#footnote-ref-699)
700. () تفسير ابن كثير 1/411 [↑](#footnote-ref-700)
701. () تفسير أبو حيان 1/603 [↑](#footnote-ref-701)
702. () تفسير الشنقيطي 4/167 [↑](#footnote-ref-702)
703. () تفسير ابن سعدي 1/65 [↑](#footnote-ref-703)